

# قانون الأحوال الشخصية بين الجمعيات الأهلية وفتاوى رجال الدين!



محمد  
يوسف  
حمود في  
ذكرى  
رحيله  
الثالثة  
عشرة

# تحويلات

نحو مجتمع جديد

فكرية - ثقافية - فنية

العدد 9 / آذار 2006

الشيخ وهبة الزحيلي: الإسلام دين ودولة، ومن يقول بفصل الدين عن الدولة مصادم لأصول الإسلام

## كي لا تتكرر الحرب.. كي لا يضيع لبنان

حادثة المابعد:  
اللا ديني  
لا أخلاقي

هل يمكن أن  
نكون مختلفين  
ومتساوين في  
آن معاً؟

المتنبّي  
في لبنان

الانتفاضة  
الفلسطينية  
والاقتصاد  
الصهيوني

القمم العربية  
على مدى  
60 عاماً



تحت عنوان كي لا تتكرر الحرب، أطلق عدد من المثقفين و الاعلاميين و الناشطين في هيئات المجتمع المدني حملة ضد الحرب و اختاروا مؤقتاً الاستاذ نصري الصايغ منسقاً لمتابعة هذه المبادرة.

ودعوا جميع اللبنانيين الى الحوار البناء المسؤول والحر والمنتج العملي لمعرفة كل الحقيقة وحماية المقاومة وتعزيز الديمقراطية ومحاربة الفساد وتعميق الوحدة الوطنية.

وقالوا في كلمة وجهوها الى جميع اللبنانيين:

فليعبر كل واحد منا وعلى طريقته وبأسلوبه المبدع ضد عودة الحرب الأهلية.. كي لا تتكرر الحرب ندعو اللبنانيين الى المبادرة والعمل ضد العنف وضد تكرار أسباب الحرب ومنع عودة نظام الميليشيات. وليكن خيارنا دولة توحدنا لا حرب تقسمنا. اكسروا الصمت وقولوا لا للعنف. «كي لا تتكرر الحرب».

الشيخ عبد اللطيف كبرياج: الموحدون المسلمون هم أحد المذاهب الإسلامية

الدين هو المظلوم الأكبر في الدولة الدينية

## الدور اليهودي في مشكلة الرسوم

البهائية: اعتراف بكل الديانات وتحريم العمل بالسياسة

في دلالة حدث  
الرسوم المسيئة  
لرسول (ص)

اضغط على  
الزروستكفل  
بالباقى

الدين..  
يا وزراء  
التربية!

المخرج العراقي صلاح  
القصب: الصورة  
ثقافة ومخيال

# تحولات

فكرية . ثقافية . استراتيجية

tahawolat.com

mail@tahawolat.com

تصدر بالتعاون مع  
مكتب الدراسات العلمية  
برئاسة منصور عازار  
بيت الشعر - المتن الشمالي  
- تليفاكس: 04-914510

إدارة التحرير

زيد قطريب زهير فياض

مسؤول العلاقات العامة

عائدة سلامة

هيئة التحرير

هيام الجندي

صبحي حليلة

ميشيل معطي

رشا محفوظ

المعتصم خربيط

تصدر بموجب قرار رقم 82 تاريخ 1981/7/6 صادر عن وزارة الاعلام في لبنان  
باسم سر كريس أبو زيد

توزيع: الناشرون

بيروت - أشرفية -

سنتر فضل الله - الطابق الرابع

تلفون وفاكس: 01277007 - 01277088

خليوي: 03975033

الاشتراكات السنوية:

في لبنان: في سورية: في العالم العربي والعالم:

للأفراد \$ 100 \$ 150 ل.س. \$ 200

للطلاب \$ 60 \$ 500 ل.س.

للمؤسسات \$ 200 \$ 10000 ل.س. \$ 500

المراسلات والاشتراكات باسم الإدارة والتحرير

تمت الحد

لبنان: 2000 ل.س. سورية: 25 ل.س. الأردن: نصف دينار الكويت: نصف دينار السعودية: 6 ريالات، الإمارات: 6 دراهم، عمان: 500 بيضة، اليمن: 80 ريالاً، البحرين: نصف دينار قطر: 6 ريالات، مصر: 3 جنيهات، الجماهيرية الليبية: 1 دينار، المغرب: 8 دراهم، تونس: 1 دينار، الجزائر: 50 ديناراً، أوروبا: 3 يورو، المملكة المتحدة: 2 جنيه. أميركا وكندا وأستراليا: 4 دولار.

العنوان

مكتب دمشق: قصاب - ساحة برج الروس

هاتف 5425805 موبايل: 093331402

مراسلة التحرير

Email: tahaoulat@yahoo.com

الأخراج والعمليات الفنية:

أليسا للتحرير الطباعي

دمشق - برج الروس هاتف 5425805

ملاحظة: المواد المنشورة تعبر عن رأي

أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

## في البداية

### جدوى الانتظار والتغيير!

زيد قطريب

لم يعد غريباً أن نشاهد الكثير من أصحاب العقائد والتيارات، وربما قادة الأحزاب أيضاً، يتحولون إلى مجرد خبراء سياسيين أو مختصين بالشأن العام، يقدمون آراءهم بكل موضوعية وحياد في البرامج الاخبارية وعلى شاشات الفضائيات المحلية والعربية، كسبيلٍ وحيدٍ يثبتون من خلاله أنهم مازالوا على قيد الحياة!..

الطريف في هذا الأمر أن أولئك يتحدثون بصفتهم الشخصية كمتابعين للأحداث والتطورات مع الحرص على حذف كافة الألقاب والصفات التي كانت تلحق بأسمائهم في فترات سابقة عندما كانوا يعبرون عن مؤسسات معينة تمثل شريحة واسعة في المجتمع آنذاك. وبغض النظر عن حالة التبرؤ أو الخجل من الاقتران بحالة سياسية أو فكرية معينة نتيجة إصابتها بالوهن والتفكك، أو انتهاء التبريرات الاستراتيجية لديها، فذلك يبدو منسجماً مع المقولة الشهيرة بأن المتحدات القوية تجعل الأفراد يعتزون بالانتماء إليها، عكس ما يفعلونه في فترات الضعف والتشرذم التي تصيبتها، حيث يكون من المحتم عليهم أن يهربوا إلى قبائلهم الصغيرة كبديلٍ أخير عن انتمائهم الكبير!

نستطيع أن نتفهم ذلك عند الأفراد العاديين تبعاً لانعدام الرؤيا الثقافية والفكرية لديهم، لكنه يبدو غريباً ومستهجناً عندما يصدر عن أقطاب المؤسسات العريقة في مشاريعها الحداثية التي بشرت في وقت من الأوقات بولادة إنسان جديد في السياسة والفكر والثقافة.. إنسان يعول عليه في تغيير وجه التاريخ والجغرافيا!!..

وربما يكون الأكثر غرابية من كل ذلك أن تبقى تلك المؤسسات غير قادرة على ترميم ذاتها وإعادة إطلاق مشروعها من جديد..

التطورات المتلاحقة لم تعد تنتظر أحداً، فطبول الحرب الأهلية في العراق، ونشوء الأتحلاف الجديدة التي نقلت أميركا وإسرائيل إلى احتمالات الممكن بالنسبة لبعض الأطراف، إضافة إلى الحوارات الدائمة حول الديمقراطية ونظم الحكم والقوانين التي تريدها مختلف الأقطاب، وما تشهده المنطقة عموماً من صعود للحركات الدينية التي تطرح نفسها بديلاً عن سلسلة الهزائم خلال نصف القرن الماضي المحسوب في معظمه على الاتجاهات العلمانية والقومية بكل تياراتها واتجاهاتها، كل ذلك يشي بطبيعة ما يترتب لنا في دوائر الدول الكبرى خلال المراحل القادمة، حيث تتم الاستفادة القصوى من الفجوات الاجتماعية والسياسية التي تحولت في واقع الأمر إلى تربة خصبة لنمو حالة الفوضى وخط الأوراق بغية رسم المشهد برمته من جديد.

من غير الممكن أن تتحول أميركا ومخططاتها إلى واقع لا مفر منه كالقضاء والقدر، ذلك أن أحداث الأيام الأخيرة وتطوراتها تشير بوضوح إلى الاخفاقات التي يعانها هذا المشروع، ابتداءً من إيران إلى العراق وفلسطين.. ولكن يبقى التساؤل الأهم عن دور المؤسسات السياسية المختلفة، إن كانت ستكتفي بتحليل المواقف والأحداث وكأنها تجري في الطرف الآخر من الكرة الأرضية، أم أنها ستحاول صياغة مشروعها المقاوم من جديد على صعيد بنيتها الداخلية ونظرتها تجاه الأحداث والتطورات التي مازالت تسبقها بكثير؟!..

zkatreeb@yahoo.com

## أحداث

### الانقلاب

### الديمقراطية بـ «المرقط»!



ستراتيجية إقليمية ودولية آنذاك.

فيما كان لبنان يتباهى بمنأخه الديمقراطي الذي أجبر رئيس الجمهورية آنذاك الشيخ بشارة الخوري على ترك كرسي الرئاسة الذي جلس عليه وقتاً أطول مما يطيقه المناخ الديمقراطي!!

ظلت «الديمقراطية» في لبنان في حقل إشكالي بسبب تشابك مفهومها مع «الواقع الطوائفي» الذي يفرز حصصاً ويضع حدوداً لا يمكن تجاوزها، كما أن الإشكالية الرئيسية للديمقراطية اللبنانية تأتي دائماً من حجم وطبيعة التدخل الدولي في الشؤون اللبنانية بداعي الحفاظ على الديمقراطية وحمايتها.

عندما ارتدى شباب لبنان «المرقط» وخاضوا حروبهم الأهلية ابتداءً من نيسان 1975، تحول «الديمقراطيون» إلى الحياة الهامشية، إلى أن استعادوا دورهم في مؤتمر الطائف «1989». غير أنهم دخلوا في حقبة «الاستقرار السياسي والأمني» التي توافقت مع وجود ديمقراطية معلّبة «ومنجزة مسبقاً وبالمشاركة بين زعماء السياسة والمال في لبنان، والمسؤولين الأمنيين والسياسيين السوريين. وقد أدت هذه «الشراكة» خصوصاً إلى ترسيخ قوى سياسية تقف اليوم في الصف الأول من جيش القرار الدولي 1559.

حقق «الانقلاب الدولي» في لبنان نجاحات متقدمة على طريق إنجاز القرار 1559، على أنه في الحقبة الراهنة التي يمر بها زج «شبان الديمقراطية وكهولها وشيوخها وعجائزها» في «حمى سياسية» تنتج الهذيان تارة، وغالباً ما تنتج «الشتيمة». ولكون «جيش الديمقراطية» الراهن هو من يمثل «السلطة»، فإن الأدوات التي يختارها في معاركه هي إحدى نسخ الأدوات التي تختارها الديكتاتوريات، من حيث فكرتها المتمثلة بإمكانية «الانقلاب» على «الدستور» في أية لحظة تراها مناسبة!! هاهنا تبدو «الديمقراطية» مفردة في «سيناريو» معدّ مسبقاً، أو «بنداً في أجندة»، ولا تعود فعلاً سياسياً محكوماً بقانونه ودستوره!

عندما يتحدث «الديمقراطيون» بمثل اللهجة التي نسمعها، ويدعون إلى إسقاط المؤسسات الدستورية، ويشتمون ويخونون من يرون أنه يخالفهم في «الرأي»، بل في «الرأي» وحسب، الذي يتباهون بقدسيته، فإنهم يسارعون إلى ارتداء «المرقط» الذي لا يصلح إلا لاستعمال السلاح!!

ارتدى بروتس «المرقط» مرة فطعن ولي نعمته يوليوس قيصر، غير أنه لم يستطع خلع «المرقط» من يومها، ولأنه لا يصلح إلا لاستعمال السلاح، فقد قاده للانتحار عام 42 ق.م.

من المؤكد أن الديمقراطية بـ «المرقط» كما نراها اليوم تقود فرسانها إلى «منصة الانتحار» التي يجب ألا تتسع لغيرهم «أبداً!!»

ليس في كل مرة يكون «ماضي» الشيطان «ملاكاً» فهذا حدث لمرة واحدة لم ولن تتكرر، من يومها أصبح «ماضي» الشيطان «شيطناً».. حتى ولو انقلب على نفسه بعد ساعات النهار. حيث «الانقلاب» هنا لا يقود إلى «الديمقراطية» أبداً بل يعود إلى «إنتاج» الشخص ذاته.. بـ «المرقط».. عجباً!

يشكل «الشيطان» المثال الأكثر وضوحاً لـ «الانقلاب» الكامل «بالمفهوم الأخلاقي والجسمي - الفيزيائي» في أن، وتالياً بالمعنى الوظيفي. حيث التقابل بين «حاضر» الشيطان و«ماضيه» يظهر ذلك «الانقلاب» في معانيه كلها. ودون البحث في طبّات هذه المعاني، يكفي استعراض الشريط البصري لصورة «الشيطان» بقرنيه ولونه وتعابير وجهه والانتباه إلى «ذيله» خصوصاً، ومقابلتها بصورة «الملاك» الذي هو «ماضي» الشيطان، للتأكد من أن «الانقلاب» الكامل «أصبح» واقعاً «يكتسب» تلك المعاني كلها.

شهدت مختلف الحقول حدوث «انقلابات» في سيرتها ومسارها، ومن النادر أن نرى «حقلًا» ما «لم يدخل في تشكيله» انقلاب ما «وقع في» تاريخ ما «من مساره». هكذا نقع على «الانقلاب» في حقل الدين، لجهة المفاهيم وخصوصاً رسوخ مفهوم «التوحيد» على مفهوم «التعدد» الذي يوصف بـ «الوثني»، كما نلحظه على نحو متكرر في حقل «العلوم» وخصوصاً وابتداءً من «الانقلاب» الكوبرنيكي «الذي يسمى عادة

بـ «الثورة الكوبرنيكية» التي قادها وجاهد فيها وحققها نيقولا كوبرنيك (1473 - 1543) الفلكي البولوني الذي أثبت على نحو نهائي أن الأرض تدور حول نفسها، كما أنها تدور حول الشمس. وقد كان هذا «البرهان» بمثابة «الانقلاب» الذي أنتج سلسلة متوالية من «الانقلابات» الموازية في حقول العلوم والفلسفة والدين، كان تأثيرها حاسماً في اكتساب عصر النهضة الأوروبي سماته ومعانيه التي ارتكزت إليها الحضارة الحديثة.

على أن الشهرة الواسعة لـ «الانقلاب» السياسي «دغمت» في أحيان كثيرة بين السياسة وبينه، فأصبح قرينها المرافق لها في مختلف تجلياتها، والذي لا يفارقها حتى في أكثر لحظاتها «رومانسية»! أو «عائلية»، فمشهد الأخ «المنقلب» على أخيه، أو الابن «المنقلب» على أبيه، يبدو معتاداً ومألوفاً في أكثر من حقبة في التاريخ السياسي العام. غير أن «الانقلاب» يكون موجعاً عندما يقوم به من لا يُظن أبداً أنه سيفعل ذلك، وهاهنا يبدو التمويه أو الخديعة في أوج تعبيرها عن ذاتها. ولعل صيحة يوليوس قيصر في قاعة مجلس الشيوخ في روما عندما طعنه أخلص الناس إليه وأكثرهم قريباً، بروتس الذي اشتهرت تلك الصيحة بسببه عندما نظر إليه القيصر قائلاً: حتى أنت يا بروتس!! لعل هذه الصرخة هي الاختزال العميق لـ «وجع» «الانقلاب» «من الداخل»، حيث تأتيك الضربة من «مكان» «اطمنناك» و«محل» «أمانك»!

في استطراد مباشر وعصري، توسلت الانقلابات السياسية الأدوات العسكرية وأشخاصها، فاشتهرت بكونها انقلابات عسكرية، شكلت مناخ العمل السياسي في «العالم الثالث» وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية (1938 - 1945). وقد كانت سورية في الخمسينيات «تصحو» على انقلاب عسكري، كما «تنام» على «آخر» في تعبير شديد الكثافة عن واقعها السياسي المتأزم والمضطرب والمرتبط مصيره بجملة

## 2006 عام التحديات



منصور عازار

ثلاثة جيوش عربية واحتلت الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء، واقامت من جديد حدود «إسرائيل الوسطى» التي لم نعترف بها حتى الان لان شهيتها ابعد من حدود الاردن. وعام 1973، نشبت حرب رابعة اشتركت فيها جحافل الجيوش واسراب الطيران، وقوات المدفعية فاشتعلت المنطقة بحرب عسكرية تجند خلفها نطق اذاق العرب، مر الصقيع، ومرارة النكسات الاقتصادية. وبعد اعوام قليلة، قامت اسرائيل بجريمة العصر ان اقتحمت ثاني عاصمة عربية بعد القدس، ودكت بيروت بالقنابل وحاصرتها لمدة ثلاثة شهور، ومنعت عنها الماء والكهرباء والعالم ساه عما فعلته، ينتظر ان تقوم بتجريد فريستها من لحمها، كي تهنتها على سلامة فعلها وهكذا كان، وبعد اعوام، اشتعل الخليج بحرب، وقف العالم ازاءها مكتوف اليدين عن عمد لا عن عجز كي تظل المنطقة تحت وصاية الحروب التي تدفع الامة ثمنها من ماضيها، ومن حاضرها، ومن مستقبلها. من هذه الحقائق الواضحة وغيرها من الاحداث والحروب التي مرت على هذه المنطقة علينا ان نفهم ان هذه المنطقة الغنية بنفطها وثرواتها وشعوبها وطاقتها وامكاناتها وقدراتها ليس مسموحاً لها، ان تكون جزءاً من حضارتها وتاريخها الذي حكم عليه بالتاريخ والجغرافيا وقوانين الاجتماع الانساني ان تكون منطقة واحدة تعيش بسلام لتتسع فكراً وثقافة وتساهم بفعل الحضارة وصنعتها. اوليست سورية والعراق جزءين من امة واحدة. هذا ممنوع! وكل خطية ترتكب بحق هذا الممنوع تعاقب بقوة، قبل ارتكابها وافعال اسرائيل شاهدة على ذلك، فهي العصا، التي بوساطتها يتم املاء العجز والخلاف والانفصال وبها تتكرس الحروب الداخلية ويتم الضياع عن حقيقة وهوية هذه الامة؟ ان هذه المنطقة السمامة الشرق الاوسط زوراً بمواصفاتها الذاتية وبمعاييرها الجغرافية والتاريخية محكوم عليها ان تظل تحت هيمنة دائمة اكثر صلابة من حيث النتائج، من الاستعمار المباشر، بمعنى آخر ان دول هذه المنطقة محكوم عليها، ان تكون جهودها مكرسة في خدمة آلة عسكرية تضرب مرة كل عشر سنوات ومحكوم عليها ان تكرر الجهد الباقي من ثرواتها لارضاء الغرب ومعه اميركا الاسرائيلية كونهم لا يقبلون عن جزية الطاعة بديلا. وكل من يخالف قانون الانتظام الدولي هذا يعتبر مارقاً ويهدد الامن والسلام الدوليين؟ وهذا ما ينطبق اليوم وبخاصة على الشام ولبنان وفلسطين والعراق والاردن. ان ما اوردها ليس استنتاجات منه وقائع، والشهادات على حدوثها لا تحتاج الى مجلدات فالذاكرة وحدها تكفي، لان هذه الاحداث محفورة فيها ولا يحومها النسيان... اذا كانت منطقة الشرق الاوسط كذلك فلا شك في انها اخطر منطقة في العالم؟ ودليلنا الان هو ان الدول الاوروبية مع اميركا واسرائيل تهدد يوميا وبكل وقاحة ما تقوم به ايران من تجارب نووية سلمية، ولا ترى ما تملك اسرائيل من ترسانات قنابل ذرية تهدد فيها العالم بأسره؟ والويل لهذا العالم المعرض للاشتعال، اذا افلتت لعبة الدول من بين يديه.. ان مصير هذا الشعب في العراق والشام والاردن ولبنان وفلسطين متوقف على وعي ابنائه للمؤامرات الخطيرة التي تحاك حوله فلا يقع فريسة الاوهام ويتخلى عن الحقائق الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والطبيعية التي هي مصدر قوته وضماني لمصالحه ووحدته ومستقبل ابنائه؟ فلا يضع وراء الاكاذيب والخطط التي ترسمها له المصالح الاجنبية فيقع فريسة اضاليلها ومؤمراتها الهادفة الى تمزيق وحدته والسيطرة الكاملة على كل موارده وخبراته ومصيره الاخير. انها صورة مرعبة ولكن من النادر جداً ان يكون الياس عندنا اقوى منا فبيننا وبينه عداوة متأصلة فهو موت مبكر اما نحن فايما لنا السلاح بالعقل والارادة قادر على اجترار معجزة البقاء ثم الانتصار الاكيد. نرحب بالعام 2006، ونعاهده ونعاهد أنفسنا باننا سنساهم في صناعة التاريخ من جديد، فشعبنا الذي يعود بالعمر الى الاف السنين وبالحضارة التاريخية الى مئآت الانجازات لن يعصى عليه ان يدرج الزمان مرة أخرى ويطوعه لمشيئته، ذلك اننا مدعوون لانأنتق بأنفسنا وبمستقبلنا.. لنوثق الزمان ونحقق معجزة الحرية، وانجاز الديمقراطية مع ذلك المستحيل الذي يسمونه الوحدة، وحدة الحياة على ارض واحدة صورتها الواضحة هلال خصب.

## مواطنون بلا حدود !!

يوسف عادل

حيثما تدعو مصلحة إسرائيل فهي جاهزة للمشاركة بالحرب التقليدية وغير التقليدية، بكل الوسائل والمعدات، مع الآخرين أو من دونهم، وحدها تحط رحالها ولا تجد ضيراً في ذلك ولا حرجاً، ولم الحرج أو الانحراج؟ إن تاريخ فعلها وأفعالها خلال العقود الماضية يؤكد ذلك!! لقد اعتادت وعودت الآخرين على ذلك، تورطهم ولا تتورط، ولا تجد في عملها المنافي للأخلاق والأعراف الدولية (المتفق عليها دولياً بأنها منافية للقيم الإنسانية) أي إخراج، ولم وممّ تنحرج؟ فكل البلاد المحيطة بها وغير المحيطة بها تعتبرها بلادها، وهي لذلك نجدها - من سنوات قديمة - في أي وقت تشاء تجتاز الأرض بمجنزراتها أو تعبر السماء بطيرانها وتحط في العمق غواصاتها وبوارجها في المياه الإقليمية لتعكرها.. إنها لا تحب إلا تعكير كل شيء من حولها!!

هكذا.. باطمئنان كلي - وبلا رادع من ضمير - لأنها في واقع هذا الحال العربي، الذي هو حالنا بالتأكيد، وفي حقيقة هذا الأمر الواقع الذي أصبحنا فيه وبه بلا وزن!! لا تعترف بحدود البلاد العربية، المجاورة لها وغير المجاورة لها أيضاً على المستوى العالمي!! إن استقرار العالم يغفلها ولذلك - لكي لا يستقر - لديها لكل كيان أكثر من سبب لكي يقتتل المجتمع مع بعضه.. إنها «متعهدة» حروب على المستوى العالمي!!

إنه الاحتواء.. هذا الذي تسميه [استيطان الأمر الواقع وفرضه] مرحلة.. مرحلة نُقذته وهي مستمرة في تنفيذ ما تبقى.. وما على الآخرين إلا الرضوخ والإقرار بشريعتها وشريعيتها هذه.. أصبحت الأمر الواقع المفروض.. ومن لا يعترف أو من لا يعترفون دخلت ورحتهم بطرق هي تحدّها وبأداة هي ترتبها ملائمة لذلك. ولا يهمها أكانت واسطة التنفيذ مشروعة دولياً أم غير مشروعة، ولا تابه بمن يعترض عليها ويعارضها إقليمياً وحتى دولياً، فشركاؤها على هذا المستوى جاهزون للتأييد والمساندة بل المشاركة الفعالة حتماً!!

لا يهم، بل يجب ترحيل كل مقاوم لها ومعرض.. فحاملات الجنود والمجنزرات والقاذفات «جاهزة وتحت الطلب» للنقل أو للسحل أو للقتل.. وترك كل شيء في مكانه من محتويات الإقامة والحياة لأنه أصبح حطاماً تابعا لخطة المجهود الحربي وسندا لاقتصادها الرّاك الذي يجب تحريكه بالدم المراق والأطراف المتبورة!!

إن كل الهيئات الدولية وفوقها هيئة حقوق الإنسان، لا تقيم لها أي وزن لكان من حولها من البشر يلوّثون البيئة المحيطة بها وعليها واجب «طهرهم» تحت الأرض بشكل جماعي لتنتقيه البيئة والخلاص من مخلوقات بشرية «تعرقل» مسيرتها الدولية.. وما على من تبقى إلا قرع أجراس الكنائس حداداً.. وإقامة الصلاة على كل غائب أو مغيب، وبالتالي الاستعداد لتلقي هذا المصير نفسه أو القبول بحمل بطاقة التجسس، أو بطاقة التجسس المهورة بدم مهدور لآخوته وأخواته وبني قومه!! ومنهم من فارق الحياة غيلة أو غدرًا والبقية تنتظر!!

ومن قبل ويقبل بحمل هذه البطاقة فهو يستحق البقاء على قيد الحياة، ولكن إلى حين يتم استبداله بأخر!! هكذا تدعو الحاجة وتقتضي ظروف الاستيطان والبقاء في هذا الأمر الواقع!! فالذي يتخلى عن وطنه ويستبدله ببطاقة فقد نجا وانضم إلى حظيرة السُّفهاء «المواكبين لها» الذين تعرف هي كم أصبح عدد الذين تخلوا عن أوطانهم وحملوا وطناً بديلاً عنه «بطاقة أو أكثر» يحق للواحد منهم بوساطتها أن يجتاز الحدود الدولية، وهكذا يصبح مواطناً «عابراً للقارات» وهو بذلك مع سواه أصبح - بالرغم من كونه جاسوساً واحداً من ضمن مجموعة تُطلق عليهم هي «مواطنون بلا حدود».

بعض هؤلاء أقاموا بيننا سنوات وسنوات، وبعضهم مازال، ومن هؤلاء - الذين يبذلون أقتعة وجوههم ويغيرون جلود أجسادهم حيثما تدعو الحاجة لضرورة «الكار» ودواعي المصلحة - يجب أن نحترس [ويصبح كل مواطن منا خفيراً] من أجل سلامة الوطن وبقاء الأمة.. لأنهم [هؤلاء] أعداء الداخل.. الذين لا يستحقون شرف الانتماء إليه!! فبوساطتهم أصبحت وكأنها تسكن بيننا وتسكاننا!! فقويت ونحن ضعفنا، وجمعت نفسها من كل القارات فيما نحن هجر بعضنا أو تفرق في كل القارات.. والفرق شاسع واسع ما بين «تجميعهم» و«تفريقنا» أو فرقتنا، إذ أصبحنا في الشتات عينات من البشر غير المرغوب فيهم - لا في المساكن ولا في السكن - لأننا مقاومون حتماً، لا.. إرهابيون بالتأكيد!!

هذا عام مضى انما يبقى معظمه مقيماً عندنا، سيبقى العام 2005، أطول من أيامه، وأكثر امتداداً في التاريخ لأنه لم ينته بعد، وما تم فيه من أحداث جسام تطبع حقبة قادمة بكاملها : سيبقى العام 2005 مقيماً بيننا اعواماً طويلة، حتى أننا نتوقع تغيرات خطيرة في الاعوام القادمة قد تبدل جغرافية هذه المنطقة وانظمتها المتهاوية؟ ... أحداث العراق هزت ضمير العالم والاجرام الحاصل في ربوعه يكاد يقضي على وحدته ويغير معالمه.. فالشعب العراقي خاضع الان لتجربة تاريخية تمزق نسيجه الداخلي وتدمر حياته ان إن الاحتلال الاميركي البريطاني يجثم على صدره ولا ندري ما اذا ما كانت بعض «المقاومات» المتنوعة على ارضه هي من صنع العقل الصهيوني المجرم فيكون فعل الاحتلال الاميركي يصاحبه ردات فعل مدروسة لاستكمال المخطط الاجرامي فيقع شعب العراق بين سندان الاحتلال ومطرقة هذه «العصابات» التي لا ندري من اين تبدأ والى اين تنتهي؟ وهل من يمكنه ان يؤكد ما اذا كانت هذه الاسماء المتداوله هي لذر الرماد في عيون العالم ام انها اختراع دبرته هذه «التركيبة» الخطيرة من «المافيات» العالمية التي تتخذ من الولايات الاميركية وحلفائها هذا الغطاء الخطير الذي يلبس لباس الدفاع عن العراق وشعبه بينما هو يدمر معالمه ويكمل افعال الاجرام للمحتل الذي يستمد «شريعته» من افوايل واكاذيب لا يصدقها الا المغفلون البسطاء والمتفرجون البلهاء على ما يحدث على ارض الرافدين منبع الحضارات والشرائع، وهم لا يدرون ما سيحل بهم في الايام القادمة المظلمة. هذا في العراق المصارع في سبيل البقاء موحداً في وجه البربرية التي تجتاحه من اجل ان تقضي عليه. أما في الشام فالعصابات نفسها تلتف على عنقه لتشدّه الى مخططاتها الاجرامي الرهيبة ولكن عاصمة الامويين تقاوم بقوة وعناد وتحفظ شرف الامة بما عندها من حكمة وذكاء وصبر عز نظيره في هذا العصر المضطرب.. وما ان نتائج الانتخابات في فلسطين فاجأت العالم والمعرّكة هناك اتخذت طابعا جديداً واتجاهاً تاريخياً طبيعياً وتلتقي حماس مع تطلعات حزب الله في لبنان وياقي القوى القومية والوطنية الحية التي تجابه المخطط الرهيبة الهادف الى فصل لبنان عن واقعه الطبيعي ومصالحه الحيوية فيقع فريسة الاطماع الخارجية من اوروبية واميركية واسرائيلية، فلبنان الذي تدور هذه المعارك من اجل عزله يعرف تماما كيف يتمسك بحقيقته ويدرك ان له مليون لبناني منتشرين في محيطه وعالمه العربي، وهم مصدر قوة مادية ومعنوية له، ان كيف يمكن لهذا اللبناني ان يتنازل عن دوره الطبيعي ويضحي بالموارد الهائلة التي تأتيه عبر العالم العربي من اجل اللحاق بالاوهام التي تلوح له بها وسائل الاعلام الاوروبي - الاميركي - الصهيوني والتمثلة بهذه السفارات التي يذكرونا نشاطها المشبوه بالايام الخوالي يوم كان القناصل المعتمدون لتلك الدول المجرمة يعملون من اجل تمزيق شعبنا وتحويله الى طوائف ومذاهب وإقطاعيات تتنازع النفوذ وتزرع الفتنة والحوادث الدامية الخطيرة المعروفة بين ظهرانيه.. والحقيقة اننا في لبنان، ما زلنا على الرغم من كل ما حدث في العالم الاوروبي والاميركي والشرقين المتوسط والبعيد نعيش مرحلة القرون الوسطى، واذا استمرت الحالة على ما هي عليه فلا عجب إذا تم تصغير لبنان فالذي يتكلم اليوم عن «تزوير الخرائط» يجب أن يكون حاضراً في الجغرافيا السياسية للعالم لا ان يكون غائباً قابعاً وراء جهله وأمامه اسرائيل تتقدم بمشاريع الاستيطان وتمارس بأسلوب همجي التوسع والعدوان.. من هنا يجب الاعتراف ان العالم اليوم يعيش ازمة العراق وفلسطين ولبنان والشام والاردن، وأن العالم كله على فوهة بركان هائل سعيره أت من الحقائق التي تكررت مرارا بنسخ معدلة، وبفسوة متصاعدة، كانت ولم تزل مفروضة بحكم التاريخ والجغرافيا وبحكم التلاعب المصري بأسس وجوده ولكي نوقظ الذاكرة ونستضيء بالحقائق نورد هذه السلسلة من الحروب التي أوصلتنا الى ما نحن عليه اليوم. فالعام 1948، وبعد معارك مديدة ومتفرقة امتدت من أوائل هذا القرن نشبت اول حرب عربية - اسرائيلية تخطت فيها «اسرائيل حدود التقسيم لقيام حدود اسرائيل الصغرى» التي لم تعترف هي بها. وعام 1956، وقع العدوان الثلاثي على مصر بعد تأمين قناة السويس، اشتركت قوتان دوليتان مع قوة اقليمية في غزو سيناء ومدن القنال والشاطئ في مصر. وعام 1967، شنت اسرائيل عدواناً جديداً على

# الشيخ وهبة الزحيلي؛ الإسلام دين ودولة، ومن يقول بفصل الدين عن الدولة، مصادم لأصول الإسلام



## أسوأ ما خطط للأمة العربية والاسلامية هو الفصل بين تعليم عام وتعليم ديني

وجدناها في أغلب كليات الشريعة ما عدا بعض الدول التي ما زالت تقتصر على فكر ضيق محدد وهو ما يسمى الفكر السلفي. لقد أدركنا هذه المسألة، ولذلك فطلابنا منفتحون وخريجون مرغوب بهم في كل البلاد لأنهم يملكون تنوعاً.. في أفق ومعرفة آراء الآخرين ما أحدث نوعية متطورة وغنية بثقافتها وخريجوا جامعة دمشق لهم الأفضلية في كل البلاد التي يذهبون إليها.

■ هل أنت موافق على دعوات تجديد الخطاب الديني.. وإلى أي حد يعتبر هذا التجديد مسموحاً؟

نحن في شريعتنا لا نملك تغيير النصوص الشرعية، لأن هذه النصوص موحى بها من رب العالمين وليست نصوصاً أو قوانين وضعية حتى نعدل ونغير ولنين ونشدد.. هذه النصوص لا تملك قوة في هذا العالم أن تعدلها أو تحرفها.. هذه النصوص أدت إلى ما يسمى بالثوابت والمتغيرات.. فالثوابت لا يمكن لأي إنسان تجاوزها لأنها مقدسة، ولكن هناك مجالاً وهو «المتغيرات» نستطيع فيه الاجتهاد وقد فعلنا، وكتبنا مليئة ومؤلفاتنا في كل المجالات تحدثت عن التطلعات التي يريدها الناس منها، فهذا المجال القابل للتغيير والمبني على مراعاة مصالح المجتمع ومصالح الأمة أغنيانا ضمن هذا الجانب وهو فئة المتغيرات.

تجديد الخطاب الديني هو نعمة غربية واستشرافية يراد بها العصف بأصول هذه الشريعة والقضاء عليها.. لأننا إذا مستسنا هذه الخطابات فهذا معنا أننا ألغينا نسيج هذه الشريعة.

إذاً، الخطاب أصلي لا نملك تغييره لأنه خطاب الوحي الإلهي، أما ما يتعلق بالاجتهادات فيراعى فيها مصالح الأمة، نحن دائماً نتحدث ونقول هذا يتفق مع تطلعات الأمة ونهضتها وظروفها وقفزاتها الحضارية التي نجدها بسبب ما قذفته الحياة المعاصرة من مشكلات قضائية، سواء في قضايا الجو والبر والبحر، هذه القضايا المختلفة لابد من أن يكون لنا وقفة أمامها والحمد لله كتب أساتذة الجامعات في العالمين العربي والإسلامي مليئة بمعالجة هذه القضايا.. لكن قلت لك مشكلتنا أن الدولة تسير في اتجاه والفكر الإسلامي يسير في اتجاه آخر. فإذا فتحنا صيدلية مثلاً وأنجزنا اختراعات أدوية معينة ولكن لم يشتر أحد منها، فماذا تكون النتيجة.. لاشك هي الإخفاق والخسارة والحكم على هذه الصيدلية بضرورة الإغلاق.. نحن لم نغلق الباب وما زلنا نعطي ونقدم لكن الحياة تسير على غير منهاج الإسلام.. تسير على منهاج مخططات وأفكار وقوانين وأنظمة مستوردة من الغرب والشرق هي التي أدت إلى أن تصبح هوية هذه الأمة فلم تعد تعرف الطريق إلى التقدم.. جربت هذه القوانين ربما بنية حسنة، لتتقدم فلم تفعل شيئاً، وتركت الإسلام جانباً فجاء بعض الناس واتهموا الإسلام بأنه سبب التخلف ولكن في واقع الأمر أين هو هذا الإسلام الذي هو سبب التخلف هل له رصيد أو وجود أو تفاعل مع الساحة العامة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. أم أنه نُحِّي عن كل تلك الأوساط والمجالات لذلك لا غرابة أن يكون هناك ضرورة كما قال العلامة الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري، أن الاستعمار أقل وأن للضيف أن يذهب ويذهب ما معه، ونعود لشريعتنا وأصولنا ومنطلقاتنا وهذا لم يتم على مدى الخمسين سنة في القرن الماضي.

القوانين الغربية والعادات الأجنبية وخذعوا من قبل الآخرين أن هذا هو طريق التقدم والنهوض والتحضّر، فأصبح القائلون على التخطيط الفكري والتعليمي والتربوي في البلاد، لا هم مسلمون بالعلم الصحيح ولا هم عرب، ولم يعد لهم هوية محددة.. لذلك فالجميع مسؤول عن هذا التخلف.

لقد أنفقت سوريا على التعليم العام والحر أو العصري مئات الملايين، وكان هناك سخاء في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد لرفع مستوى التعليم لكن لم يستطع هذا التعليم أن ينتج أي إنتاج ذاتي، هم يبرزون ذلك بأنه لا توجد مصانع ولا مختبرات ولا إمكانات لتنمية معارفهم وثقافتهم.

التعليم الشرعي ليس هو المسؤول عن تخلف البلاد، بل التعليم العام ورجالته لأنهم كانوا مجرد تراجم لفكر الآخرين ولم يقدموا ولو شيئاً بسيطاً وأتحدى أن يكون هناك اختراع آلة بسيطة عند أغلب هؤلاء العرب بعد أن أنفقت عليهم النفقات الباهظة. إذاً التعليم الشرعي محصور في زاوية محددة لا تتجاوز اثنين بالمئة ولا يقبل عليه إلا الفقراء والناس الذين لا تتوافر لديهم إمكانات التفوق في الشهادات الأخرى فيجدون مجالاً في هذا التعليم لعلمهم يصلون إلى شيء من قنات الدخول الزهيد والبسيط في المجتمع.. وبالتالي التعليم الشرعي ليس هو المسؤول وإنما الأمة التي خططت لهذا الفصل بين تعليم عام وهم الأغلبية الساحقة وتعليم شرعي محدود لا يعترف بشهاداته ولا مجالاته، فصار التقصير من الطرفين.

■ يلاحظ البعض على التعليم الديني عدم شموليته كل المذاهب بالدراسة قبل سنين الاختصاص لئلا تحدث قطيعة معرفية لدى الطالب بالمذاهب الأخرى خارج اختصاصه!

هذا أمر طريف، فالتعليم الشرعي له مستويان: المستوى الإعدادي والثانوي وهنا لا يمكن أن يلم الطالب بمختلف المذاهب دون أن يدرك مذهباً واحداً معيّن، فالأستاذ لا يمكن أن ينتقل إلى مجال الفقه المقارن والعمل المقارن إلا بعد أن يعرف ما هو عليه، وإلا فإن الإنسان يضيع في مجال معرفة هذه الآراء المختلفة ويصبح مشتت الذهن، فكان من المصلحة أن يفتح لنفسه مجالاً واحداً ليعرف أبسط الأمور من خلال إمكاناته العقلية والفكرية.. أما أن نفتح ونتعلم كل شيء من المذاهب المختلفة على أساس المقارنة فهذا أمر فاشل ويؤدي إلى ضياع الطالب وتشتيت ذهنه وفكره.. هم معذورون في الاقتصار على رأي واحد حتى ينطلق الطالب من أساس معين لأن إمكاناته محدودة.. أما في الجامعة فقد عملنا على عكس ذلك فأننا أثناء تدريس أربعين سنة في كلية الشريعة وقد غيرت هذا المنحى عندما وضعت مناهج هذه الكلية، هذه التي قلدت من عند تطوير الأزهر، ووضعت برامج ومقررات فيها الانتفاح على الآخرين دون أي تعصب فنجد الطالب لا يقتصر في المعرفة على مذهب واحد ولا اتجاه فكري واحد وإنما يلم بها جميعاً ما يجعله متمسحاً.

فمعرفة آراء الآخرين تؤدي إلى التسامح أما الانغلاق والتفرد فسيؤدي إلى التعصب، فهذا ما علمنا به في كلية الشريعة ولذلك صارت كتبنا كلها مقارنة ومنفتحة على الآراء الأخرى وهذه الظاهرة

يكتسب الحوار مع الدكتور وهبة الزحيلي أهمية خاصة في ظل الحوار الدائر حول الإسلام وعلاقته بتطورات الحياة المختلفة.. وفي وقت تنشط فيه الدعوات لتجديد الخطاب الديني، وتثار فيه الأسئلة عن التطرف والإرهاب وصلته بالإسلام.. وهل الإسلام قادر على مواكبة الحداثة، وما يستتبع ذلك من أسئلة هامة حول علاقة المذاهب الإسلامية مع بعضها ومع التطورات التي تصيب المجتمعات.. فللدكتور وهبة الزحيلي عشرات المؤلفات والأبحاث التي أخذت شهرة عربية وإسلامية كبيرة، كذلك فقد أسهم على نحو فعال في وضع مناهج وبرامج التعليم الديني ابتداءً من كلية الشريعة في جامعة دمشق وفي عدد من الجامعات والبلدان التي استفادت من خبرته في هذا المجال.. وقد نال مؤخرًا وسام العلم والآداب والفنون الذهبي وهو أرفع الأوسمة التي تقدمها رئاسة الجمهورية في السودان.. حول مجمل الوضع الإسلامي كان هذا الحوار:

■ كيف ترى واقع الإسلام في هذه المرحلة من التاريخ.. فكرياً وحضارياً وتنظيماً؟

إن واقع العالم الإسلامي لا يرضي أحداً، ولا يتفق مع تطلعات الإسلام وتطلعات المسلمين، سواء أكان ذلك من الناحية الدينية أم الحضارية أم حتى مقومات الوجود والإعداد اللازم لبناء شخصية متكاملة يكون لها وزنها في الميدان الدولي وفي الواقع السياسي، وذلك بسبب التفرق والتشرذم والحرص على المصالح الخاصة والأطماع الضيقة، ويكون أولئك بتروا أية صلة لهم بأخوتهم في العالم الإسلامي بحيث لا يكون لنا إلا النزر اليسير ليقال إنهم تبرعوا أو تطوعوا، وكان هذا العالم الإسلامي ينقسم إلى قسمين دول غنية ودول فقيرة أو متوسطة، وهذه الدولة الغنية لا يهتمها إلا نفسها ولذلك نجد هذه الأموال الضخمة المكسدة والتي على سبيل المثال بسبب ارتفاع أسعار النفط استطاعت بعض الدول أن تحصل دخلاً إضافياً يبلغ أكثر من مئتين وخمسين مليار دولار وهذه ثروة لا تقدر ولم يكونوا يحلمون بها.

ونظراً لهذه القطيعة والانفصال والتجرد عن الواجبات أصبحت كل دولة لا تعنى إلا بمصالحها الخاصة وأوضاعها الإقليمية.. وما نجده أحياناً على ساحة المؤتمرات ومؤتمرات الجامعة العربية والقمة الإسلامية في واقع الأمر لا يعود أن يكون أمراً هشاً ولا يقدم ولا يؤخر، وتكون هذه الاجتماعات مجرد مجاملات ويقال إن المؤتمر الفلاني قد حدث والاجتماع الفلاني قد حدث وتصدر بيانات هزلية وإنشائية لا تقدم ولا تؤخر.. هذا الواقع الأليم ينبغي أن يفكر فيه من بيده القرار والإمكانات، لابد من التفكير بشكل مستقبلي، حيث يحمي المسلمون مستقبلهم وجيلهم وحتى أبناء بلدانهم.. الجميع مطالبون أن يفكروا تفكيراً عميقاً في مستقبلهم ومستقبل أوطانهم.. وإلا الطرفان سيعمهم جميعاً ولن يستثنى أحد.. وقد صرح دوائر الدول الكبرى بكل وضوح أنها ستتناول تغيير الأوضاع وتغيير الخرائط الجغرافية وستحدث تغييرات داخلية كاملة.. كل هذا سمعوه ولاحظوه وقرؤوه إلا أنهم لا يفعلون شيئاً مع الأسف الشديد.

■ يرى البعض أن أسلوب التعليم في المدارس الدينية، هو المسؤول عن إنتاج جيل أحادي النظرة إلى المذاهب الإسلامية الأخرى وأيضاً تجاه الأديان؟

إن أسوأ ما خطط للأمة العربية والإسلامية هو هذا الفصل المقيت والشاذ بين تعليم عام أو عصري أقبل عليه أكثر الناس، وبين تعليم ديني.. لقد أقبل أكثر الناس في العالم الإسلامي والعربي على التعليم العام بنسبة تفوق تسعين في المئة أو أكثر وبقي هناك تعليم ضعيف ومقتصر في مبدأ الأمر على التثقيف في الثقافة الدينية المتعلقة بشؤون العبادات والمعاملات ولم يكن هذا التعليم قوي الجذور ولا بعيد الطموحات ولا يتعرض للمشكلات العامة.. إن القضية سحبت من أيديهم، فأصبحوا يعنون فيما يملكون وأصبح التخطيط للآخرين.. فحدثت هوة كبيرة بين جهتي التعليم وكان هذا أكبر خيانة لفكر هذه الأمة، هذا التعليم المزوج الذي خطط له دعاة الاستعمار مثل رفاة الطهاوي في مصر وتابعه طه حسين في تنفيذ هذه المخططات.. فإذا نحن في التعليم الشرعي نريد أن يكون هناك تنوع أوسع وأكثر، ولكن المشكلات الأساسية هي أن هذه الشهادات لم تكن تعترف بها الدولة لا من قريب ولا من بعيد، فأصبحت بالإجباط وحكم عليها بالتخلف، وكان هناك شبه اتفاق على إبقاء هذا التعليم غير مقبول لأنه لا مستقبل للشهادة ولا أمل في أن يكون دارس هذه العلوم الشرعية له امتداد في قضايا المجتمع وقضايا الأمة.

إذاً هذه الظروف هي التي أدت إلى قوقعة هذا التعليم الشرعي، وثمة سبب آخر أيضاً وهو بعد التخطيط السياسي عن أي شيء يمت إلى الشريعة الإسلامية فكيف يمكن أن يكون هناك تعليم منفتح وأصحاب الاتجاه الآخر هم الذين أخطأوا عندما نقلوا

إذاً هذه الظروف هي التي أدت إلى قوقعة هذا التعليم الشرعي، وثمة سبب آخر أيضاً وهو بعد التخطيط السياسي عن أي شيء يمت إلى الشريعة الإسلامية فكيف يمكن أن يكون هناك تعليم منفتح وأصحاب الاتجاه الآخر هم الذين أخطأوا عندما نقلوا

إذاً هذه الظروف هي التي أدت إلى قوقعة هذا التعليم الشرعي، وثمة سبب آخر أيضاً وهو بعد التخطيط السياسي عن أي شيء يمت إلى الشريعة الإسلامية فكيف يمكن أن يكون هناك تعليم منفتح وأصحاب الاتجاه الآخر هم الذين أخطأوا عندما نقلوا

## الجهاد ليس فرض الإسلام بحد السيف

وفي رأيي سيكون هناك نتيجة التعامي عن الحقيقة والسكوت عن الأوضاع الالهية، ترمد من أناس يحسون إحساساً قوياً بالأم ومشاعر هذه الأمة فينقضون بأشكال مختلفة ليصحوا المسيرة والطريق من أجل الوصول إلى وحدة إسلامية وعربية قوية تحمي البلاد والأطمان والمكاسب حيث لا تكون لقمه سائفة للطامعين كما هو الشائع حالياً، حتى نخاف على الأقل على شيء من العزة والكرامة لأن سمعنا تطلخت ومرغمت بالتراب ولم يعد هناك أي بصيص من الأمل لرفع معنويات هذا العالم العربي والإسلامي.

■ كيف تفسر تنامي الحركات المتطرفة والتكفيرية في العالم العربي والإسلامي؟

إن وجود هذه الحركات المتطرفة نشأ رد فعل على ما يعانونه من عدم وجود تعاون شامل مع أبناء الوطن الواحد، فالذي يستأثر بالسلطة فئة معينة ومنهاج معين فكان وجود هذه الحركات رد فعل عنيف، لأن التقصير الشديد قوبل بإفراط أشد منه ولذلك أنا لا أعزهم، كما لا أعز أولئك المقصرين في أداء واجباتهم، لا أعز هؤلاء أيضاً في القيام بهذه التصرفات التي أساءت للإسلام والمسلمين على حد سواء.

ومما لا شك فيه أن الإسلام لا يعرف التطرف والغلو والشذوذ، لأن شريعتنا شريعة وسطية، ومن صفاتها الاعتماد والحوار ومحاسبة الأمور بنقد بناء، ولعل ذلك يحقق نوعاً من الثقة فينتفق الجميع على مقاومة العدو الخارجي المشترك لأن هذا العدو يريد أن يزرع وينمي هذه الخلافات، فأننا لا نستبعد بصراحة أن يكون نمو ظاهرة الإرهاب والتطرف إنما كان بتوجيه وتنمية ورس من تلك القوى الغربية والدول الاستكبارية، فهم الذين زرعو الإرهاب ومهدوا له وساعدوا على نشوء مثل هذه الحركات المتطرفة.

■ هل لإغلاق باب الاجتهاد في الإسلام في فترة تاريخية معينة، علاقة بما يعانيه المسلمون الآن على صعيد علاقتهم ببعضهم وعلاقتهم بالآخرين؟



## تجديد الخطاب الديني نعمة غربية يُراد بها العصف بأصول هذه الشرعية والقضاء عليها

■ **ماذا تقول في دعوى فصل الدين عن الدولة؟!**  
نرفضها كما نرفض الفكرة السابقة، لأن الإسلام دين ودولة، دين ومنهج، دين وحياة والذي يقول بفصل الدين أي الإسلام عن الدولة هو مصادم لأصول الإسلام، ولا يجوز بحال من الأحوال أن نقر بهذا الاتجاه. صحيح نحن من الناحية السياسية أخوة في الوطن ودائماً لا يمكن أن نفرق بين مسلم وغير مسلم في قضية الوطنية، لكن هذا لا يعني أن نعتل ديننا ونجعل مقصوراً على المساجد ودور العبادة ونعزله عن الحياة، الإسلام دين شامل، دين يحدد علاقتنا بالخالق، وعلاقتنا بالنفس الإنسانية، وعلاقتنا بالمجتمع فكل من يفصل الدين عن الدولة هو مصادم لأصول الإسلام ومبطلقاته وفكره، وقضية الوحدة الوطنية نحن نرحب بها ولا يعني أننا إذا طبقنا الإسلام أن نغطم أو نظلم أحداً ممن يعيش معنا أما بالنسبة إلى القول بفصل الدين عن الدولة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية.. فإننا نقول إننا أمة في الوطن مصالحنا وأماننا وأماننا واحدة ولا يظن أحد أن الإسلام يمكن أن يجعل فوارق وحزازات بيننا وبين غير المسلمين، فغير المسلمين لهم حق المواطنة وحق التعاون معنا سواء في ممارسة شعائهم وأديانهم، وقد أمرنا بتركهم وما دينون، وأما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية.. نحن نتعاون مع الكل.. ففكرة فصل الدين عن الدولة تعزل الإسلام عن الحياة لإرضاء الآخرين.. من قال إن الإسلام يرفض الآخر، ويرفض التعاون مع غير المسلمين.. فهذه القضية مرفوضة وطرحها مرفوض.

■ **المذاهب في الإسلام متعددة، هل لديك رؤية تجمع المسلمين تحت راية واحدة.. وهل تعتقد أنه من الممكن أن يحتكر مذهب واحد الحقيقة المطلقة؟!**

حضرت منذ سنتين إلى الآن أكثر من اثني عشر مؤتمراً للبحث في موضوع التقريب بين المذاهب، ولكننا نتفق على ضرورة إقصاء عوامل الخلاف التي يختص بها كل واحد منا مغايراً للآخر بالآراء، تتدخل في شأن المذهب الشعبي أو الأباضي أو أي مذهب آخر، ليسر كل على مذهبه كما يشاء.. لكن هناك أصولاً مشتركة تجمع بين هذه المذاهب وهي أن ديننا واحد وقرآننا واحد، وسنة نبينا واحدة.. وهذه أمور كفيّة يجمع كل الطاقات.. والذي يفرق بين المسلمين ليس المذاهب إنما هو جهل بعض علماء الدين الذين يغدون العامة بأفكار كلها مغلوطة ومتمثلة بالحقد والسم والدعاية البغيضة.. إذاً مساعي وأساليب التربية والتعليم من بعض هؤلاء سواء أكانوا سنة أم شيعية.. هو الذي يؤدي إلى الخلاف، أما المذاهب فكلها ملتحقاها وأساسها هو القرآن والسنة فنستطيع أن نجتمع الجميع على ما اتفقتنا عليه وليعذر كل واحد الآخر فيما اختلفنا فيه كما يقال إنها قاعدة ذهبية ويسهل حينئذ دمج المساعي والجهود كي تصب في بوتقة واحدة وفي مجال واحد هو محاربة الآخرين، وأن نكون أخوة متحابين في كل شيء.. وأنا الآن من دعاة التقريب بين المذاهب وعضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في إيران عندما اجتمع في ربيع الأول القادم ونسعى دائماً لإزالة كل أوجه الخلافات والقرارات التي تتخذ في المؤتمرات يجب أن تترجم إلى واقع.. لكن للأسف الشديد فإنها تظل حبراً على ورق وبعيدة عن التطبيق حينما ينفلت كل واحد مع جماعته يقول لهم أموراً تكسر التفرقة ولا تحقق اللقاء وهذا سبب المشكلة.

zkatreb@yahoo.com

الخلافه فهذا أمل بعيد كل البعد.. إنما ينبغي أن نبحث عن إمكان وجود وحدة الصف.. وحدة القوة الدفاعية أيضاً فإذا ما أريد للعالم الإسلامي أن ينهض، فأول ما ينبغي عليه القيام به هو أن تكون له قوة تدافع عن وجوده وليس معنى الدفاع أن يعتدي على الآخرين.

مما لا شك فيه أن هذه الأمة لا يمكن أن تعود إلى الوفاق إلا على النحو الذي اتحدت عليه في الماضي كما قال الله سبحانه في قرآته: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾.. فالشريعة هي المظلة التي تستطيع أن تجمع كل هذه الفئات بغض النظر عن القوميات والعنصريات والعرقيات، الإسلام ألف ووحّد بين الجميع.. ولم يكن هناك داع لوجود قومية كردية أو قومية بربرية في الجزائر تعارض الاتجاه العربي وأيضاً أي قومية أخرى في جنوب شرق آسيا.

كل هذه القوميات انصهرت تحت مظلة الإسلام فنحن لانزال نعتقد أن السبيل الوحيد لتوحيد الأمة الإسلامية ليس في وجود حاكم واحد وإنما هوفي نسيج هذا الاتحاد.. ولا يمكن أن تتحقق نهضة العالم الإسلامي إلا من خلال تطبيق شريعة الله لأنها شريعة الحق والخير والإصلاح، والابتعاد عن كل القضايا التي تفرّق ولا تجمع.

■ **عملية الإصلاح الديني التي بدأت على يد الإمام محمد عبده والكواكبي لماذا توقفت من دون إنجازات وعلى نحو فجائي..؟**

لا شك في أن مدرسة محمد عبده وجمال الدين الأفغاني كانت مناسبة في وقت مقارعة الاستعمار، وتحقق على يد هؤلاء ما يناقض وجود الاستعمار، وأول من حرك الثورة على البريطانيين في الهند هو جمال الدين الأفغاني وكذلك فإن حركات التحرر في العالم الإسلامي بكل صراحة نشأت ونمت من فكر علماء الإسلام، فكل جوه ومظاهر مواجهة الاستعمار نبئت من خلال جهود علماء الكتاب ثم امتصّها أناس آخرون وحققوا المكاسب ودخلوا على الخط بعد أن تفجرت من خلال جهود الإسلام.. إذاً كان هؤلاء قد حققوا آثاراً طيبة في تحقيق الإحساس بالظلم ومواجهة المستعمر ونجحوا، وقد زال الاستعمار بفضل هذا الفكر التحرري في أذهان هؤلاء والقضية تحتاج إلى تحرر من نوع آخر، ذلك التحرر والدعوة إليه كان ضد مستعمر غريب، أما الآن فنحن نحكم تحت مظلة قواعد وأفكار وقوانين وأنظمة وسلوكيات غير إسلامية فلا شك في أننا نحتاج إلى مفكر رائد يجمع هذه الأفكار ويقوم بإخلاص ومسالمة وحوار مع الآخرين، نحتاج إلى جمع قولنا والعمل من أجل مصلحة بلادنا وأوطاننا، وصحيح أننا إلى الآن نفتقد إلى وجود مثل هذا المفكر ومازلنا نعيش في ظل دول إقليمية ضعيفة وهزيلة لا تستطيع أن تقدم شيئاً أو تفعل شيئاً.

■ **يرى البعض أن تقدم العرب والمسلمين يرتبط بالإصلاح الديني الناجح على غرار ما حدث في الغرب إبان العصور الوسطى.. فما رأيك؟**

هذا خطأ محض، أولاً أوروبا تقدمت لأن الفكر الديني هناك كان يناقض ويقاوم أي تقدم حضاري ومدني وكانوا يعيشون في أفكار ومستنقعات القرون الوسطى، وكان وثمة تخلف شديد وقد أخفق رجال الدين وهُزموا لأنهم لم يستطيعوا أن يواكبوا التطور والتقدم والتفاعل مع متطلبات الحياة وكانوا فعلياً مغلقين على أنفسهم فنجمت النهضة في أوروبا وحقق الإصلاح الديني أفاقه هناك لكن نحن نختلف كل الاختلاف: أولاً ديننا ورجالنا لا تجد أحداً منهم متوراً يكون عنده مثل ما كان عند رجال الدين المسيحي في أوروبا.. لأن الإسلام علمهم أنه دين ودولة.. دين ومنهج.. دين وحياة.. دين ونظام.. هذه المعاني غير موجودة في المسيحية، الإسلام يشمل كل أنماط الحياة الإنسانية أما المسيحية فهي مجرد طقوس وعبادات وأخلاق وأداب ليس فيها نظام حياة بدليل قول السيد المسيح (دع ما ليقيم رقيقص وما لله لله) ولذلك الدولة الرومانية سيطرت على الفكر المسيحي لأن أصول الدين المسيحي تقوم على هذا.. ديننا يختلف ورجالنا يختلفون في منهجهم عن منهج رجال الدين المسيحي لذلك فقضية الإصلاح عندنا غير واردة، لأننا من دون إصلاح نحن متفاعلون مع كل تطورات العصر والزمان والمكان من دون حاجة لا إلى ثورة ولا إلى إصلاح.. هذه طبيعتنا، ومنهجاننا وهذه أصول ومنطقتنا شريعتنا.

■ **يقول نصر حامد أبو زيد: إن ما بريطاني بالقبطي المصري أوسع بكثير مما يربطني بالمسلم الأندونيسي.. فما رأيك؟!**

هذا الفكر نرفضه ومنشؤه قضية المصالح الوطنية، وقد أشبع هذا عندما كنا طلاباً في الأربعينيات.. أنا أتعامل مع المسيحي بكل صراحة وكل وضوح، وعندما افتتح للتعاون مع الجميع وهناك خلطي في هذا الطرح.. المسلم هو المسلم في أي بلاد الدنيا.. المسلم هو ممثل الحق ورسالة الإسلام والتوحيد والإسلام أفضل وأصح عند الله جل جلاله من أي دين آخر إن الدين عند الله هو الإسلام.. فهذا الطرح فيه مغالطة فلا يمكن أن ندخل الفكر في تقييم دين على دين آخر مع المصالح الوطنية فالكلام بهذا الأسلوب خطأ.. نحن نرحب بالتعاون بغض النظر عن الاختلاف الديني، نحن نرحب بالتعاون مع أي قوة نعيش معها ولا شك في أن جاري المسيحي يجب أن يتعاون معه لمواجهة الأعداء.. أما الأفضلية عند الله فهذه أفضلية دين على دين فلا يصح أن نقول هذا أفضل من ذلك لأن الأفضلية محسومة في القرآن الكريم فالدين الحق هو دين الإسلام.

■ **هل نحن محتاجون للإصلاح الديني؟!**

لا، ديننا لا يحتاج للإصلاح، وإنما يحتاج لتكتل قوى المسلمين من أجل إعمال الإسلام.

مسالمون.. هم الإرهابيون ونحن المجاهدون ولا يزال الجهاد شرفاً لنا وللإسلام ولذلك هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة والنبوية تدعو إلى الجهاد بمعنى ربّ العدوان ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾.. الإسلام دين سلام ومحبة ينشر دعوته بالحسنى والموعظة الحسنة لا بالإرهاب ولا بالإكراه ولا بالاضطهاد، وهو ليس هو كالأستعمار من أجل اصطياد ما لدى الآخرين من ثروات ومصادرها وأخذها.. كل هذا لا يعرفه الإسلام، فبقارن لي بين الجهاد المشرف للحفاظ على حقوقنا وبلادنا وبين ما تفعله قوى الشر في الوقت الحاضر.

■ **أعود إلى المقارنة بين ضياع الأندلس واستلاب فلسطين هل ترى هذه المقارنة موفقة؟**

إن مأساة فلسطين تمت في أوضاع عالمية دولية تجعل احتلال بلد آخر جريمة وجناية ولا لا تكسبهم حقاً مشروعاً في بقاء الاحتلال لذلك يعدّ سلب فلسطين جريمة ليس في نظر الإسلام فقط وإنما في حسب الشرائع الدولية أيضاً. أما الفتح فلا يعد طريقاً من طرق اكتساب الحقوق ولا أخذ البلاد عنوةً من الآخرين.. هذا ما يتعلق بفلسطين أما ما يتعلق بإسبانيا الأندلس، فقد كان الفتح مشروعاً وكان يعد وسيلة لتحقيق مكاسب لدى الآخرين.. حتى القانونيون يقولون إنه إذا استقر الفتح صاروا هم أهله وإذا كان لا يعترف بهذا الفتح فكيف استقرت الدول.. كل الدول قامت على أساس الغلبة والقهر سواء أميركا أو أوروبا، كلهم فرضوا وجودهم على الضعفاء ولم يستطع أحد أن يعترض عليهم. فقضية إسبانيا صحيح أعادها هؤلاء لكن بعد أن بقي المسلمون فيها مدة 800 سنة ومضى المدة والتقدم طريقة من طرق اكتساب الحقوق.. نحن قصرنا في الحفاظ على هذا المكسب في الأندلس أو إسبانيا، وعودته إلى السكان الأصليين أيضاً كان بطريق التغلب والحروب والفتح فأعادوه إليهم، إذ العملية واحدة والغاية واحدة وهي إبعاد المسلمين عن هذا المكان بمختلف الوسائل.

■ **هل تعتبر العمليات التي تستهدف الشيعة والمسيحيين في العراق مثلاً أعمالاً جهادية؟!**

نحن نرفض أي عمل عدواني على أخوة لنا.. بغض النظر عن انتمائهم المذهبي سنة كانوا أم شيعة أو انتمائهم الديني نصارى أو مسلمين إننا نرفضه كل الرفض ونقول بعدم مشروعية هذه الأعمال. لكن سأتول لك بكل صراحة هؤلاء وُجدوا في حالة من الضغط والإكراه والاعتداء عليهم من كل الجهات فعالجوا الخطأ بخطأ آخر.. لم يجدوا وسيلة لضرب مصالح العدو المحتل إلا بهذه الأعمال.. كذلك لم يجدوا وسيلة من أجل إرساء معالم الحق واستقرار الحقوق في العراق لأهل العراق إلا بضرب من يخون البلاد ويتعاون مع الأميركيين.. فهذه اجتهادات لا أقول لك إنها مشروعة ولكنهم يداونون بالخطأ بالخطأ والمر بالأمم.. والعملية كلها تحتاج إلى إعادة غربة، وإعادة صياغة، وإعادة الحق إلى نصابه فنتفنتهي كل هذه المشكلة. والدليل على هذا أننا عشنا مع غير المسلمين ومع المذاهب الأخرى أربعة عشر قرناً فلم يعتد أحد منا على الآخر لا على النصارى ولا حتى على اليهود الذين كانوا يتعايشون معنا طوال هذه القرون.

إذا نحن لا نفرّ بحال من الأحوال أن يعالج الخطأ بخطأ، إنما نتبغي معالجة منشأ هذا الخطأ وعندئذ تزول كل هذه الأمور والدليل على ذلك كما قلنا سابقاً إنه لم يكن منا أي عدوان ولا إساءة لا على بعضنا البعض لاختلاف المذاهب ولا على غيرنا.. كنا نعيش في أمان ووثام ومحبة، لا يعترض أحد على الآخر، وهذا أكبر دليل على أننا أمة الاعتدال والوسط.. وقد قلت لمدير الصليب الأحمر الدولي عندما دعاني ليعطيني فكرة عن أوضاع العراق والمعتقات والماسي.. قلت له: المشكلة الأساسية هي وجود الاحتلال والحل في زواله.. إذاً عندما نتشخص الداء ونعرف الحقيقة، كل هذه الانعكاسات تزول وتنتهي، لكن تقول لي الآن بعد أن وقعتني في شرك ذنب ضار يريد أفتراضي لماذا قتلته وقتلت كل من حوله، وتقول إنني مخطئ.. هذا شأننا مع أوضاع العراق.. ومع مستعمر يريد الإساءة للجميع ونهب الثروات، لذلك حدثت هذه الهزات التي بعضها مشروع وبعضها غير مشروع.

■ **هل تعتقد أن الحل يكمن في عودة الخلافة من جديد وتطبيق الشريعة الإسلامية؟!**

أما عودة الخلافة فأمر مستحيل، لأننا الآن في الأمم المتحدة تحت مظلة الإسلام خمس وخمسون دولة أي لتساع رقعة العالم الإسلامي.. تعذر عودة الخلافة من الناحية العملية، ولكن يمكن أن يكون هناك اتحاد ووثام مثلاً اتحاد في العمل السياسي والمنهج الاقتصادي وفي الأساليب التربوية وفي الإعلام وفي تمثيلنا أمام الآخرين في الأمم المتحدة وغيرها.. اتحاد يمكن أن يتم على طريقة ما يسمى الاتحاد الفيدرالي، إذا القضية ليست في إعادة فكرة

## معرفة آراء الآخرين

## تؤدي إلى التسامح

## أما الانغلاق فيؤدي

## إلى التعصب

■ **هل نفهم من ذلك ضرورة مساهمة الاتجاه الديني في المهام السياسية؟!**

مما لا شك فيه، إننا نعيش غرباء.. ولابد أن يكون لنا دور في الحياة العامة، نحن نحترم الأنظمة البرلمانية الموجودة، ولكن وجودنا فيها غريب وإذا طمعت هذه البرلمانات فيكون بشخص أو شخصين ليس لهم أي تأثير وإنما التأثير للفكر الآخر.. لابد من صحوّة جديدة حيث يتم التفاعل بين طاقات الأمة.. نحن في غاية الصراحة وغاية الإخلاص لأمتنا وبلادنا، ورغم أن أكثر من في هذه البلاد ينتمون للإسلام لكنهم بعيدون في معطياتهم وانشطتهم وتطلعاتهم.. فالفكرة الآن ليست في مرمى الجهة الإسلامية وإنما في مرمى الآخر.. عند الذين أبعدونا عن كل شيء في الحياة العامة.

■ **اعتماداً على ذلك، هل تعتبر إنجازات الثورة الإسلامية في إيران مثلاً ناجحاً؟!**

النموذج الإيراني خير معبر عن قوة الإسلام وفي أنه دين صالح لكل زمان ومكان وهي إبطال لكل دعاوى المستشرقين والغربيين التي تزوج أن الإسلام لا يصلح للحياة المعاصرة.. إن الثورة الإيرانية فخيرة وقد تكلمت كثيراً بشأنها في عهد الخميني وإلى الآن.. لقد استطاعوا أن يثبتوا للعالم أن الإسلام لا يزال حياً نابضاً بكل حركاته وأفكاره واتجاهاته، وأنه يستطيع أن يثبت مكانته ووجوده في العالم، هذه الثورة خير مثل على ضرورة عودة المجتمع الإسلامي إلى دينه وإن كان للإيرانيين بعض الاختلافات مع بقية المسلمين، ولكن هذا لا يضير، فأنا يهمني أنه وعاء إسلامي استطاع تحقيق النجاح.

■ **ولكن هناك أمثلة لم تؤد الأداء نفسه مثل طالبان في أفغانستان؟!**

لم تكن طالبان حركة مدروسة وشاملة، هم فئة تسلطوا على الحكم، طلاب ليس لديهم فكر أو وعي أو تنظيم أو تخطيط ولم يكن ثمة اتفاق جماعي.. هم بحكم حماسهم ونشاطهم للإسلام قاموا بإظهار الصورة الإسلامية لكنها كانت صورة مشوهة، صورة ناشئة عن جهل بتطبيق أحكام الإسلام، لا تتفق مع حقائق الإسلام لأنها اعتنت بالقديم ولم يكن هناك انفتاح على الجديد فهذه الصورة تختلف عن صورة إيران.. إذاً هي صورة هزيلة وفردية ولم تبق كثيراً لأنه ليس لديها مقومات ثورة الإمام الخميني.

■ **هل تنظر إلى ما كتبه الفقهاء والأئمة في القرون الأولى نظرة تقيسية أم بحثية تمحيضية؟!**

التقييد لا يكون إلا للنص الصريح أو ما يسمى بالنصوص القطعية القينية، فهذه مقدسة، أما اجتهادات الفقهاء فهي دليل على أنهم مدارس كمدارس شراح القانون كل قانون له شراح.. وليس من العيب أن هناك اختلافاً.. وفقهائنا منذ القديم اختلفوا وهذا الاختلاف ظاهرة حضارية متطورة لأن الحق ليس مقصوراً على جهة معينة والاجتهاد ليس وحياً منزلاً بل اجتهاداً نابعاً من الفكر والصفاء النفسي والعق العلمي لذلك أدى هذا الاختلاف إلى أننا يمكن أن نحكم على هذه الجهود المباركة، لأنها مجرد جهود بحثية تختار منها ما يتفق مع رعاية مصالح المسلمين!!!

- ثمة تفسيرات مختلفة لمفهوم الجهاد في الإسلام.. كيف تعرف الجهاد؟!

أنت وقعت مع من يتحدث عن هذا الموضوع في غاية العمق وهذا هو صميم أول كتاب ألقته وهو عن الجهاد وآثار الحرب عام 1962 رسالة الدكتوراه ويوضح ذلك.

الجهاد يفهم فهما خاطئاً عند كثير من الناس، مثلاً أن الجهاد أداة تأديب للآخرين ويصورون أن هذا التأديب ينقض على الأمم الأخرى غير الإسلامية فيفرض عليها الإسلام فرضاً.. وهذا أكبر خطأ في فهم الجهاد. الجهاد أداة رديع لأولئك الذين يعتدون على قيمنا وبلادنا وديارنا، والجهاد أداة الحفاظ على عزتنا وكرامتنا والدليل واضح: لماذا تقوم الأساطيل الحربية وقوى العدوان الخارجي من الغرب وتحتل البلاد وتستعيد العباد ويفرضون كل ألوان الذل والمهانة بالنسبة للعرب وفي أفغانستان، ويمارسون عليهم أبشع ألوان الذل والمهانة والتعذيب والإساءة، هؤلاء مجاهدون.. أم مستعمرون؟.. الجهاد يختلف عن الاستعمار.. الجهاد أداة رديع ضد المعتدي وشرف لنا أن نقاوم المعتدين فالجهاد يرادف ما يسمى اليوم حق المقاومة، وهو حق مشروع أقرته الشرائع السماوية، والدفاع عن الوجود والبلاد والأخلاق والقيم هو أيضاً مشروع في ميثاق الأمم المتحدة وكل الشرائع الدولية. هذه قضية الجهاد.. الجهاد إذاً ليس لفرض الإسلام بالسيف كما يدعي بعضهم. المنصفون من الغربيين يعترفون بذلك، وأريد أن أصلك بكتاب ألفه أحد المستشرقين أثبت أنه لم تقع حادثة في التاريخ الإسلامي تقول إن المسلمين أكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، ما يدل على أن الجهاد ليس أداة لفرض الإسلام بالقوة وإنما وسيلة للحفاظ على الوجود.

حينما تركزنا الجهاد أصبحنا كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، وما عُزّي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا.. عندما تخليتنا عن تنظيم الجيوش للدفاع عن الأوطان تنظيمياً على المستوى اللائق أصبحنا نعاني المهانة ونستجدي الحلول من الآخرين ولن نصل إلى الحل الذي يتفق مع الحفاظ على كرامتنا وحقوقنا.. سلبت منا الأندلس سابقاً بسبب تفرق المسلمين وتركهم الجهاد، وسلبت فلسطين بتعاون قوى الغرب والشر وسلب الآن أفغانستان والعراق.. وهكذا تدور الدائرة علينا ونخسر بلداننا الواحد تلو الآخر وكلهم لا يجاهدون وإذا قامت فئة تقاوم العدوان اتهمنا بما سُمّوه ورؤجوه له في إعلامهم ب (الإرهاب).. لا أجد فكراً منخطاً مثل هذا الفكر.. الذين يدافعون عن بلادهم ونسائهم وديارهم وأوطانهم عندما يوصفون بأنهم إرهابيون ماذا ننتظر منهم؟ أن يستقبلوا المعتدي بالأحضان حتى يقال عنهم إنهم

# أخلاقيات الحداثة وما بعدها « 3 »

## حداثة المابعد: اللاديني لا أخلاقي

محمود حيدر

العقل هي الكشف عن جوانب اللمعقول في الواقع، بل غدت هي البحث عن الصيغة التي يمكن بفضلها اعتبار ذلك الواقع مطابقاً للمعقول. لم تعد الغاية هي التجاوز والتنوير والتغيير، بل أصبحت هي التبرير بعينه. وبدل أن يكون العقل الإنساني موجهاً للواقع المعاصر له، أصبح خاضعاً لهذا الواقع...

### «عقلنة» لا عقلانية الهيمنة

تعبّر اللاعقلانية عن نفسها، دائماً، بوسائل عقلانية. ذلك أن عقلنة ما هو غير معقول، أي منح المشروعية لسطوة رأس المال والشركات وامتداداتها يستلزم تأليف لغة ذرائعية قصدها إضفاء رداء المعقولة على الذي يحدث. لقد اتخذت العقلانية هنا صفة جديدة كل الجدة. أصبحت بمثابة أيديولوجية تسوّغ الربط بين الإجراءات والوسائل المتوفرة وبين ما هو مرسوم من أهداف واستراتيجيات. لعل دولة ما بعد الحداثة (تحتل أميركا نموذجها الصارخ اليوم) هي أكثر النماذج اهتداءً إلى هذا التحويل الأيديولوجي للعقلانية. عند انتهاء الحرب الباردة أخذت الليبرالية قسطها الوفير من الراحة لكي تؤدج انتصارها. زعم منظروها أنها نهاية التاريخ وخاتمته السعيدة. ولقد تسنى لهم بواسطة شبكة هائلة من الاتصالات البصرية والسمعية - أن ينتجوا المقدمات الأولى لمعارف ما بعد الحداثة. استطاعت «العقلانية الأميركية» أن «تفلسف» اللمعقول الدولي، و «تفهم» لا توازنيته. وتؤدج الاستهلاك فتمنحه صفة النظام المقدر، الأيل إلى إنتاج حقائق معرفية تؤسس للديمقراطية الجديدة وحقوق الإنسان. كان على «عقلانية» ما بعد الحرب الباردة أن تقطع صلتها بالمرورث المفاهيمي لحداثة التنوير. لقد حسمت مقالاتها المدعاة بتقريرها أن تداعيات المشهد العالمي «لا يعكس» فقط نهاية الحرب الباردة، أو نهاية حقيقة خاصة بعد الحرب، بل نهاية للتاريخ بالذات: أي نهاية التطور الأيديولوجي للبشرية كلها، وتعميم الديمقراطية الليبرالية الغربية كشكل نهائي للسلطة على البشرية جمعاء. وفيما يوحي إظهار عقلانيتها اعترفت الليبرالية بأن انتصارها جرى في مجال الأفكار وهو لما يزل بمعظمه هناك، فلم يكتمل في العالم الواقعي. كأنما تريد بهذا أن تؤسس لـ «الما بعد» و«ما ينبغي» أن تكون برامجها الميدانية في العالم. لكي تسود الليبرالية سيادة كاملة، مطلقة، تملك خلالها الزمان والكينونة معاً وبلا منازع.

هل تشعر الليبرالية، في زمن «الما بعد العالمي»، أنها بلغت حدود «الجنون» حين جانب نظام القيم وجعلت العالم كينونة منزوعة الأخلاق. ثم هل تجد نفسها واقعة فيما يشبه الخواء المفتوح على اللأمتناهي؟! لقد تنهت الوجودية إلى هذا بصورة مبكرة. فأجابت فيما يشبه الفانتازيا الفلسفية حين وجدت أن اللاعقلانية غالباً ما ترتدي رداء العقل لكي تعيد اكتشاف ذاتها، ثم لتظهر حسننها عارية أمام الملأ. ربما هي تدرك أنها مضطرة إلى الهروب من العقل تحت وطأة المصلحة والدوام وغريزة البقاء. لكن سيبدو أن لعبة الهرب من العقل إلى الجنون كأنها عودة إلى العقل بمخيلة أخرى. إن هذه السيرورة التي ستؤول حتماً إلى مآل كهذا، لا بد أن تنتج معرفة على صورتها. معرفة تسعى إلى ملء الخواء، ولو بأيديولوجيات كاذبة. بحيث تكون المحصلة شيوع قناعات واعتقادات كلية، غايتها عقلنة السائد السياسي ونمط حياة المتفوق، وغايتها تأسيس المزيد من القدرة على اكتساح العالم عبر تحويل التبرير الأيديولوجي إلى مقدس يدخل في ثنايا الوجدان العام للبشرية. بهذا يصير - كل ما ومن يساهم في تشكيل وترسيخ هذه الغايات معترفاً به، وعضواً في المشروع العقلاني وكل - ما ومن - يعرقله يصير لا عقلانياً أو كائناً لا تاريخياً.

العقلاني. غير أن السيرورة التي حكمت العالم على امتداد ثلاثة قرون انتهت إلى منعطفات تراجيدية، وكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية في النصف الأول من القرن العشرين والحروب المتفرقة الكبرى والصغرى في نصفه الثاني، بمثابة علامات حاسمة في التحول النهائي في اتجاه اللاعقلانية الجائرة. أما علامة التحول الكبرى فهي تلك التي انتهت إليها العقود الخمسة من الحرب الباردة. ما رتبت انهيار منظومة تاريخية كاملة من ثوابت الفهم، وأنظمة القيم، وعلاقات القوة، في العالم كله. ربما كانت الحرب الباردة تحصيلاً هادئاً للعقلانية، عندما أرادت أن تستريح من تمجيدها للعنف. إلا أنها ما كانت لتجنح إلى مثل هذه المسألة الماكرة، لولا أن انضبط العالم بتوازن مثير للهلع.. وإلا لكان استأنف الغرب السياسي هذيانه العنيف، ومشى بخيلاء نادرة خلف العقل الهيجلي، مطمئناً لفلسفة القوة، بوصفها علّة التاريخ، وسبب اشتغال العقل وسلواه. سنلاحظ أن هذه الفلسفة (فلسفة هيغل) «تميل إلى تشبيه مدار التاريخ، أي مدار الروح، بمدار الشمس. كانت تقول بأنه إذا كان نور الشمس يسير من الشرق إلى الغرب، فإن ضوء العقل يتحرك في الوجهة نفسها، ذلك أن آسيا هي بداية مسار العقل، أي البداية المطلقة للتاريخ، وأوروبا هي الغرب الفاصل أو نهاية التاريخ».

جرى هذا التنظير الفلسفي مجرى اليقين في غريزة الغرب السياسي. أسس «روحياً» لحملات القوة، وسوغ لمقولة استعمار الشرق، فجعلها تاريخاً

## العالم مقبل على تحول أخلاقي عميق في ظل ما يشهده من تحولات متلاحقة في جميع المناحي الفردية وميادين الحياة المجتمعية

ممتداً لم تنته أحقاؤه بعد. لقد اعتبرت عقلانية التنوير أنها هي نفسها التاريخ، وهي نفسها البديل للزمان اللاعقلاني الذي استولت جهالة القرون الوسطى تحت تأثير المؤسسة المسيحية. ومعها أصبح زمن الإنسان أدنى إلى صحراء تيه لجهة كونه مجرد ما يدونه الإنسان عن تفوقه وقسوته وفعالته وجبروته. أي كل ما يكتبه، أو يروي تقدمه. ولذلك فليس من قبيل التجريد أن يستنتج أيديولوجيو العقلانية الغربية - الأميركية - تعييناً، «أن فن تكوين الحقائق أهم من امتلاك الحقائق». لقد انبرى هؤلاء إلى استدعاء هذه المقولة ورفعها إلى مستوى متعال فكان من نتيجة ذلك أن آلت بهم إلى ذروة اللاعقلانية، بينما هم يدخلون الألف الثالث على حصان التهديد النووي واحتكار السيطرة المطلقة على العالم. إن الخط الذي انتهت إليه العقلانية الحديثة من خلال - مطابقة العقل الكوني الإنساني بين الواقع والمعقول، أي إضفاء العقلانية على المعقول بدلاً من عقلنته - قد دفعت به إلى أن يقبل كشيء معقول عدداً من مظاهر الاستلاب الإنساني، لم يعد العقل مجسداً في الأفعال والأنظمة والعلاقات البشرية، أو أن يسعى إلى البحث عما يحرر من الاستلاب، بل أصبح يبرر أنواع الاستلاب الموجود. وبدا بوضوح أن ضغط الواقع القائم في المجتمع الإنساني المعاصر قد دفع إلى أن يتراجع خطوات إلى الوراء عما كان قد أعلن عنه كغاية له في لحظة انبثاقه، وفي مراحل تطوره الأساسية. لم تعد غاية

لهم من تحتها إفسادات أتوها من حيث لا يشعرون، فيقومون إلى إصلاحها، فيجدون مرة أخرى من الإفساد ما وجدوا من ذي قبل، وهكذا من غير انقطاع؛ وهذا يعني أن أخلاق السطح لا تنفع في الخروج من أفات العمق، بل لا بد في ذلك من طلب أخلاق العمق، وهذه، على خلاف الأخرى، تدعونا إلى الشروع في بناء حضارة جديدة لا يكون السلطان فيها لـ «اللوعوس»، وإنما يكون فيها لـ «الأيثوس» (أي الخلق)، بحيث تتجدد فيها حقيقة الإنسان، لا بعقله أو بقوله، وإنما بخلقه أو فعله؛ فلا مناص إذاً من أن نهض الإنسان لحضارة «الأيثوس»، متى أردنا أن يصلح في العاجل ويفلح في الآجل.

والاعتبار الثاني، أن العالم، بلا شك، مقبل على تحول أخلاقي عميق في ظل ما يشهده من تحولات متلاحقة في جميع مناحي الفردية وميادين الحياة المجتمعية؛ وإذا كان لا بد لهذه التحولات المختلفة من أن تفرز قيماً ومبادئ ومعايير أخلاقية جديدة، فلا يبعد أن ليجأ سادة هذا العالم إلى وضع نظام أخلاقي عالمي جديد كما هو شأنهم مع النظام التجاري العالمي، وإن كان هذا النظام الأخلاقي الجديد قد لا يرى النور إلا بعد الفراغ من وضع سلسلة من أنظمة عالمية متعددة أخرى: اقتصادية وسياسية وعسكرية وإعلامية وثقافية؛ ومرد هذا التأخير إلى سيادة تصور للأخلاق يجعلها تابعة ولأحققة لهذه الأنظمة الأخرى، لا متبوعة وسابقة عليها.

والاعتبار الثالث، أن هناك غياباً كلياً للمسامحة التي تعمل على تجديد النظر في الأخلاق الإسلامية بما يجعل هذا النظر يضيء الفلسفات الأخلاقية الغربية الحديثة، ولا بالأولى يجعله يواجه التحدي الأخلاقي المقبل؛ وهذا الغياب المؤسف لن يزيد المسلمين إلا تضعفوا في مركزهم، ولا سيما أنهم لا يملكون، على ما يبدو في الأفق القريب، إلا ما انطوى عليه الإسلام من القيم الأخلاقية والمعاني الروحية لتثبيت وجودهم وقول كلمتهم في الحضارة العالمية المنتظرة.

ما لا يشك فيه أن الاعتبار التي وضعها طه عبد الرحمن وهو يتقصى مسار التحولات في العقل الأخلاقي الغربي تقضي إلى ضرب من التواصل والتأثير على البنية الأخلاقية للمجتمعات العربية والإسلامية وتلك مسألة سيكون لها مجال مخصوص من النقاش. مع هذا فإن ما يتولاه بحثنا هذا في تحولات الفكر الأخلاقي الغربي قد يؤدي مساحة لا بأس بها من المهمة اللاحقة.

### عقلانية التنوير: أثر بعد عين

لقد مضى زمن مديد بدا أن اللحظة لم تحن لكي يختلي العقل الغربي بنفسه ويتأمل. ثمّة من يزعم، وفي زعمه اقتراب من حقيقة المشهد في الغرب، إن الحداثة وهي تنجز آخر تقنياتها لا تنفك تستغرق في غفلتها التي أدت بها إليها عقلانيتها ذات البعد الواحد. لم تعد العقلانية - كما حملت في نصوص التنوير الغربي - صالحة على ما يظهر - للإحاطة بما صار يعرف اليوم بـ «ما بعد الحداثة». كذلك فإن العقلانية التي نذرت نفسها لاستنقاذ التاريخ من بدائيتها، وأوهامه، وفوضاه، دخلت فيما ينافي قيمتها الأصلية. حتى السؤال الذي أنتجته ليعثر لها عن طريقة فضلي لسيادة العقل، ما فتى أن انقلب عليها. صار سؤالاً استجوابياً في ما يقدمه المشهد العالمي من تغييب لأحكام العقل وقوانينه. كأنما انقلبت هي أيضاً، على نفسها، فاستحالت «طوطماً» للخداع والإيهام، بعدما كانت أنجزت فلسفتها «العظمى» في «تأليه» الإنسان. استهلّت العقلانية بيانها فيما أملتة عليها حاجتها إلى الوثوب والترقي. فكان عليها أن تتوسل الحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان وأن تؤكد وجوب أن يغادر العالم فضاء الوعي الأيديولوجي بما هو - على ما روت - فضاء مكتظ بالأوهام، إلى رحاب الوعي

تتابع (تحولات) نشر بحث الاستاذ محمود حيدر «أخلاقيات الحداثة وما بعدها» وذلك لصلته بالملفات والحوارات التي تجريها، حيث نشرنا في العددين السابقين الجزأين الأول والثاني، وهنا نتابع الجزء الثالث من هذا البحث الهام:

لم يغادر النقاش الفلسفي الذي شهدته الحداثة الغربية المتأخرة ثالث العقل - الدين - الأخلاق. ذلك على الرغم مما ألفت به الثورة التكنو - الكترونية من حجب لا حصر لها على فضاءات النقاش. قد يكون العكس تماماً هو الذي حدث بالفعل. أي أن هذه الثورة بتظاهراتها المختلفة شديدة التنوع، وصولاً إلى الثورة الرقمية والمعلوماتية كتجلٍ أخير لها، سوف تضاعف من الحاجة لاستحضار سؤال الأخلاق والدين ناهيك عن سؤال العقل. وإذا كان لنا أن نلاحظ مناحي واتجاهات حركة التفلسف في الغرب الآن، فنسجد إلى أي مدى يظهر الدين كعامل مؤثر في الظواهر ذات المنشأ الفلسفي. كان العالم الروسي نيقولا برديايف يقول «إن للثقافات الفلسفية دائماً مصدرها دينياً، وظل يميل إلى الاعتقاد، حتى في ذروة شيوع النزعات الفلسفية الإلحادية، أن الفلسفة الحديثة عامة، والفلسفة الألمانية خاصة هي أشد مسيحية في جوهرها من فلسفة العصر الوسيط، وذلك بسبب موضوعاتها الرئيسية وطبيعتها تفكيرها. فلقد نفذت المسيحية - بحسب برديايف - إلى ماهية الفكر نفسه من فجر العصور الحديثة».

لا بل حتى أولئك الذين يوصفون بالتيار الفلسفي المادي أكدوا على ضرورة الدين باعتباره وظيفة أبدية للروح الإنساني، وإنه يجب على الفلسفة نفسها أن تدخل حظيرة الدين وأن تجعله محوراً لها.

الأهم من ذلك أن الاستعادة، الحداثية لمفهوم الأخلاق بما هو ناي عن الشر ونزوع إلى الخير، بل للأخلاق الكناظية المسيحية تعييناً، إنما هي استعادة من باب الوجوب. ثمّة في الغرب اليوم، بل ومنذ بضعة عقود إرهابات ذات حرارة مرتفعة تدعو إلى مراجعة شاملة للعقلانية كمفهوم وكنمط حياة في آن.

في رؤياه النقدية لأخلاق الحداثة الغربية سيلاحظ طه عبد الرحمن - في كتابه الذي أتينا عليه قبل قليل - مديات التهافت التي عصفت بالحداثة فوجد أن الحضارة الغربية الحديثة التي هي حضارة «اللوعوس» (أو حضارة العقل، هي حضارة ذات وجهين: عقلي وقولي وذات شقين: معرفي وتقني، وكيف أن هذين الوجهين ودينك الشقين، وإن قصدا تلبية حاجات الإنسان المختلفة والمتزايدة، فإنهما يضران بأخلاقته بقدر يهددان إنسانيته: فالوجه العقلي من هذه الحضارة يقطع عنه أسباب الترقى في مراتب الأخلاق، والوجه القولي يضيّق نطاقها ويجمد حركتها وينقص من شأنها، والشق المعرفي يخرجها من الممارسة العلمية ويفصلها عن المعاني الروحية، والشق التقني يعمل على استبعادها والاستحواذ عليها كما يحرص على أن يستبدل بها غيرها؛ وما ذاك إلا لأن هذه الحضارة حضارة ناقصة عقلاً وظالمة قولاً ومتأزمة معرفة ومتسلطة تقنية. وفي السياق نفسه يستطرد عبد الرحمن ليظهر أن حاجة المفكر المسلم إلى أن يتأمل في الممارسة الأخلاقية لهاي أشد منها في أي وقت مضى، وهو يضع لهذه الحاجة اعتبارات ثلاثة: أحدها، أن الآفات التي تحملها حضارة «اللوعوس» إلى الإنسان، وهي، كما ذكر، أربع أساسية: «النقص» و«الظلم» و«التأزم» و«التسلط»، والتي تؤذي الإنسان في صميم وجوده الأخلاقي بما يبأس معه من الصلاح في حاله والفلاح في ماله، لا يمكن أن يخرج منها أهلها بمجرد تصحيحات وتعديلات يدخلونها على هذا الجانب أو ذلك من هذه الحضارة المتكاثرة، نظراً لأن هذه التقويمات المحدودة ليست في قوة هذه الآفات الشاملة، حتى تقدر على محو آثارها وسوءاتها الأخلاقية؛ ولا أدل على ذلك من أنهم لا يكادون يفرغون من إجراء هذه الإصلاحات أو تلك حتى تظهر

# الانتفاضة الفلسطينية والاقتصاد الصهيوني

كمال حمودي

هذا المجال، واجهت إسرائيل قيماً أساسياً، إذ حُرمت من السوق الطبيعية، «بحكم موقعها الجغرافي»، وكان لزاماً عليها في هذه الأثناء أن تمتص النقمة المتنامية من الداخل - الفلسطيني - نتيجة الواقع المعيشي الذي انتقل بإيجابياته من الفلسطيني صاحب الأرض، إلى اليهودي المرتزق القادم من الجهات الأربع، وراحت تطلب اليد العاملة الفلسطينية، لتشغلها تحت ظروف القهر والمعاناة نتيجة المعاملة اللاإنسانية واستطاعت أن تصيد عصفورين بحجر واحد - إذ عمدت بعد توسعها في الأراضي التي احتلتها حتى ما بعد 1967/ وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى الزيادة في طلب هذه اليد من أجل تطبيع وترسيخ وجودها في هذه المناطق، لربطها بألية الاحتلال، لذلك، فإن السياسة الإسرائيلية في هذا المجال تمركزت حول تصفية وتفكيك الهياكل الاقتصادية الوطنية وتالياً، خلق شبكة معقدة للاقتصاد الفلسطيني من علاقات التبعية والإلحاق والمصالح المتبادلة مع الهيكلية الاقتصادية الإسرائيلية، إضافة إلى تسخير واستغلال قوة العمل الفلسطينية لمصلحة البنى الاقتصادية الإسرائيلية، ونتيجة لظروف القهر والقمع والاستغلال على كل الصعد كانت الانتفاضة التي تفجرت في 8 كانون 1987 رداً طبيعياً على الحقوق المغتصبة، ونتيجة الفهم الفلسطيني العميق لواقع المسألة، كانت بيانات القيادة الموحدة للانتفاضة تدعو العمال الفلسطينيين العاملين في مؤسسات - الكيان الصهيوني - الاقتصادية إلى الامتناع عن العمل فيها، وقد حصل ذلك ما أدى إلى إلحاق أكبر الضرر بهذه المؤسسات، «قدرت جهات مختصة كلفتها اليومية بحوالي 13 مليون شيكل - ما يعادل 6 ملايين دولار»<sup>(1)</sup> ومما زاد من فعالية امتناع العمال عن أداء واجبه في تلك المؤسسات، صعوبة تأمين بديل عنهم سواء عن طريق استيراد عمالة أجنبية، أو عن طريق المكننة وبخاصة في المجالات التي يتمركز فيها الفلسطينيون مثل قطاعات - البناء - الغزل والنسيج - الأعمال التي تتطلب جهداً عضلياً - بالإضافة إلى الأعمال الحرة... الخ. هذا وتتوقع «مؤسسة الأبحاث الاقتصادية» أن مصانع الكيان الصهيوني ستخسر من جراء الانتفاضة الفلسطينية حوالي 200 مليون دولار سنوياً<sup>(2)</sup>.

وبإيجاز يمكن القول، إن الانتفاضة الفلسطينية قد حفرت غوراً عميقاً في - كسكول - البنية اليهودية - وعلى الصعد كلها، وإن استمراريتها تؤكد يوماً بعد يوم حتمية النصر القريب، لأن كل مسمار تدقه في نعش الصهيونية هو وتد في خيمة اجتماعها، إننا أقوياء إذا ما قرنا ذلك واعتقدنا وعقدنا العزم على التحرير «فالقوة هي القول الفصل في إثبات الحق القومي أو إنكاره».

المصادر:

- 1 - مجلة السياسة الدولية عدد 33 - تموز - 1973، ص 15.
- 2 - استراتيجية الإنماء في إسرائيل، د. عمرو محيي الدين.
- 3 - مجلة الوحدة - عدد 75 - كانون 1 - 1990.
- 4 - الكيان الصهيوني والانتفاضة الفلسطينية، د. عدنان أبو عمشة.
- 5 - 1 - صحيفة يديعوت احرونوت - تاريخ 22 / 1 / 1988.
- 6 - 2 - صحيفة هآرتس تاريخ 17 / 3 / 1988.

## - قراءة أولية -

إن السياسة الاقتصادية للدولة العبرية، قد صيغت بطرق علمية، مذ كان اليهود يخططون للاستيلاء على - جنوب سوريا - فلسطين - وذلك في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال بسويسرا عام 1897/ إلى جانب الخطط الأخرى المقترحة على كل الصعد، لتأتي المرحلة الثانية بعد 15 أيار / 1948/ حيث تبلورت الأهداف حول مسألة خلق قوة اقتصادية وعسكرية قادرة على فرض وجودها، عن طريق سياسة الأمر الواقع، وتحقيق الأحلام التوسعية في إسرائيل الكبرى، وكانت الاهتمامات الصهيونية آنذاك تنصب على ناحيتين هامتين هما:

- 1 - خلق جيش قوي يكون ذا قدرة على تكريس الاحتلال بشتى السبل.
- 2 - خلق اقتصاد متين يتمتع بدرجة عالية من التقدم الفني والتكنولوجي، قادر على تحقيق مستوى مرتفع لمعيشة سكانه، كما يتمتع بالقدرة على الاكتفاء الذاتي كشرط أساسي لتحقيق شروط - الأمن القومي -.

وفي هذا الإطار حازت الزراعة الأولوية في سلم التخطيط، لقيام صناعة تخدم أغراض الإنماء في كل المجالات، ولا يخفى علينا أمر تدفق رؤوس الأموال الضخمة من الجمعيات والمؤسسات اليهودية والأوروبية المناصرة لها، لتقوية الاقتصاد الإسرائيلي، وبالتالي لتحقيق مطامع إسرائيل في الاستقرار الاقتصادي وتالياً، الاستقرار المعيشي، ويتوج ذلك بالاستقرار السياسي لجلب المزيد من اليهود إلى إسرائيل لدفع عملية التنشيط الزراعي والصناعي إلى الأمام، وبالطبع ينتج عن ذلك توجيه حجم ضخم من الموارد لبناء رأس المال الاجتماعي/ التحتي/ اللازم لنجاح عملية الإنماء، إلا أن ازدياد الهجرة إلى إسرائيل نتيجة الدعاية المنظمة والقوية قد أوجد في مرحلة من المراحل - الانفجار السكاني - كانت إسرائيل تجد الحلول له، على حساب أصحاب الأرض الأصليين - فتتوسع الزراعة - وتتنامى الصناعة، مع إقرار قادة الصهاينة بالفوضى الكبيرة في مسألة إيجاد السكن والعمل لهؤلاء المهاجرين، إلا أن الدعاية اليهودية كانت بالمرصاد لهذا الخلل، فصورت للأخريين أن هذا الكيان، وفي غضون سنوات قليلة قد قام بمعجزة لا يقوم بها أحد غيره، في مجال عملية الإنماء خاصة، وحقيقة الأمر أن الصهاينة كانوا غارقين حتى رؤوسهم في فوضى لا مثيل لها من الخلطة في مسألة الصادرات والواردات إلى مسألة استثمار المواد الأولية، إلى الفوضى في تشغيل اليد العاملة المتزايدة نتيجة الهجرة المكثفة، بالإضافة إلى مسألة الإنفاق الحربي - وحسب باحث اقتصادي إسرائيلي - «إن إسرائيل منذ قيامها وهي تعيش في محيط عدواني؟! «هذا المحيط، يتمثل بالدول المحيطة بها (...) وهذه الحقيقة /من وجهة نظر الباحث/ فرضت قيماً هاماً على عملية الإنماء الإسرائيلية، ويتمثل هذا القيد في توجيه جزء كبير من الموارد النادرة المتاحة إلى الإنفاق الحربي، لذلك كان لزاماً على إسرائيل ونتيجة لضيق حجم السوق، وافتقارها لقطاع الصناعات الثقيلة، أن يتوجه جزء كبير من إنتاجها نحو السوق الخارجية «الصادرات» إلا أنه في

الوسيلة الأشد فظاعة، لاستلاب الكائن البشري. وقبل بضعة عقود كان للمفكر المعروف هيربرت ماركوز رؤية ثاقبة في تشكيل صورة مستقبلية للمجتمع الصناعي الغربي. لقد كشف عن مقولة الإنسان ذي البعد الواحد الذي خلقه المجتمع ذو البعد الواحد. فالإنسان في هذا المجتمع فقد حقه في الحياة بمجرد أن سلم للمجتمع مقاليد أمره. فتوهم بأنه يعيش الحرية فيما هو يغرق في استلاب سحيق لا قاع له. رأى ماركوز يوماً أن «المجتمع المستلب» يلبي حاجات وهمية لإنسانه من خلال الدعاية الكاذبة ووسائل الاتصال الجماهيرية الخادعة. وفي اعتقاده أنه إذا كان المجتمع يحرص - بهذا المعنى - على تلبية هذه الحاجات المصطنعة أفليس ذلك لأنها شرط استمراره ونمو إنتاجيته فحسب، بل أيضاً لأنها خير وسيلة لخلق الإنسان المسلوب، القابل بالمجتمع ذي البعد الواحد المتكيف معه، وما الإنسان ذو البعد الواحد في هذا المعنى، إلا ذاك الذي استغنى عن الحرية بوهم الحرية. فإذا كان (هذا الإنسان) يتوهم بأنه حر لمجرد أنه يستطيع أن يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات التي يكفلها له المجتمع لتلبية «حاجاته»، فما أشبهه من هذه الزاوية بالعبء الذي يتوهم بأنه حر لمجرد أن منحت له حرية اختيار سيارته (...). إن المجتمع الصناعي المتقدم لم يزيغ حاجات الإنسان المادية فحسب، بل زيف أيضاً حاجاته الفكرية، أي فكره بالذات. الفكر أصلاً هو عدو لدود لمجتمع السيطرة، لأنه يمثل قوة العقل النقدية، السالبة، التي تتحرك دوماً باتجاه ما يجب أن يكون لا باتجاه ما هو كائن. وهذه القوة هي في خاتمة المطاف قوة إيديولوجية. إن المجتمع ذا البعد الواحد قد أحاط الإيديولوجيا بالازدراء والتحقير باسم عقلانيته التكنولوجية، بل هو امتصها وأبطل مفعولها. مع أن هذا لا يعني بالطبع أنه لم تعد هناك إيديولوجيا. كل ما هنالك أن المدينة التقنية أصبحت هي الإيديولوجيا. وأبرز وجوهها من هذه الزاوية المذهب العالمي في الفيزياء، والمذهب السلوكي في العلوم الاجتماعية، والسمة المشتركة الأساسية لهذين المذهبين هي الالتزام بالواقع المعطى أو القائم، ونبذ المفاهيم الشمولية أو النقدية التي تهدد بالكشف عن بعد آخر لذلك الواقع.

لم يسفر منطق التحولات الذي استغرقت الرحلة الطويلة للحدثة الغربية، إلا عن إدخال الإنسان في لجة اللأيقين. أما كارثة التحرر التي تحدث عنها ماركوز فهي تلك التي دفعت العالم إلى فضاء الأعتقانية بوسائط عقلانية. وهنا تكمن على نحو خاص قوة المجتمع ذي البعد الواحد: أي الطابع العقلاني للأعتقانية. لقد ذهب مديرو هذا النوع من المجتمع إلى تسويق ما عرف بـ«الفكر الإيجابي». أي الفكر الذي يمهد لسبورة القبول والإذعان وعدم الاحتجاج. إن الأكثر مدعاة للهلع في هذه السيرورة، هو أن الفكر الإيجابي ناجم من امتثالية صارخة للأمر الواقع. كأنما القبول القسري «للإيجابية» سيتحول إلى إيمان بها، وإلى اعتقاد بقيمتها العليا وبحسب ماركوز فإن «القبول بالفكر الإيجابي هو قبول قسري ويبين ذلك بالقول أنه قسري لا بحكم الإرهاب، وإنما بفعل سلطة المجتمع التكنولوجي وفعالته الساحقة المغفلة. في حين أن الفكر الإيجابي يؤثر من هذه الزاوية المحددة على الوعي العام، وبالتالي على الوعي النقدي. كذلك فإن ابتلاع الإيجابي للسلبى يتمثل في التجربة اليومية العاجزة عن التمييز بين الظاهر العقلاني والواقع الأعتقاني. لقد ذهبت العقلانية في «أدلجة» نفسها حتى الرمق الأخير. لكنها لم تستيقظ من لاوعي الاستحواذ بعد. لقد أدخلت نفسها والعالم في كونه بلا أخلاق، فبدأ المشهد الإجمالي على صورة عالم بلا عقل. ذلك أن عقلانية ما بعد الحدثة، هي الآن في ذروة الخروج على العقل، ومع ذلك فهي لم تغادره حتى في اللحظة التي يشطح فيها نحو الجنون..

لقد منحت هذه العقلانية «العقل» قابلية صريحة للاستخدام والطاعة. فالعقل، على ما نعرف، يملك قابلية أن يتخذ من ذاته موضوعاً. مثلاً يملك القدرة على التخارج نحو العالم واتخاذ معطياته موضوعاً للكلام والفعل. ولهذا فإن جميع الأسئلة. تثار خارج العقل وداخله بواسطة العقل إياه. لكن السؤال عن محل الأخلاق في فضاء العقل، سوف يظل الأهم في الفضاء الأمتناهي لعالم الإنسان. وخصوصاً في أثناء الارتحال المتواصل لحدثة الغرب المقبلة.

باحث في الفكر الفلسفي  
رئيس تحرير مدارات غربية

كان مؤلاً للفيلسوف الفرنسي جان فرنسوا ليوتار أن يقف أمام صورة العالم فيجده على هذا النحو من الخواء والوحشية فإذا هو يقول: «لقد منحنا القرن التاسع عشر والعشرون من الإرهاب قدر ما نتحمل. لقد دفعنا ثمناً باهظاً للحنين للكُل وللواحد، للمصالحة بين المفهوم والمحسوس، بين الخبرة الشفافة والخبرة القابلة للتوصيل. وتحت المطلب العام للنضوب وللتهدئة، يمكننا أن نسمع دممة الرغبة في العودة إلى الإرهاب، في تحقيق الوهم للإمسك بالواقع. والإجابة هي: لشن حرب على الكلية Totality لنكن شهوداً على ما يستعصي على التقديم، لننشط الاختلافات وننقذ شرف الاسم».

كذلك سوف يأتي من الفلاسفة الفرنسيين المابعد حدائين من يعيد التأكيد على أن العقلانية وانتقاد العقلانية كليهما ممارستان تحتاجان إلى العقل كمستند من ناحية، وكخطاب مضمّر أو صريح لكل العلاقات الأخرى، سواء منها المعترفة بسلطان العقل والداعية له، أو المنتقدة لبعض إنتاجه باسم إنتاجات أخرى أتت أو لم تأت بعد. والطريق الذي يقترحه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا والدعوة بالتفكيك، إنما هو استراتيجية ممارسة مختلفة تأتي في الوقت الذي تهافتت فيه كل الخطط حسب رأيه، وقيل كل ما يقال، وفعل ما يمكن أن يفعل. فالخطاب المطلق قد أنجز وانتهى سلطانه. وفي هذه اللحظة بالذات يراد لنا أن نقول شيئاً مختلفاً، وأن نعمل العمل المختلف. وديدا ليس يائساً من استراتيجية التفكيك في حقل كل شيء فيه بات خرباً وأنقاضاً، بالرغم من كون التفكيك واقعاً بين الإحراج الفلسفي (العقلانية والنقد العقلاني للعقلانية). لكن له حيلته ومغامرته. فهو في الوقت الذي يقول فيه أمر الكلام فإنه يدحض، ولو صامتاً، كلام الأمر ذلك. كان يقول مثلاً إن هذا هو الحق (وهو ليس الحق تماماً). وإن هذا هو الخير، (وليس الخير تماماً). وراء الأوامر المنطوقة يقف صف متراس من الأفكار الخلفية الصامتة الأخرى غير المفوطة التي تقيم مملكة المختلف حتى في لحظة الإقرار بكل المزدوجات الفلسفية المعهودة. فتحت قبة

## كارثة التحرير التي تحدث

## عنها ماركوز دفعت العالم

## إلى قضاء اللاعقلانية

## بوسائط عقلانية

الخطاب المطلق ينتهي التاريخ. لكن لعبة التفكيك قادرة على استعادة البحث فيما وراء ذاكرة الرموز والدلالات. إنها ليست الطريق المؤدية إلى الأشعور الذاتي للتاريخ ولكنها تصنع زمان الأشعور التاريخي هذا بعد تحقيقاته الشعورية ذاتها وليس قبلها. فهي ليست قراءة الحاضر لما وراء الماضي، وإنما قراءة ما وراء الماضي في الحاضر ذاته.

## تنوير المابعد: الإنسان مغلولاً

أظهرت تحولات نهاية القرن العشرين ما ينبئ بهزة كبرى أصابت عالم الإنسان. فجعلته على غير سويته وبدلت أحواله على الجملة. وبدا كما لو أن خلاصه يوجب قيامة أخلاقية جديدة. غير أن هذه التحولات لم يقابلها بعد، «قوة توازن» تعيد للعالم صوابه، وتفتح للإنسان باباً للتفاوض. حتى ليبدو الحال، كما لو كان عالم الإنسان يجري بشغف نادر نحو الكارثة. أو كأنه سائر، تحدوه الرغبة ليصنع جسيمه بنفسه. كل شيء، على ما يبدو، يلج فضاء التفاوض الحائر في الغرب الثقافي. وليس ثمة ما يوقف السباق إلى الهاوية سوى ما تبقى، مما يحكى عن حقوق الإنسان. لكن الأمر سيبقى غير موقوف على هذا المحدد الأخلاقي، فالعقل الذي روهن عليه لكي ينتظم أزمته التنوير، «ويؤنس» إنسانها، غداً عقلاً محتلاً بشهوة المصلحة والاستحواذ. ولقد ثبت من تجربة العقل على امتداد تسعة عقود فائتة كم كانت نتائجها كارثية على الإنسان. خصوصاً حين جعل العقل

# البهائية: اعتراف بكل الديانات وتحريم العمل بالسياسة

## « ما جئت لأضع الأحكام، بل لأفك الرحيق المختوم »

حوار : المعتصم خربيط

صهيوني حتى ولو لم يكن يتبع لمنظمة صهيونية». إذا كانت السياسة محرمة فماذا عن الوطنية والوطن؟ يجيبنا كتاب المبادئ البهائية: «يأمر بهاء الله أتباعه أن يكونوا موالين لحكومتهم المتبوعة مطيعين لأوامرها ومقرراتها عاملين على تعزيز كيانها بالخدمات الصادقة والأمانة التامة وتأييد الواجبات الإدارية والوطنية على خير وجه وأكمله كمواطنين مخلصين ورعايا مسلمين أينما وجدوا وفي أي بلد أقاموا».

### أضواء عامة على البهائية

- تعترف البهائية بكل الديانات السماوية السابقة وتقدسها وتعتبر نفسها ديانة مكملة لها، وتقدس جميع الرسل السماويين وكتبهم.

■ ترى البهائية أن «زرادشت» و«بوذا» هم أيضا أنبياء الله وقد تم ذكرهم في القرآن الكريم والإنجيل المقدس. ■ تنفي البهائية فكرة أن الكتب السماوية قد تعرضت للتحريف مفسرة بذلك كل ما ورد في القرآن عن هذا الخصوص بأن التحريف هو تحريف بالأفعال وتصرفات العباد، أما كتب الله فهي سامية عن أن يطالها البشر بالخطيئة.

■ تتبع البهائية في تقويمها السنوي التقسيم «التسع عشري» وهو الذي يقسم السنة إلى 19 شهرا كل شهر يتكون من 19 يوم، ليتبقى بذلك 4 أيام تسمى «أيام الهاء» وأسماء الأشهر مرتبة هي: البهاء، الجلال، الجمال، العظمة، النور، الرحمة، الكلمات، الكمال، الأسماء، العزة، المشيئة، العلم، القدرة، القول، المسائل، الشرف، السلطان، الملك، العلاء، مأخوذة من خطبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

■ الصيام في البهائية صيام كامل عن الطعام والشراب من طلوع الشمس وحتى غروبها، وذلك في شهر العلاء وينتهي صيامهم في اليوم الأخير من العلاء والذي يوافق عيد النيروز حسب التراث الفارسي القديم. أما أيام الهاء فتكون بمثابة أعياد واحتفالات وتبرعات خيرية وهي تقع قبل شهر الصيام مباشرة.

■ تقسم الصلاة في البهائية إلى ثلاث صلوات الكبرى وتصلى مرة واحدة في اليوم، الوسطى وتصلى ثلاث مرات في اليوم والصغرى وتصلى من الزوال إلى الزوال، وتختلف الصلوات عن بعضها بالزمن وعدد السجود والركعات وفترة القيام والقعود، يصلي العبد من بينها صلاة واحدة فقط.

■ المحرمات في البهائية، أو ما يوازي الكبائر في الإسلام لديهم تسعة هي: الاستيلاء على أموال الناس، القتل، السرقة، ممارسة القمار، استعمال الأفيون، شرب الحشيش، شرب المسكرات، إشعال الفتنة والفساد، ارتكاب الزنا.

■ تقوم البهائية على 12 مبدأ هي: أساس الأديان واحد، اتفاق الدين والعلم، التعليم الإجباري، مساواة الرجل والمرأة، وحدة العالم الإنساني، الدين يجب أن يكون سبب الألفة والإتحاد بين الجميع، الاستقلال في تحري الحقيقة، محو التعصبات بأنواعها، اتخاذ لغة عالمية، تأسيس السلام العام، حل المشاكل الاقتصادية، في التحكيم الدولي مبدأ الولاء للحكومة المتبوعة وتحريم الاشتغال بالأمور السياسية.

■ نبينهم ميرزا حسين علي نوري الملقب ببهاء الله (1817-1892) وكتابتهم يسمى «الأقدس»، وفيهم كتاب آخر يعنى بمسألة تفسير الكتب السماوية السابقة واسمه «الإيقان».

مقام حضرة الاعلى مؤسس البابية - فلسطين

واضح حول مقر (بيت العدل الأعظم) الذي يقع في مدينة القدس، وما هو موقف «اسرائيل» منهم، أو على الأقل هل هي راضية عن هذه الجماعة؟ وما السبب وراء وجود تسميات لمقرات بهائية مثل «المحفل المركزي» وتبدو للوهلة الأولى تسميات مشتقة من أنظمة ماسونية؟ وما هو موقفهم من الصهيونية؟ وما هو السلام العالمي الذي تقره البهائية وما هي مجريات هذا السلام وأبعاده المستقبلية وخلفياته السياسية؟

إن مبادئ البهائية تحتك بالسياسة العالمية بشكل كبير، كما تتدخل بتفاصيل سياسية اجتماعية هامة مثل منظمات اليونيسيف واليونيسكو وغيرها والقرارات المتخذة بشأن حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة. إلا أن الفرد البهائي محرم عليه الخوض في المسائل السياسية لا من قريب ولا من بعيد، وأمام إصرارنا على الإجابة عن كل الأسئلة قرر السيد عنفوان عبد الله الإجابة عن أسئلتنا وعلى مسؤوليته الخاصة قائلا: «الدين له مبادئ وقيم وأخلاق سامية هي على الأغلب غير متوفرة في الصراع السياسي، فكيف يترك الإنسان هذا العلو ويتدنّى إلى مستوى الخطيئة؟ السياسة هي مجموعة مصالح والمصلحة لا تتحقق إلا بوجود ظالم ومظلوم، والبهائية ضد الظلم، وهي تتألم مع المظلوم».

عن موقف الأفراد البهائيين من الصهيونية وأرائهم بها يقول عبد الله: «الصهيونية عمل تخريبي أثم وإجرام وظلم، إلا أن الذين اليهودي حق من الله يأمر بالألفة والسلام حاله حال الأديان التي تلتته إلا أن المخربين عبثوا بشعائر الله وطرحوا الصهيونية على أنها أمر من الله، إن أي عمل إرهابي تخريبي هو عمل



عباس أفندي بن بهاء الله شيخاً

عن التنظيم الإداري والمركز الديني الذي يتم الرجوع إليه في المسائل والمشورات الدينية.

### التنظيم الإداري في البهائية

«قد اضطرب النظم من هذا النظم البديع» وهي مقولة لحضرة بهاء الله، وهي تصف النظام الإداري للبهائية والمرجع فيه، كما يسمى، (بيت العدل الأعظم) يليه بالأهمية (بيت العدل الروحاني المركزي) ثم (بيت العدل الروحاني المحلي) وهذه التسميات لا تصف أبنية أو مقرات إدارية بل هي تصف أفرادا يتم انتخابهم ليكونوا المرجع لكل جماعة بهائية يزيد عدد أفرادها عن التسعة، ثم تنتخب الجماعات كلها تسعة أفراد يمثلون بيت العدل المركزي، وفي النهاية تقوم الجاليات البهائية في كل دول العالم بانتخاب تسعة أفراد يمثلون بدورهم (بيت العدل الأعظم).

أما عن نظام التبرعات فهو كالتالي: يقوم البهائيون بإخراج 19٪ من أموالهم المجمدة فقط أو الزائدة عن الحاجة سنويا، وتحديد الفارق بين الحاجيات الضرورية والكماليات يتبع للمفهوم الإنساني والاجتماعي الطبيعي،

أما الأموال العاملة والمستثمرة في السوق أو المأخوذة لقاء الجهد فلا تدخل ضمن إطار التبرعات. يتم صرف الأموال المجموعة وتسمى «حقوق الله» لكل الفقراء حول العالم ما عدا أتباع الطائفة البهائية، لأن البهائية «دين مواساة لا مساواة» في الجانب الاقتصادي بحسب ما أكد السيد عبد الله.

### أزمة النقاش

السياسي في البهائية قد يعتبر الجانب السياسي أهم ما يمكن مناقشته مع البهائيين وخاصة أن علامات الاستفهام تدور بشكل

تساؤلات كثيرة بدأت تطرح نفسها بقوة في الأوساط الصحفية والفكرية بعد أن نشرت صحيفة «تحولات» مقالة مختصرة في عددها الرابع حول البهائية كمجتمع وفكر ديني جديد، وكان لا بد لنا من متابعة الجهد الذي بذلته الزميلة «بادية ونوس» والبدء من حيث توقفت بحثا عن معظم الإجابات حول الجماعة البهائية، من هم؟ وما هو نهجهم الفكري والعقائدي؟ قادنا البحث إلى بعض المعلومات الهامة منها أن الطائفة البهائية تعد أكثر الطوائف انتشارا على مستوى العالم رغم قلة أفرادها عدا في كل مركز من مراكز انتشارها، من هنا توجهنا بالسؤال الأول إلى أحد البهائيين في سوريا عما إذا كان هذا الانتشار عفويا وحدث بشكل تلقائي طبيعي، أم أنه جاء مقصودا من خلال إدارة ما تملك صلاحيات معينة تخولها إحداث تنظيم بهذا الشكل. جاء الجواب واضحا ومباشرا بكلمة (بلى) إن هذا الانتشار مقصود.

كان اللقاء في منزل السيد عنفوان عبد الله، وهو سوري دمشقي من أصل كردي، أربعيني العمر، اعتنق الدين البهائي مع أسرته منذ عقد ونيف. يمكن القول أن الفرد البهائي يعمل على عكس صورة حضارية تعبر عن الدين، ابتسامه هادئة ومحبة ومنزل مضياف وكريم وتعامل راق ومهذب إضافة إلى الحوار المفتوح على كل التوجهات الفكرية مع احترام رأي الآخر مهما كان.

أصر السيد عبد الله على أن يتم التفريق بين وجهة نظره الخاصة وبين التعاليم الأساسية للدين وفحواه الفكري، خاصة أننا ابتدأنا الحديث بالفارق بين الديانة البهائية والمذاهب الإسلامية الأخرى وأوجه الشبه بينها، فأكد لنا عندئذ أن البهائية ليست مذهباً إسلامياً أو فلسفة دينية بل هي دين منفصل أوحى به الله إلى «حضرة بهاء الله» وهو نبي الرسالة البهائية التي أرسلت إلى البشرية جمعا - بحسب الفكر البهائي - وجاء في كتاب المبادئ البهائية: «ولد الدين الذي أسسه بهاء الله في إيران حوالي منتصف القرن التاسع عشر وثبت مركزه الروحاني الدائم في أرض المقصود نتيجة لنفي مؤسسة المتعاقب «أي المعاقب» الذي انتهى بنفسه إلى عكا» ويضيف الكتاب: «بالرغم من نشوئه من المذهب الشيعي الإسلامي واعتبار أتباع العقيدتين الإسلامية والمسيحية إياه في مراحل تطوره الأولى فرقة غامضة، أو نظاما من أنظمة الدين الآسيوية، أو مذهباً من مذاهب الديانة المحمدية، إلا أن هذا الدين أخذ الآن يدل بصورة متزايدة على حقه في أن يعترف به كتقرير جديد للحقائق الخالدة المودعة في قرارة كل دين من الأديان الماضية».

برأي السيد عبد الله أن: «العصر يتطور مع الفكر البهائي، والأفكار المذهبية - وليس الدينية - تتطور مع العصر». يقصد بذلك أن التعاليم الدينية الخاصة بالبهائية استطاعت برأيه أن ترسم الطريق الأسلم والنهج الأفضل الذي تتبعه البشرية في الوقت الراهن، من ذلك مثلا مبادئ البهائية في التعليم الإجباري، واتخاذ لغة عالمية، ومساواة الرجل والمرأة وغيرها من المبادئ الإثني عشر التي وضعتها البهائية. في حين تكون مهمة الرأي المذهبي أن ينهل من الأساس الديني، سواء المسيحي أو الإسلامي تعاليمها تتناسب مع تطورات العصر ومن هنا يكون تعدد الطوائف وطرائق التفكير.

جدير بالذكر أن البهائية لم تتعرض لانقسامات طائفية أو مذهبية رغم مرور 160 عاما على ظهورها، وذلك باعتبارها ديانة منفصلة عن غيرها، ما دفعنا إلى السؤال



## الشيخ عبد اللطيف وهبة كرجاج:

### الموحدون المسلمون هم أحد المذاهب الإسلامية، القرآن الكريم كتابهم، وسنة نبيهم هي منهجهم ومسالكهم

شهد الإسلام منذ مراحل المبكرة بذور انشقاقات لتشكل لنا في نهاية المطاف مجموعة من الطوائف والمذاهب الدينية التي تستند إلى الإسلام وكان لها مواقف ونظرات متباينة من المعتقدات الدينية المختلفة وصلت إلى حد الصدام والتكفير. وكان لا بد لنا في هذه المرحلة التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية إلى الكثير من سوء الفهم أحياناً والافتراء من أغلب الأحيان أن نحاول رأب الصدع وتقريب وجهات النظر بين هذه المذاهب والطوائف التي تلتقي في الكثير من النقاط الجوهرية وإن ما يجمعها أكثر مما يفرقها.

وهذا ما دفعني إلى إجراء هذا الحوار مع واحد من أتباع المذهب التوحيدي الإسلامي وهو «الشيخ عبد اللطيف وهبة كرجاج».

حوار : هيام الجندي

وجود مماثل لما أتى به رسول الله (ص) فهذا افتراء.. إن كانت هناك محاولة قد قامت فكانت على يد انشكين الدرزي (لعنه الله) المارق والخارج على أصول العقيدة الإسلامية في مذهب التوحيد ونحن لا نقبل إطلاقاً أن يلصق بنا هذا الاسم (الدروز) من خلال هذا المارق الخارج على العقيدة التوحيدية الإسلامية.

■ في كل ما تقدمت به عن أصول مذهبكم لا أرى مانعاً من الزواج والاختلاط بالطوائف والمذاهب الأخرى فما رأيكم؟

أسباب عدم الزواج بيننا وبين الآخرين كانت نتيجة لحالة الانغلاق التي مارستها هذه العشيرة وذلك بسبب ما عانتها من الظلم والاضطهاد السافر الذي عوملنا به،

(الموحدون) المسلم وهناك عند بئر زمزم خرج على القوم من المكفرين بأصالة هذا المذهب وصاح!! هؤلاء كفرة. حين ذاك قاموا بذبح أكثر مما ينفون عن ستين شخصاً فطلب الأئمة آنذاك إيقاف رحلات الحج إلى حين. وما بين فترة وأخرى ترتفع أصوات من هنا وهناك أمثال الخطيب في الأردن والسيد طنطاوي بتكفير أصحاب هذا المذهب التوحيدي الإسلامي وذلك لزعم بذور الفتنة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم، إضافة إلى أن ابن تيمية قد أمسك بجذوة المذهب التوحيدي الإسلامي مكفراً.

■ إذا كنت مصراً على الاختلاف بين مذهبكم التوحيدي وبين المذاهب الأخرى فإين تكمن خصوصيات مذهبكم؟

مهما اختلفت المذاهب بعضها من بعض في فهم مكونات الرسالة الإسلامية تبقى الرسالة واحدة.. من الممكن أن تختلف حول بعض الشخصيات الإسلامية بتفضيل إحداها على الأخرى فمثلاً نحن نجل سلمان الفارسي ونعتبره أنه هو الذي أعاد هيكل المذهب وتجميعه وأعطاهم الموقع الذي يليق به في تومة الدعوة الإسلامية والتشيع لآل البيت وقد أجمع عليه الرأي ونعطي مثلاً قول الرسول عليه السلام: (سلمان منا آل البيت) والعقل والنفس في مذهبنا تبقى مصدرراً اشعاعياً للفكر التوحيدي الثاقب والنافذ من خلال البصيرة تعاملاً مع الواقع لتجسيد العقيدة إلى ممارسة فعلية تأخذ بالإنسان (الروح) إلى مبدعها الأزلي من أقرب طريق بعداً عن التكليف وهذا نصيح به بالصوت العالي ألا نجد المطلق (الله) وألا نحشره في زاوية العدم. والأسماء التي يتناولها أصحاب مذهب التوحيد الإسلامي لا تشكل عائقاً ولا تبعد الموحد المسلم عن أصول العقيدة الإسلامية رباطاً مع تفاعل الروح بأسس العقيدة لا خروج عنها. نحن لطالما قلنا لا تعارض لدينا مع الإسلام وقيمه فإية دعوة إلى التجديد والإصلاح تكون نابعة من حرصنا على مسيرة الإسلام حسبما أرادها الله ورسوله لأن الإسلام يتفق مع العقل والبصيرة لا مع البصر والمنطق.

■ ما رأيكم فيما يشاع عن أن حركة (الموحدون) في قلب الإسلام لم تكن سوى محاولة لزعم دين جديد؟

- جميع ما كتب عن الموحدون المسلمين أنهم أرادوا تجديد الدين من خلال الدعوة الفاطمية في أن يكون له

الموحدون دافعوا عن الإسلام في مراحل الأولى منذ أبي ذر الغفاري والمقداد وعمار بن ياسر

■ تعددت تاريخياً آراء المذهب السائد (الرسمي) بالمذاهب الإمامية (الدروز - الموحدون - الإسماعيليون - العلويون) ما بين الموضوعية والتكفيرية والآن أنت مدعو للتعريف بمذهبك مذهب (الموحدون).

الموحدون المسلمون هم أحد المذاهب الإسلامية التي عنى بها الرسول (ﷺ) وهم متأصلون في الأعراب من اليمن وليسوا فخذاً ولا بطوناً ولا ظهوراً أصولهم يمنية، نزحوا منها بعد سقوط سد مأرب يشتغلون بالعقيدة الإسلامية السمحاء، القرآن الكريم كتابهم، وسنة نبيهم هي منهجهم ومسلكهم، ولنا فتاوى من بعض الأئمة الموحدين المسلمين أمثال: الشيخ محمد أبي هلال المعروف بالشيخ الفاضل، وقد سبقه إلى ذلك الأمير جمال الدين التنوخي المعروف بالأمير عبد الله التنوخي صاحب مدرسة الصحوة الإسلامية. في عصره في دمشق وقد أم المسجد الأموي لمدة أحد عشر عاماً وهذه الفتاوى لم تخرج عن صلب الشريعة الإسلامية ولكنها تتجدد بتجدد الزمن بنظرة تتناسب مع الواقع المفروض.

أضرب لك مثلاً تعدد الزوجات، نحن لم نخرج عن الآية الكريمة ((وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تقولوا)). وهذا التغيير جاء بعد فقدان الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي هيبتها، وبسبب التردي الذي طرأ على قلب هذه الأمة، وجد هؤلاء الأئمة أن الإنسان غير قادر على أن يقدم للمجتمع أسرة كبيرة لا نعلم عددها إذا تعددت الزوجات ولن تكون هذه الأسرة معطاء ومرتبطة بالقيم والأخلاق الإسلامية المثلى أو تتوجه ثقافة الدين الإسلامي نظراً لصعوبة التكاليف المادية. لذلك أقر أولئك الأئمة بالأخذ بأواخر الآية الكريمة المذكورة سابقاً بالاكتماء بزوجة واحدة ولعدم أهلية العدل المطلق بالممارسة وثبت بالبيئة أن هذه الفتوى أصبحت قانوناً إسلامياً اجتماعياً لدى هذا المذهب يُعمل به ويعتبر الخارج على هذا القانون أو الفتوى مخالفاً لأوامر الأئمة والواقع المفروض.

■ من الواضح أن لديك إصراراً على أن (الموحدون) هم جزء من الأمة الإسلامية. إذاً ما هي القضايا الخلافية بينكم وبين المذاهب الإسلامية الأخرى؟

لا اختلاف على الإطلاق فيما بيننا وبين السنة لأننا في ممارساتنا اليومية في الطقوس والعبادات وليس لنا بدعة ولا تجديد.

■ ولكن أين أنتم من الحج وباقي أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة؟

إن الحج فريضة بالمستطاع حسبما ورد في الآية الكريمة: ((ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً))، والصلاة وباقي الأركان الإسلامية نقيمها كما وردت في سنة رسول الله (ﷺ).

ولكن أعود إلى مسألة الحج لأذكر فقط أنه في عام 1704م ذهب إلى الحج زكّ كبير وفيه عدد من مذهب

الصلاة والسلام عليهم ولا يوجد شيء سدى في هذا الوجود خارج عن إرادة الله لأنه لو كان هناك جماعة خارجة عن إرادة الله سبحانه وتعالى ولم يبلغوا بنبي أو كتاب أو دعوة أو رسول لكناً قد أوقفنا النقص في العدل الإلهي وحاشى الله أن ينتقص عدله.

■ ما هي علاقة مذهب التوحيد الإسلامي بالفلسفة؟

لنستعرض ما قاله أفلاطون: «بأن الروح هي قطعة لاهوتية من ذات الله وبما أن المنحة تتساوى مع صفات المانع فكما أن لمانحة صفة الديمومة والبقاء فكان لها الخلود الأبدى بلا زوال والجسد هو عبارة عن وعاء لاحتواء الروح ويبين خير الروح وشرها من خلال الجسد».

وقد اعترض علماء كثر من عصره وما بعده على تناول وصف الروح بالقطعة لأنها في علم الماهيات وليس بالكيفيات وبقي هذا الأمر لغزاً محيراً إلى أن أتى الشيخ محمد أبو هلال الشيخ الفاضل رضوان الله عليه وسئل عن هذا الأمر فأجاب: ما نطق أفلاطون إلا حقاً لأن الروح قبل أن يودعها الله الجسد لم تكن محسوسة وملموسة ولما بانث قيمتها من خلال الجسد الملموس جاز له أن يسميها قطعة لبيان قيمتها من خلاله ونحن أبناء هذا المذهب تفاعلنا مع القول على أنه يُعطي الله سبحانه وتعالى كمال الإحداثية فيما أبدع وفيما جسّد الروح في هذا الجسد وهذا لا يتعارض على الإطلاق مع ديمومة الروح وموت الجسد وعودته إلى التراب حسب مسار العقيدة الإسلامية.

■ في نهاية هذا اللقاء أترك لك الحرية في إيصال ما تريد إيصاله إلى الناس.

أود أن أحدث عن الناحية الجهادية لدى الموحدون المسلمين، فالموحدون المسلمون أصحاب إرادة صلبة وقريحة قوية ومعروفون عبر التاريخ وعلى الأخص الأجداد بأنهم دافعوا عن الإسلام في مراحلهم الأولى أمثال: أبي ذر الغفاري والمقداد وعمار بن ياسر أولئك كانوا الحرية الأولى أمام رسول الله (ﷺ) وصحبه في نشر الدعوة الإسلامية ونحن توارثنا حب الجهاد في سبيل الله يقيناً متاً وليس محافظة على إرث فقط. وكانت لنا مواقف نضالية عبر العصور التاريخية ومنا رجال عظام أثبتوا جدارتهم في قتال العدو والدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية قديماً وحديثاً أمثال فخر الدين المعني وسلطان باشا الأطرش.

وإنني أوجه صرخةً يعلوها الضمير الحي لكل من كتب ويكتب عن هذه العشيرة التوحيدية الإسلامية أن يضعوا أيديهم على ضمائرهم ولا يغيروا مجرى التاريخ وألا يدونوا عن تاريخها كذباً ولا بهتاناً وأن ينصفوا هذه العشيرة ولو لمرة واحدة في التاريخ إذا كتب لهم صدق الكتابة.

الإسلام يتفق مع العقل والبصيرة لا مع البصر والمنطق

فصدرت فتاوى من أرباب هذا المذهب على أن تبقى زمرة هذا الدم محصورة بأبنائه لبقاء قوة الإرادة وحمأة الشكيمة للدفاع عن الأرض والعرض أما ما يتردد على ألسنة العوام من أسباب المنع في حقيقة الأمر فلا يقره أرباب المذهب. ■ فيما مضى كانت أسباب الاضطهاد وسوء الفهم تمنعكم من الإجهار بمذهبكم كموحدين، ألا ترى بأن تلك الأسباب قد انتفت الآن ولم يعد لديكم مبرر لذلك؟

ليس عندنا ما نخفيه على الإطلاق من عقائد تنهم بها أو أنها خارجة على الإسلام وإذا كان هناك ما يشيرون إليه فهو فتاوى الهندام الظاهر للمذهب وإن كان الأئمة الأربعة قد اختلفوا فيما بينهم في تحليل أو تحريم بعض النقاط الحياتية في المآكل والسلوكيات فهل هذا يعني أن الأمر يعتبر مروفاً على الإسلام أو خروجاً منه؟ أبدأ بتقوى الفتاوى حسب ما يراها الإمام القائم على تشريع مذهبه وحسب فهمه وتأويله لعنى الآية وثمة آلاف الكتب التي تتعارض فيها الفتاوى بين الأئمة.

■ ما هو موقفكم من (الأديان - المذاهب - الطوائف الأخرى)؟

أنا أقول إن كل الدعوات التي سبقت دعوة الرسول (ص) هي دعوة حق أُنيط بها الأمر من المولى عز وجل وأدت ما عليها بالثبوت والبيئة ولو لم يكن ذلك لما أراد الله لها أن تبقى وأن يقرأ كتابها، وهذا لا يتعارض مع الإيمان بما أتى به الإسلام (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر «وأن كافة الأنبياء الذين ذكرهم القرآن تلفهم

لم تكن هي المرة الأولى التي يتهم فيها الغرب على المسلمين، والإساءة هذه المرة طالت نبي الإسلام تحت عنوان عريض حرية التعبير، حرية الرأي، حرية الصحافة. ولتجاربنا مع الغرب مكابدات وفصول وتواريخ في ظل تلك الإشكالية المزمنة التي تسود العلاقة ما بين الشرق الروحاني المستهدف والمهمش والغرب المادي الاستعماري.

هذا الواقع الإشكالي أظهرته وكشفته وبأوضاع وتعبيرات مفاجئة نسبياً تطورات وأحداث غاضبة عقب نشر صحيفة «بولاندس بوستن» الدانمركية الرسوم المسيئة للرسول العربي الكريم التي ألحقت الأذى بمشاعر مئات الملايين من المسلمين مع هجمات التضامن الاستفزازي.

تلك الأزمة التي أثارها الصحيفة والتي أثبتت أنها رفضت من قبل نشر كاريكاتيرات حول شخصية السيد المسيح كما تعلن الآن رفضها القاطع وبأي صورة من الصور نشر كاريكاتيرات إيرانية حول «الهولوكست» اليهودي، ليس المقصود من ورائها حرية الآراء بل نجدها عملية مدبرة تكمن وراءها أسباب عنصرية وتحقيرية للأخر استخدمتها جهات غربية للتعبير عن خوفها من الانتشار الإسلامي في الغرب وعن نظرتها المتشائمة للإسلام والمسلمين بطريقة جرحت شعورهم. وما حملته هذه الرسوم من مضامين ومواقف ليست جديدة علينا فلا تزال الحكومات الغربية والمنظمات الصهيونية وأحزاب يهودية ومتطرفة تعبر عن معاني الكراهية والازدراء من الإسلام والمسلمين بطرق كثيرة وتبثها من خلال صحافتها الغربية واليهودية ووسائل الإعلام والأقلام المأجورة والفضائيات المشوهة.

ولكن الجديد في الأمر هو اتخاذ هذه الجهات «حرية التعبير» ذريعة للطعن والتهجم وإهانة المشاعر بأسلوب منحط ومناف للصواب والحقيقة وأخلاقيات المهنة.

ربما لم يخطر ببال «بولاندس بوستن» بعد نشر اثني عشر رسماً عدوانياً بخيال مريض عن الرسول العربي الكريم أن تصل بشهرتها خارج حدود الدنمارك بعد أن انتقلت الضجة من جموع المسلمين لتصبح قضية أخلاقية شائكة على المستويات الرسمية العربية الإسلامية، وقد ساهم رئيس وزراء الدنمارك فوغ راسموسمين منذ بدايات اشتعال الأزمة في إعطاء المشكلة أبعاداً دولية بترده وغروره حين رفض استقبال وفد من سفراء دول عربية وإسلامية تحت ذرائع حرية الرأي وبزعم أن الصحيفة مستقلة

## حرية الإساءة

### رشا محفوظ

طريق حرية المقاطعة فقد اعتبرها الاتحاد الأوروبي رداً غير مقبول على حرية التعبير والواجب علينا أن نسميها حرية الإساءة بل اعتبرها عملاً معادياً فهدد باللجوء إلى منظمة التجارة الحرة لمعاينة المقاطعين وكأنهم أول من اعتدى. مراسلون بلا حدود قالوا: إن ردود فعل الأنظمة العربية «ولم يلتفتوا إلى ردود الأفعال الشعبية» يثبت عدم معرفتهم بماهية الصحافة، أما وزير الداخلية الفرنسي الشهير بمعاداته للمهاجرين أو مسلمي فرنسا والواصف لساكاني الضواحي منهم بالحثالة فيقول: إنه يفضل المبالغة في الكاريكاتور على المبالغة في الرقابة على النشر.

وغير حكومية. فقد غاب عن بال رئيس الحكومة الدنماركية أن تهديداته بالطرد والمحاكمة والسجن صدرت في ظل رئاسته للحكومة ضد كل من يرفع صورة للرئيس العراقي المخلوع صدام حسين أو رفع العلم العراقي في المظاهرات التي شهدتها العديد من المدن الدنماركية أثناء غزو العراق ونسي أن العديد من الأحزاب الدنماركية التي عارضت الحرب على العراق وصفوه بأنه «ذنب» للرئيس الأمريكي جورج بوش فأين كانت الديمقراطية وتعددية الأفكار والمواقف حين صدرت تلك التهديدات بل أكثر من ذلك حين تعرض البعض للمراقبة والملاحقة.

أما أسلوب الرد العربي على هذه الإهانة عن

## من الإساءات التي طالت الدين الإسلامي منذ عام 2000:

تشرين الثاني 2000:

صحيفة كالاغاري صن الكندية تنشر مقالة تزعم فيها أن الإسلام يحض على قتل اليهود.

تشرين الثاني 2003: فرنسا تصعد حملتها لمنع الحجاب الإسلامي في المدارس وأماكن العمل.

كانون الثاني 2004:

عضو الحزب الوطني البريطاني نيك جرفين ينعت الإسلام بأنه «قيدة فاسدة» ويخلو من أي مساحة للتسوية الضرورية في مجتمع حر ولا يتفق والديمقراطية.

تشرين الثاني 2004: فيلم للمخرج الهولندي فان غوخ يتهم الإسلام بأنه يضطهد المرأة.

أيار 2005: المذيع في محطة إذاعية في واشنطن ما يكل غرا هام يصف الإسلام بمنظمة إرهابية وأنه في حالة حرب مع الولايات المتحدة، ويجدر بهذ الأخيرة ضرب مكة المكرمة بالسلاح النووي.

تموز 2005: الممثل الكوميدي الأمريكي جاكى ميسون - يسخر في برنامج للمذيع جيم بوهانون من الإسلام ويصفه بمنظمة تشجع على القتل والكراهية والإرهاب.

أيلول 2005: الصحيفة الدنماركية Jyllands posten تنشر رسوم كاريكاتير تسخر من الرسول ص.

تشرين الثاني 2005: الهجوم على مسجد في فيينا بالنمسا.

كانون الأول 2005: مذيع محطة شيكاغو الإذاعية الأميركي بول هارفي يصف الإسلام بأنه يشجع على القتل.

كانون الثاني 2006: صحيفة نرويجية تعيد نشر رسوم كاريكاتير تصور الرسول ص بمظهر غير لائق بدعوى حرية التعبير.

كانون الثاني 2006: المذيع الأميركي بيل هاندل من شبكة msnbc يستهزئ بالمسلمين في حادث منى ويصفهم بقطعان المشية.

ولا يمكننا أيضاً فهم هذه الهجمة الغربية دون التوقف عند عبارة لرئيس أساقفة باريس تقول: الإسلام يتسلل من الباب الخلفي ليصبح دين دولة وهي عبارة تعكس الرعب الذي لم يعد يخفى من حقيقة أوروبية تقول: إن لدينا أقلية تنمو تخشى نموها أغلبية تتضاءل الأولى شابة والثانية شائخة والحل دمج الأقلية الشابة دون الاعتراف بخصوصيتها. ويبقى في الأذهان أسئلة عدة عما إذا كانت هذه حرية تعبير أم حرية شتائم وعن الرأي الذي يحرسون على حرية في هذا التناول الموجه تحديداً لصنف من الناس ونوع من حضارات وثقافات بعينها؟

وهل سيجرؤ أصحاب شعار «حرية التعبير» المزعوم الذين أعطوا حق التناول على النبي الكريم وبطريقة كهذه طريقة مسفة ووقحة على التشكيك فيما يسمونها «المحرقة» ولماذا قوانينهم تبيح شتمنا والتعرض لمقدساتنا وتسن خصيصاً لمعاينة من يتعرضون لسوانا؟ ترى أين ذهب أكذوبة حوار الحضارات وحوار الأديان؟

ولا يمكننا الإجابة عن هذه الأسئلة إلا بعد فهم الحملة المركزة على الإسلام أو مواجهتها قبل وبعد الحادثة الدنماركية بمعزل عن كونها حلقة في سلسلة ترد في سياق أشمل وأعظم وخطر رسمت توجهاتها في خدمة مشاريع الغرب القديمة المستجدة في بلادنا، مشاريعهم التي لن تنجح إلا بعد كسر معنوياتنا وتحطيم وجداننا وتمزيق أوطاننا وبعثرة هويتنا، لا يمكن فصلها عما يجري في العراق وفلسطين ولبنان ودارفور، ولا عن خطابات جاك شيراك ضد الأخطار الإرهابية ولا عن قول بوش إنه لا يمكن للإيرانيين الحصول على الطاقة النووية إلا بالشروط التي نضعها وأنه لا يتعين منع إيران من تخصيب اليورانيوم فحسب وإنما يتعين ألا تكون قادرة على تعلم كيفية تخصيبه، أما حماس فيتوجب عليها تغيير برنامجها السياسي وتغيير أسلوب تفكيرها والأهم أن تفكك جناحها العسكري وتغير موقفها تجاه «إسرائيل» حتى لا تعد الديمقراطية الفلسطينية إرهاباً.

وأخيراً هل يمكن فصل الأمر عن استراتيجية البنتاغون التي أعلن عنها وزير الحرب رامسفيلد مؤخراً والتي أطلق عليها مسمى «الحرب الطويلة» على الإرهاب والتي من المفترض كما قال: ستمتد إلى أربعين عاماً والتي رصد لها مبدئياً 70 ملياراً من الدولارات؟.

في عيون الغرب، وستستمر الحرب ضد المسلحين المسلمين على جهات عدة.

أما الفائض في الميزانية فسيخصص للبرامج التعليمية والتدريب المهني وخلق فرص عمل وتحسين الظروف المعيشية للمواطنين السعوديين.

### لبنان

سيدخل العام الجديد ومشاعر الخوف تأسره، مشيرة إلى أن ثمة مخاوف من انزلاق البلاد في صراع شيعي سني كنتيجة لما يحصل في العراق.

### فلسطين و«إسرائيل»

الانتخابات هي المهيمنة على أجندة العام على الساحتين الفلسطينية والإسرائيلية، وستقدم انتقالاً محتملاً في المشهد السياسي على الرغم من أنه لن يكون هناك شيء دراماتيكي كاف يحقق السلام الدائم.

وإدارة شارون ستعلن المزيد من الانسحابات، وسيمضي الجدار العنصري في ابتلاع الأراضي في الضفة الغربية التي قد تصل إلى 10 ٪ حيث سترسم الحدود النهائية بين الطرفين.

## الشرق الأوسط 2006

## في الصحافة البريطانية

### مصر

قالت الصحيفة: إن النجاحات التي حققتها المعارضة في الانتخابات الأخيرة ستجعل من الصعوبة إمكانية مضي الرئيس المصري حسني مبارك في إصلاحات جوفاء.. وستلجأ جماعة الإخوان إلى الاعتدال في خطابها والتأكيد على التغيير السياسي بدلاً من أجندتها المحافظة اجتماعياً وستسعى للحصول على شرعية كاملة للجماعة كحزب. وترى الصحيفة أن الليبراليين بدعم أميركي ينبغي أن يؤسسوا حزباً جدياً يحل محل الحزب الوطني وجماعة الإخوان.

### السعودية

ترى الصحيفة أن الملك عبد الله سيمضي في سياسة الإصلاح التدريجي حيث سيبدو التغيير بطيئاً

سيطرتها على معظم العراق.

أما صدام فسيدين ويعدم وستبدأ محاكمات جرائم حرب أخرى ضد أعضاء آخرين في نظامه.

### إيران

تقول الصحيفة: إن سياسة محمود أحمدي نجاد ستذهب به إلى المقصلة حيث أخذ يعزز من عزلة بلاده عن العالم وخاصة بإنكاره المحرقة اليهودية ومحو «إسرائيل» من الوجود وسط نفور من قبل المحافظين أنفسهم من سياساته وتمثل ذلك في رفضهم ترشيحه لثلاثة وزراء.

وقالت التايمز: إن مضي أحمدي نجاد في طريقه الإسلامي «المتطرف» يجعل من المستقبل أمراً محتوماً وهو العودة إلى الأيام الحالية لهذا النظام.

مجريات الأحداث في الشرق الأوسط وما سيحدث عام 2006 كان من أولويات اهتمام الصحف البريطانية، فالاهتمام على نحو خاص كان بشأن القضية الفلسطينية واختطاف الرهائن البريطانيين. واعتبرت إحدى المقالات أن «إسرائيل» هي السبب الرئيس وراء الوضع المتأزم في فلسطين.

وفي تقرير أوردته صحيفة «تايمز» من مراسليها في المنطقة يتنبؤون فيه بمجريات الأحداث قالت: إن هذه المنطقة هي الأكثر تغييراً في العالم وهي ملاذ منفذي التفجيرات والمتمردين مشيرة إلى بعض الأخبار السارة التي قد تلوح في الأفق.

والبداية في العراق...

ففي الشأن العراقي استبعدت الصحيفة اندلاع حرب أهلية رغم العنف الطائفي المستمر والعاصف في البلاد، وإن التمرد سيمضي غير أن العنف سيخدم نوعاً ما. كما تنبأت بتخوين «أبو مصعب الزرقاوي» واعتقاله أو قتله على أيدي القوات الأميركية، وفي نهاية 2006 لن يبقى سوى أقل من 100 ألف جندي أميركي في العراق مقارنة بـ 160 ألفاً مازالوا موجودين هناك، وقبل حلول الصيف ستبسط القوات العراقية

# القمم العربية على مدى 60 عاماً

حامد أبو سعيد

مؤتمر دولي للسلام في المنطقة تحت إشراف الأمم المتحدة ودعم الانتفاضة الفلسطينية لاستمرارها وإدانة السياسة الأميركية المشجعة لـ «إسرائيل» (في مواصلة عدوانها وانتهاكاتها والوقوف بجانب لبنان لتحرير أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي، وإدانة الاعتداء الأميركي على ليبيا وتأييده لسيادتها على خليج سرت وإدانة الإرهاب الدولي والممارسات العنصرية.

21. مؤتمر الدار البيضاء 1989: الذي استعادت فيه مصر وضعها على الصعيد العربي وعقد في 23 أيار وأكد على تقديم الدعم والمساعدة المعنوية والمادية للانتفاضة الفلسطينية وقيام دولة فلسطين المستقلة، ودعم الموقف الفلسطيني من الانتخابات ويكون تحت إشراف دولي بعد انسحاب «إسرائيل».

22. مؤتمر بغداد 1990: في 28 أيار، حيث رحب بوحدة اليمن، واستمرار الانتفاضة الفلسطينية، وأدان تهجير اليهود وعدم شرعية المستوطنات وإدانة قرار الكونغرس الأميركي باعتبار القدس عاصمة لـ «إسرائيل» ومعارضة المحاولات الأميركية بإلغاء قرار «الصهيونية» شكل من أشكال العنصرية وتوقيف الحماية الدولية للشعب الفلسطيني.

23. مؤتمر القاهرة 1990: 15 آب، على أثر الغزو العراقي للكويت وغابت عنه تونس التي دعت لتأجيله، وقد أدان العدوان العراقي على الكويت وعدم الاعتراف بقرار بغداد ضمّ الكويت ومطالبتها بسحب قواتها وبناء على طلب من السعودية تقرر إرسال قوة عربية مشتركة إلى الخليج.

24. مؤتمر القاهرة 1996: 24 حزيران وأقر الموافقة المبدئية على إنشاء محكمة العدل العربية وميثاق الشرف للأمن والتعاون العربي والإسراع في إقامة منظمة التجارة الحرة العربية الكبرى، والتأكيد على شروط السلام الشامل وانسحاب «إسرائيل» الكامل من الأراضي العربية المحتلة، «القدس الشريف، الجولان، جنوب لبنان» والتوقف عن بناء المستوطنات الإسرائيلية، والحفاظ على وحدة وسلامة العراق.

25. مؤتمر القاهرة 2000: عقد في 21 تشرين الثاني وسمي مؤتمر الأقصى وذلك نتيجة للانتهاكات والعنف الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني وأثر دخول شارون الحرم القدسي الشريف. وتقرر إنشاء صندوق «انتفاضة القدس» برأسمال 200 مليون دولار لدعم أسر الشهداء والجرحى والمصابين وإنشاء «صندوق الأقصى» برأسمال 800 مليون دولار لدعم الاقتصاد الفلسطيني والسماح باستيراد السلع الفلسطينية من دون قيود.

26. مؤتمر عمان 2001: تعهد فيه القادة العرب بدعم صمود الشعب الفلسطيني مالياً وسياسياً إضافة لتمسكهم بقطع العلاقات مع الدول التي تنقل سفاراتها إلى القدس، ووافقت القمة على تسمية عمرو موسى أميناً عاماً للجامعة العربية خلفاً للدكتور عصمت عبد المجيد.

27. مؤتمر بيروت 2002: وكانت القضية الأساسية على جدول أعماله القضية الفلسطينية مع ازدياد التوتر في أراضيها المحتلة واجتياح غزة ومذبحة جنين وحصار الرئيس ياسر عرفات في مقره في رام الله، وأكدت القمة على دعم صمود ونضال الشعب الفلسطيني.

28. مؤتمر القاهرة 2003: وكان بعد احتلال القوات الأميركية. البريطانية للعراق وشدد بيان المؤتمر على ضرورة احترام سيادة الشعب العراقي ووحدة أراضيه.

29. مؤتمر تونس 2004: لم يعقد في موعده يومي 29 و30 آذار بتأجيل من تونس قبل يوم من انعقاده ليعقد بعد شهرين.

30. مؤتمر الجزائر 2005: لم يختلف عن سابقه ببياناته وقراراته العربية.

بعد خمس ساعات من انعقاده عندما رفضت سورية مسبقاً خطة الملك فهد لحل أزمة الشرق الأوسط.

17. مؤتمر فاس 1982: في 6 أيلول، واعترفت فيه الدول العربية ضمناً بوجود «إسرائيل» وكان من قراراته، مشروع السلام العربي مع «إسرائيل» وذلك بانسحاب الأخيرة من جميع الأراضي العربية المحتلة حتى عام 1967 وإزالة المستعمرات من الأراضي التي احتلت بعد هذا العام وقيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

- إدانة العدوان الإسرائيلي على الشعب اللبناني والفلسطيني.

18. مؤتمر الدار البيضاء 1985: في 20 آب، وأقر تأليف لجنّتين لحل الخلافات بين الدول العربية والتنديد بالإرهاب بكل أشكاله ومصادره وفي مقدمته الإرهاب الإسرائيلي داخل فلسطين المحتلة.

19. مؤتمر عمان 1987: في 8 تشرين الأول، وأكد على التمسك باسترجاع الأراضي العربية المحتلة كل والقدس الشريف كأساس للسلام وضرورة بناء القوة الذاتية للعرب، إدانة الإرهاب الدولي، وأن العلاقات الدبلوماسية مع مصر تحدها سيادة كل دولة عربية بموجب دستورها وقانونها.

20. مؤتمر الجزائر 1988: في 7 حزيران وطالب بعقد

السداسية في الرياض، وكل دولة من الدول العربية تساهم بحسب إمكانياتها في إعادة إعمار لبنان ومناشدة دول العالم لإدانة العدوان الإسرائيلي.

13. مؤتمر بغداد 1978: وعرفت بقمة مقاطعة مصر عربياً، حيث أقرت عدم موافقة المؤتمر على اتفاقية كامب ديفيد الموقعة بين مصر و «إسرائيل» ونقل مقر الجامعة وتعليق عضوية مصر، إضافة إلى دعم الجبهة الشمالية والشرقية ومنظمة التحرير الفلسطينية مادياً.

14. مؤتمر تونس 1979: عقد في 20 تشرين الثاني وأكد على التصدي لمؤامرة الحكم الذاتي ودعم نضال الشعب الفلسطيني على النطاق العالمي وأن الصراع مع «إسرائيل» طويل الأمد وهو عسكري وسياسي واقتصادي وحضاري إضافة إلى دعم أعمار لبنان.

15. مؤتمر عمان 1980: في 25 تشرين الثاني، أكد على عزم القادة العرب على إسقاط اتفاقية كامب ديفيد بين مصر و «إسرائيل» ومؤكدين أن قرار مجلس الأمن 242 لا يتفق مع الحقوق العربية ولا يشكل أساساً صالحاً لحل أزمة القضية الفلسطينية والمصادقة على وثيقة «استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك حتى عام 2000».

16. مؤتمر فاس 1981: في 25 تشرين الثاني، شاركت فيه كل الدول العربية باستثناء مصر وانتهت أعمال المؤتمر

## قمة 2006 العربية مالها وما عليها

في شهر آذار الحالي يعقد في السودان مؤتمر القمة العربية الحادي والثلاثون طبقاً لقرار عقد قمة عربية دورية وتبعاً للأحرف الأبجدية للدول العربية.

القمة، هي الثانية في الخرطوم منذ قمة 1967 المشهورة بلاءها الثلاث، ونحن - المواطن العرب - ننتظر من قمة 2006 موقفاً عربياً قوياً بالنسبة للقضايا المطروحة ولا سيما أنها تعقد في خضم صراع مرير وتحالف أميركي - إسرائيلي وازدياد الضغوط الغربية على المنطقة لتمرير المخططات الاستعمارية ولتقسيم أراضيها.

مؤتمر القمة يواجه على أجدنته أحداثاً يعيشها العرب وأهمها: القضية الفلسطينية، وفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الأخيرة، والتهديدات الأميركية والغربية المستمرة بقطع المعونات عن السلطة الفلسطينية ما يهدد بمجاعة الشعب الفلسطيني وتأخر أو توقف بناء البنية التحتية له والتي أخذت بتطبيقه. فقد طلبت ردّ «50 مليون دولار لمعونة الشعب الفلسطيني قبل فوز حماس لأن هذا الفوز لم يكن على المقاس الديمقراطي الأميركي من جهة ثانية كان الرد العربي سريعاً على ذلك حيث أصدرت وزارة الخارجية السورية إعلاناً طلبت فيه تقديم المساعدة للسلطة عوضاً عن وقف المساعدات العربية.

وعلى القادة العرب في قمتهم إيلاء الاهتمام لقضية الهجرة اليهودية من دول العالم إلى أرض فلسطين المغتصبة والتي تحاول من خلالها السلطات الإسرائيلية فرض واقع سكاني جديد خوفاً من القنبلة الديمغرافية الفلسطينية خلال العقود الثلاثة القادمة ما يفقد «إسرائيل» هويتها وغالبيتها اليهودية.

وهنا على القادة العرب التحرك دولياً وإسلامياً وعربياً لمواجهة هذه الهجرة إذ يوجد 8 ملايين يهودي يعيشون حالياً خارج «إسرائيل» مقابل عشرة ملايين في عام 1970.

وأمام القمة العربية القضية العراقية ومشكلة الاحتلال الأميركي للعراق وترتيبات البيت العراقي وخروج القوات الأميركية منه.

وأمامها أيضاً مشكلة السودان جنوبه وشرقه، شماله وغربه والتي تحاول أميركا ومن يأمّر بأمرها عرقلة الوصول إلى حل مشكلاته العالقة وبخاصة في غرب السودان في إقليم دارفور. عدا المشكلات الأخرى المطروحة أو غير المطروحة كمشكلة الصومال والصحراء الغربية والمشكلة السورية - اللبنانية.

والسؤال المطروح الآن، هل سيواجه القادة العرب التحديات بموقف عربي فاعل نابع من توجهم للحرية والكرامة؟ أم أنهم سيفقون مكتوفي الأيدي أمام الضغوط الأميركية والتي تعد الأخيرة نفسها القوة العظمى وتحاول الحؤول دون انعقاد القمة في الخرطوم وذلك من خلال ما تقدم به النائب الديمقراطي فرانك يالون، مدعوماً من قبل 36 نائباً من بينهم رئيس الأغلبية الجمهورية دان بيرتون ودان روهراتشير واليانا روز اليهودية والمعادية للقضايا العربية بمشروع قرار يدعو إلى ممارسة ضغوط من أجل عدم عقد القمة العربية في آذار في العاصمة السودانية. وهل سيحدث ما حدث في القمة العربية عام 2004؟

وأخيراً وليس آخراً. ومن خلال استعراضنا للقمم العربية خلال أكثر من نصف قرن نرى أن البيانات الختامية لتلك القمم والقرارات الصادرة عنها متشابهة وليس أمام القادة العرب سوى التوقيع عليها وهي صالحة لكل زمان ومكان!!

### برسم القمة..

أين السوق العربية المشتركة؟ أين اتفاقية الدفاع المشترك؟ أين ميثاق الشرف والتضامن العربي؟ أين تفعيل العلاقات الثنائية؟ أين العرب من الشراكة الأوروبية؟ أين العرب من منظمة التجارة العالمية؟

ويبقى لي كمواطن عربي أن أطلب من القادة العرب أن تكون جلسات مؤتمر القمة علانية حتى لا يتسرب أي اتفاق إلى الأعداء سراً..!

على مدى ستين عاماً عقدت القمم العربية 30 مؤتمراً ثمانين عشرة قمة عادية و12 استثنائية تميزت هذه الفترة بتغيرات كثيرة من عام 1945 - تاريخ إنشاء الجامعة العربية - إلى عام 1964 فكانت معظمها تعقد لبحث القضية الفلسطينية والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

تلتها فترة الانعقاد غير الدورية ولم يتفق عليها العرب فبدت مؤتمرات متعثرة وشهدت فترات إطالة بين مؤتمرات وآخر وبعدها غدت دورية حيث عقدت بالتتابع إلا مؤتمر تونس 2004 فقد تم تأجيله شهرين.

ونورد فيما يلي تاريخ القمم العربية وأهم ما جاء فيها من قرارات:

1- مؤتمر إنشاص في مصر، 28 أيار 1946، كانت أهم قراراته بحث القضية الفلسطينية والهجرة اليهودية.

2- مؤتمر بيروت 1956: عقد في 13 تشرين الثاني 1956 لمناصرة مصر ضد العدوان الثلاثي وتأييد نضال الشعب الجزائري.

3- مؤتمر القاهرة الأول 1964: عقد في 13 كانون الثاني بناءً على طلب من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ومن قراراتها إنشاء قيادة عربية موحدة.

4- مؤتمر الاسكندرية 1964: عقد في 5 أيلول ومن أهم قراراته إصدار خطة العمل العربي الجماعي لتحرير فلسطين والبدء بتنفيذ مشروعات استقلال نهر الأردن.

5- مؤتمر الدار البيضاء 1965: عقد في 3 أيلول وأهم قراراته الموافقة على نص ميثاق التضامن العربي وتوقيعه من قبل القادة العرب ومساندة الدول العربية للخليج العربي.

6- مؤتمر الخرطوم 1967: عقد في الخرطوم في 29 آب بعد الهزيمة العربية في حرب حزيران أهم قراراته اللاءات العربية الثلاث.

لا للاعتراف لا للتفاوض، لا للصلح.

- العمل على إزالة العدوان عن الأراضي الفلسطينية والعمل على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية.

7- مؤتمر الرباط 1969: عقد في 21 كانون الأول بهدف وضع استراتيجية عربية لمواجهة «إسرائيل» لكن القادة العرب افرقوا قبل أن يصدر عنهم أي قرار أو بيان ختامي.

8- مؤتمر القاهرة 1970: عقد في 23 أيلول على أثر الاشتباكات بين الأردنيين والفلسطينيين وانتهت بمصالحة الملك حسين ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات.

9- مؤتمر الجزائر 1973: عقد في 26 تشرين الثاني بمبادرة من سورية ومن قراراته:

- ضرورة انسحاب «إسرائيل» من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس، واستعادة الشعب العربي الفلسطيني لكامل حقوقه.

- تقديم الدعم المالي والعسكري للجبهتين السورية والمصرية لمواصلة نضالهما ضد العدو الإسرائيلي.

10- مؤتمر الرباط 1974: عقد في 26 تشرين الأول ومن قراراته:

تجنب الخلافات الهامشية، ودعم القوى الذاتية للدول العربية عسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

- اعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني.

11- مؤتمر الرياض 1976: عقد في 16 تشرين الأول بمبادرة سعودية كويتية لبحث أزمة لبنان وكانت القمة طارئة حيث ضمت ست دول (السعودية، الكويت، مصر، سورية، لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وأهم قراراتها:

- وقف إطلاق النار والاقترال نهائياً في لبنان وتعزيز قوات الأمن العربية لتصبح قوات رد داخل لبنان لإعادة الحياة الطبيعية له.

12- مؤتمر القاهرة 1976: عقد في 25 تشرين الأول لاستكمال بحث الأزمة اللبنانية وافر: الترحيب بنتائج القمة

## إعلام وإعلاميون

### عبادة تقلا

× من وقت لآخر يورطونها بتقديم نشرات الأخبار، فتخرج أزهار الغاردينيا من بين أشلاء الجثث، ويبدو الحديث عن أزمة دولية خطيرة كالحديث عن آخر صيحات الموضة ودور الأزياء العالمية !

× منذ اطلائته الأولى مقدماً لنشرات الأخبار، بنى سوراً منيعاً بينه وبين الابتسامة. وبعد أن غمزت الصحافة من قناته، ضبط مرة أو مرتين متلبساً بمشروع ابتسامة فاشل، ولسان حاله يقول : منذ البداية أخبرتكم أن الفرحة ليس مهنتي !!

× دائرة البرامج الرياضية في التلفزيون السوري مطالبة بإعلامنا عن الفترة التي سنضطر فيها لتحمل الكثير من معلقينا الذين نجحوا بأصواتهم الذهبية ولغتهم البسيطة وتفاعلهم الحار في تحويل أجهزتنا التلفزيونية إلى شاشات تعرض صورة المباراة فقط!

× مذيوعات مجلة التلفزيون مرشحات للعمل في متحف الشمع... أما المجلة ذاتها فهناك مساع لتصديرها إلى دولة مجاورة بعد أن أدت رسالتها الفنية في ديارنا.

— بقي أن نطمئن عشاق المسابقات، أن المسابقة المبتكرة للمجلة سيتم نقلها إلى أي برنامج آخر لم يجلب قامته بعد بتيجان المسابقات... ربما برنامج أرضنا الخضراء أو مع العمال... لا مشكلة..

× كلما تصدت لتقديم نشرات الأخبار، ومهما كان نوع الخبر الذي ستذيعه، أشعرتنا أن كارثة حلت بالعالم. أما إذا تورطنا بمتابعة إحدى حلقات برنامجنا أخذتنا الشفقة على ضيوف تصادر آراءهم، وتستعذب مقاطعتهم ولعب أدوارهم.

× تكمن مشكلة معد ومقدم برنامج سياسي معروف في أن تعطشه للكلام يتجاوز بكثير رغبته في الاستماع، لذلك نقترح عليه أن يحل ضيفاً على أحد البرامج السياسية، وأن يتكلم ما طاب له الكلام، لعله عندما يعود إلى برنامجنا يحرص على استضافة أشخاص تتجاوز مشاركتهم حدود الاستماع إليه، أوفي أحسن الأحوال التفوه بأشبهاء أو أشباح كلمات..

× بعد مضي كل تلك السنوات على عملها في التلفزيون، لاتزال تلك الدقائق الخمس التي يفترض أن تقدم فيها نشرتها الرياضية، قادرة على بث الرعب فيها، والتلاعب بأوتار صوتها، مايوذي إلى تغيير لا حد له في أسماء اللاعبين والأندية ونتائج المباريات ومواعيدها.

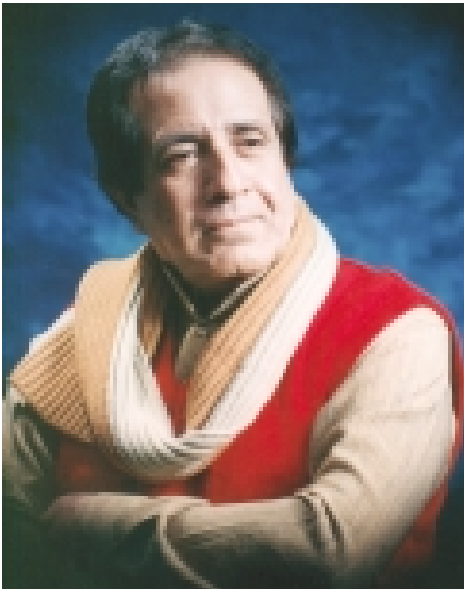
رجاءً بعد أن حط الشريط الإخباري رحاله عندكم أن تديعوا في طريقكم أخبار الرياضة مكتوبة، وجزاكم الله عنا وعننا خير جزاء..

× «أستودعكم صاحب الحمد بأمانه». عبارة جميلة استخدمتها إحدى مذيعاتنا لتختتم بها تقديمها لنشرات الأخبار.

ولكن إصرار مذيعتنا على جعل تلك العبارة طريقته الوحيدة لختام النشرة، أفقدها عفويتها، وحوّلها إلى عبارة مدرسية، مسبقة الصنع.

## المخرج العراقي د. صلاح القصب

### عصرنا مضطرب وسوف تتلاشى فيه قراءات الفلاسفة ورؤى المسرحيين والسينمائيين



**المخرج العراقي د. صلاح القصب أحد أهم الأسماء المسرحية في العراق، خرج العديد من الممثلين والممثلات والمخرجين، وأضاف للمشهد المسرحي العربي الكثير من الإضافات الإبداعية على صعيد الرؤية الإخراجية. ولأن المسرح فن متصل بالناس، يحاورهم ويتعلم منهم، يأخذ من الثقافة ويعيد إليها ما أخذه فرجة وفكرة. صادفته في مهرجان قرطاج المسرحي بدورته الـ 12 ودار بيننا الحوار التالي:**

#### حوار : مصطفى علوش

لحظت هذا القرن الوحشي الذي نعيشه، ونحن نرى أن الصورة كونت لغة اقتحمت كل الحدود التي أشرنا إليها. أما عصرنا الجيولوجي المتغير على المستويين الإنسان والثقافي، فهو عصر مضطرب تصحرت فيه كل مقومات الإنسانية، فلم تعد تسمع فيه إلا «أزيز» الطائرات وأصوات العجلات الحديدية، إنه عصر مضطرب، وسوف تتلاشى فيه وتتصحر كل النداءات التي شكلتها قراءات الفلاسفة والشعراء والتشكيليين من رؤى مسرحية أو سينمائية، ونحن الآن أمام حداد يليق بالموت حقاً.

■ **لنا خصوصيتنا الشرقية بمحورها الثقافي والفني ولنا مميزاتنا الحضارية المتمثلة بتاريخنا وحضارتنا، ترى هل ستجرف الثقافة الغربية كل هذه الخصوصيات عبر أدواتها الإعلامية الجبارة. وهل سيكون مصير أساطيرنا الشرقية مثل مصير السياسي الذي تحول إلى جزء من آلة الغرب الجبارة؟**

الميدية القادمة عاصفة رملية ستغرق كل خطوط الرؤية ولن تعود هناك مرفأى أو موانئ ضيقة، تستقبل القوارب الفضية المحملة بالإلتر الإنسان، ستمتلئ الموانئ بالرمال وستغرق كل السفن، وسيغرق التصحر والجفاف والفيضانات والبحار القادمة، وكل تلك القرارات، التي مجدها الإنسان، سواء بعلماته أو تاريخه، والتاريخ هنا ليس تلك الأطلال والشواهد، ليس ذلك المدون ضمن الكتب القديمة، فعلمات الشعوب وبما تتضمنه من مخزون، تتمركز بالفن أولاً وبالنشد الشعري. وبحر الموسيقى ثانياً. وأنا أعتقد أنه لا يمكن أن تتصاحف الثقافة والمجد الفني، مع عقليات تهندس ضمن أروقة ومختبرات وتكنات وتهدف إلى اغتيال ذلك المجد الذي تزدهم به كل متاحف العالم، فسوف يحرق بوبلير ورامبو والبيتي وبلند الحيدري وأدونيس ونجيب محفوظ وكل تلك الرموز سابقة الذكر وغيرها والتي مجدها الكون، أقول سوف تحرق في مقمق زرقاء خالية، إلا من سحب تجيء غطاءً جويًا يحجب الرؤى أو الصفاء... والسحب هنا وفي هذا المعنى التاريخي لهذا القرن هي التغيب والتهميش في غياهب الثقافة المركزية المدججة بالأيديولوجيات وبمعاني الغضب وحضور الآلة وسطوتها وتخيم أجواء الرعب في كل خلايا الكون التي تنشط ضمن مسافات ومساحات، مجدها الشعر والموسيقا والإنسان. وستظهر هذه الثقافة المركزية المتسلطة نقشاً وخطاً غير واضح، بمعنى أنه نقش مزور لا يحمل ميثولوجيته وروحه التي أسستها قارات متداخلة، قارات تمتلك ثقافتها ورموزها، بمعنى أن لها القانون الجمالي للمدينة، ولذلك الموروث لتلك الإنسانية التي ستغيب لتشكل علامات هلامية لا يستطيع العقل أن يقرأها إلا داخل تكنات حريته، وستغلق القناعات، وكل المراكز التي تشع ببريق البرق وقوته، وسيأخذ الخراب مداه مرة أخرى، وسيقترب بكل تفصيلاته لذلك الميلاد الأول لذلك الإنسان الذي اصطدام لأول مرة برعب الطبيعة، وبعد ذلك سوف تبدأ الأرض مرة ثانية وبمعناها «الديالكينيكي» وستكون هناك قراءات وعلامات ومدن جديدة وستمتلئ الأرض مرة أخرى. برموز كتلك الرموز التي شهدتها القرون الماضية، وستكون ميلاداً لقرون جديدة، وثقافات جديدة وستأخذ الأرض دورتها كعربة شمس محترقة لتدخل مرة أخرى ضمن خريف آخر وهكذا لتستمر الحياة.

■ **كيف تحدد علاقة الصورة ودلالاتها الثقافية مع الإنسان الذي أنتج الصورة والثقافة وأثر فيها وتأثر في علاقة جدلية مستمرة حتى الآن؟**

كانت جلالة الفن حاضرة منذ أول لحظة تواصل فيها الإنسان مع الأرض، لا بل منذ تكونت علاقة إنسانية مع الكون، عبر صراع تجاذب وانهييارات أرضية وزلازل وبراكين، وبعد أن استقبلت الأرض هذا الميلاد الأول للإنسان، لم يعد هناك فضاء يستطيع من خلاله هذا الإنسان أن يتصافح معها للدرجة التي يصعب فيها أن يلتقيا لتكوين للال دافئة بعد أن أغرقتها مياه المحيطات وداستها العربات المجنزرة، لا بل أحرقت اخضرار الغابات، فلم تعد نشم إلا رائحة الخشب المحترق، ولأن الفن حوار ثقافي يخترق القارات الخمس وتتلاشى فيه الحدود والصفاف، فإن هذا الصراع بقي متأجراً بنيرانه الكبريتية، فانطلق الإنسان ليغير بالصورة وفي تلك الرسوم الوحشية المقدسة بالنسبة له، كي يقصي تداعيات الأرض وشرارة الخوف عنه، فبدت رسوم الكهوف حيوانات بلا رؤوس، فجاءت هذه الوحشة إعلاناً للموت، أي موت الأرض بالنسبة للإنسان، وأرادت الصورة بفنّها التشكيلي أن تعيد تلك الموازنة الخفية بين الخوف الإنساني الأول والطبيعة، فالصورة هنا طقس ورؤية وخوف ومجهول، فلم تعد هناك لغة بمعناها الصوتي أو الحرفي بقدر ما كانت هناك الصورة بمعناها الأوسع، وهو المطلق أي التعويذة، كما أن اهتزازات الجسد وطقسيتها وصلاته، كل تلك الإيحاءات والإيماءات شكلت اختراقاً لتلك التجربة، التي لم يستطع الإنسان الأول أن يتجاوزها لغةً، فليس هناك شيء غير الجسد ولغة الطبيعة بنيرانها وانفجارات تلك الزلازل التي أرعبت الإنسان، وهذا يعني أن الرعب هو أزلي وما زال مستمراً في كل العصور.

■ **هل جاء قدوم الصورة بشكل عادي مع وجود الإنسان على هذه الأرض أم أنه قام بإنجازها رويداً رويداً مع كل حرب خاضها أو أزمة مرّ بها؟**

عند استعراضنا للتاريخ ووصولاً إلى الألفية الثانية، نجد أن التاريخ كان مزدهماً بالحروب، فلم تكن هناك حضارات إنسانية متقدمة، فالإنسان كان المصدر الأول لنشر رعب وحجيم ونيران لا تهدأ، وهذا يعني أن الطبيعة قد توقفت عن عدائيتها للإنسان، فبدأ الإنسان يعادي الطبيعة، فأحرق كل الغابات لكي يؤسس مكانها سكك الحديد والقطارات، فبدأ الديناميت ينسف جمالية تلك الطبيعة التي هدأت، والتي أرادت أن تتصافح مع الإنسان، ووسط هذا الاضطراب وهذا اللا معنى اخترق الفن والصورة أساساً، ومن خلال تلك الملاحم التحتية، أراد الإنسان أن يبحث عن لغة جديدة، عن عولة مغايرة. والعولة هنا هي خلق مناخات متداخلة ومتوازنة بين الفنان والإنسان والمحيط.

فظهرت الصورة الأولى وبشكل خاص في القرون المتتالية، السابع والثامن والتاسع عشر... إن الصورة ثقافة ومخيال واتساع وحمي وافتراس في القصيدة الشعرية فكان هناك «أدجار ألان بو» و«بليك» و«بودلير» و«رامبو» كما كان هناك «مونييه» و«مايتيس» و«سيزار» و«هيدجر» وكان هذا التداخل البركاني بمثابة سمو وارتقاء في معنى الصورة، أي أنه النداء الأول، الذي ما زال مستمراً وحتى

## الصورة ثقافة ومخيال واتساع

هكذا ننظر إلى الذي سوف يجيء، وحينها نجد بأنه لم يعد هناك خطوط ونقوش، بقدر ما ستكون هناك جدران لا تستطيع قراءة تلك الكتابات التي احتشدت على مساحاتها الصخرية.

■ **منذ نشأته كان المسرح نقطة تفاعل وجذب لكثير من حقول المعرفة ولكن ضمن هدف مسرحي واضح، الآن كيف يحدد المسرح موقفه ضمن هذا التوجه الاستهلاكي الرقمي، وطغيان قيم الآلة الجامدة؟**

لم يعد هناك خلود أزلي للمسرح أمام تجليات تكنولوجيا العصر التي بدأت تغيّب كل مجد حضاري وإنساني تزدهم بقاراته كل قيم الجمال. فالتكنولوجيا وسطوتها بدأت تصنع أفكاراً وقيماً، بدأت تُغلب المخيلة ضمن صناديق حديدية كي تصدورها إلى قارات أخرى فازدحمت القارات بتلوث التكنولوجيا، وتأزم المسرح واختفق ولم يعد هناك أية صفة يستطيع الفنان أن ينطلق منها ليعيد ذلك التوازن الأزلي أو تلك المنطلقات التي أسستها عظمة ومخيلة الإرث العالمي منذ الإغريق ومروراً ب«ميلر» و«تشيخوف»، وإبسن وغيرها من الأسماء، فتأزم بيكت، ويونسكو، وتأزمت قارات بدأت تحترق من تلك الأطروحات التي تنشرها وتروج لها منظومات الميديا الهائلة ومراكز إعلامية مؤدلجة بالموت وفرق الخوف، بدأت تنشر سطوتها الآلية وفق نظام بصري جديد، تهندسه أجهزة الكمبيوتر والتكنولوجيا وهي شكل آخر لميديا قاتلة ومدمرة، ولم يعد هناك عرض سينمائي مدهش، مثلما كنا نراه عند «فيليبيني» و«برغمان» ولم تعد هناك خرائط تحمل أسماء كشكسبير و«آدمون وإبسن» وغيرها من الأسماء التي كونتها عصور تراكمت بثقافات مزدهمة بالهم الإنساني ومجده العظيم، وسوف يتلاشى المسرح كما الأغنية، فلم يعد هناك مجد للسيمفونية أو لدور الأوبرا أو الباليه، فالأغنية الآن سحقتها هذه الأجهزة المصمته.. وهناك أيضاً برمجة لخريطة كبيرة جداً ليس على المستوى السياسي والإقليمي، بل ستدخل وتفجر المركز أولاً، والمركز هنا هو ذلك الفضاء الفكري والإنساني، وعندما تنهشم الثقافة سوف يتشم كل ما هو أزلي يملك مجدداً وإراثاً إنسانياً متقدماً، فلا محطات ولا موانئ يستطيع من خلالها الفنان أن يتأمل عالماً بلا حروب تتداخل فيه الثقافات لمجد إنساني كبير.



د. نبيل طعمة

## أوروبا

انتبهي فما يحاك لك وما يحدث في أقاليمك ليس من صنع يدك، انتبهي الخطر داهم عليك وأت إليك هي الأيام تمضي فمن يشوه الصور يريد لك أن تتشوهي وفي اعتقادنا أنك لست من يشوه الصور وإرادوا لك أن لا تظهرى بهذا المظهر والذي نعده قريباً من صورتنا وثقافتنا قريباً من شواطئنا نعده صديقاً فألى أين أنت ذاهبة.

انتبهي اتحادك يثير شكهم واقتصادك يخيف اقتصادهم. أولئك القابعون خلف المحيطات عيونهم عليك وعلينا وعلى كل بقعة في هذه الأرض خارج أرضهم يحملون السوط والمبضع يملكون أنياب وأظافر الذئاب ويلبسون ثوب الحمل وإنهم يمارسون الضغط بشعار النصيحة.

هؤلاء خفافيش الليل الأسود يستشعرون الأغبياء بأشعثهم تحت الحمراء فيطرون إليهم ليجمعوا منهم خناجر تغرس في أجساد دولهم وأيديهم على المقابض.

هكذا يطورون فيروس الإيدز يأخذونه خاملاً من ماء العين ليحولوه لفيروس فتاك ينشرونه رعباً وذعراً وبغضاً كما نشروا أيضاً السارس في الصين لتأخير عزم التسارع الاقتصادي.

واليوم ينشرون أنفلونزا الطيور وأيضاً من الصين إلى تركيا وأوروبا إلى أفريقيا .

انتبهي أوروبا اليوم ينشرون الرسوم المسيئة للقداسة والكرامة وللأسف يجدون صدى بينكم يفعلون الحدث يطورونه وفي كل يوم يسعون لانتشاره أكثر عبر ماجورهم ليظهروا بثوب الحمل الجميل ليتقدموا عليك بالفكر ويتحدثوا بأن هذا عيب وخطيئة يجب ان لا تغفروا.

فحضارتك حضارة المسيح والذي نحن صورته وأرضه وأنت امتداده وانتشاره نحترمه ونجله كما أنتم الذين استقبلتموه عبر تعاليمه وتلاميذه.. روما فلتنهضي، أخبرهم عن فيليب العربي وجوليا دومنا والأباطرة والقديسين أبناء أوروبا فأوروبا هي شقيقة قدموس أبناء الملك أجينور ملك صيدا وأصدقاء أدونيس وأصحاب ممالك شرق البحر المتوسط سوريا هذا التواصل الحضاري منشؤنا وانتشارنا واستقبالكم واستلهاكم وإبداعاتكم التي أنتم منها نحترمها ونقدرها وتبادل معها الحب والاحترام فألى أين أنتم ذاهبون.

انتبهي أوروبا يريدون دفعك لتكوني صورة الخطيئة التي يمارسونها وأنت صورة المسيح لقد انكشفت صورهم الحقيقية وظهرت الذئاب كيف يمارسون الوحشية والاستغلال والاضطهاد ونهب الثروات وتفتيت البلدان وتقويض الحضارات انكشفوا وانكشفتوا للجميع بالرغم من محاولاتهم تبييض صورهم فكم يدفعون وكم يشترون كم يبحثون عن أدوات وجدوا ويجدون ولكنهم انكشفوا مع أدواتهم يريدون تحسين صورتهم وبأي ثمن وبأي طريقة، لا تكوني أيتها أوروبا شماعة يعلقون عليها أخطاءهم ومساوئهم. يدفعون للصحف والمجلات والفضائيات والعلماء والخونة ويخاطبون الناس على اختلاف تنوعاتهم وبلدانهم ويهمسون هنا وهناك بأنهم الأفضل لقد دانوا أخطاءكم ليظهروا بأنهم المدافعون عنا وإذا ما أخطأ أحد ما بحقكم يهاجمون ليقولوا ها نحن ندافع عنكم.

انتبهي أوروبا فأنت ابنتنا ومهما ابتعدت فنحن أهلك وعشيرتك ففائلنا اليوم تنمو وستغدو قريباً أشجاراً وفي دورة التاريخ جولات وإننا نعمل ونعمل بجد فما نحتاجه اليوم منكم ستحتاجونه منا وغداً لناظره قريب، انتبهي أوروبا لا نريدك أداة بيد القوة البعيدة. نريدك قوة فاعلة عادلة ناظرة إلى الحق كي تمتلكي الحق. نريدك قريبة منا انتبهي أوروبا انتبهي.

## عن أسمهان واختيار الممثل...والدراما الطبل

صبحي حليلة

أسمهان، أو عاشقين لقوام نانسي، أن نبدي أي رأي، وسترون غدا ردودهم، لكن الأهم، أن ليس هناك حق، أي حق، للفن، والدراما، والتقدم لعظيم الذي «خزقوا» أذناننا بإعلانه والتصريح عنه، ليس هناك حق للأصول والتقاليد الفنية، لأننا لا نملك أصولاً وتقاليداً، ليس هناك من حق، للمهنة، والإبداع، وادعاء احترام عقل المشاهد..

المخرج المالح صرح لاحقاً، وبعد التصريح المليوني للأمورة نانسي، حمى الله عيونها وشفتيها، بأنه لم يرشح نانسي للعمل، ضاربا بعرض الحائط، كل من حضر الترشيح ومن رعاها، ومن توسط لدى المطربة، ومن سعى ومن صرح ومن عرف.. الخ.

ونظراً لأن فيه هذا لم يقنع أحد لربما بات من الممكن أن نسأل على أي أساس يتم اختيار الجميلة نانسي، لدور تلفزيوني ما، أي دور، والأخطر دور لعمل، يفترض أنه ضخم، مادام المنتج دفع في حقوقه غير الكاملة، مبلغاً يكفي لإنتاج مسلسلين من الدراما الاجتماعية، وحوالي نصف مسلسل تاريخي..؟

لكن كل ذلك يحيلنا إلى السؤال الأهم، كيف يتم اختيار الممثل لدور ما، وكيف يتم اختيار الممثلة.. ولماذا.. وبالتالي كيف صنعت نجماتنا.. وكيف فرضن على الدراما السورية التي لن يطول بنا الأمر حتى نكتشف أنها تشبه الطبل..

غير عادل، وغير منصف، وجوائز غير موضوعية، نال الفيلم الجائزة، ليس للمخرج، بل لبطلة الفيلم، الممثلة رنا أبيض، التي وجد كثير من النقاد المعقدين، والمتقنين الذين لا يعجبهم العجب،

أنها كانت خياراً متسرعاً ومغامرة للمخرج المالح، لكن المبدع العظيم فاجأ الجميع، ونال لبطلته، ذهبية «قد الدنيا»، أي إن من حقه أن يقترح من يشاء،

لمسلسله العتيد، مادام مسلسلته، مع هاء الملكية، ومعروف إن جميع المخرجين لدينا يسمون المسلسلات التي يخرجونها، مسلسلاتهم، حتى لو كانت عن سيرة حياة أم كلثوم، أو المهاتما غاندي، ولا مشكلة بالتالي إن اختار نبيل المالح رنا أبيض لدور غاندي، ويسام كوسا لدور أم كلثوم، فالعمل عمله ولا أحد يحق له «الاعتراض»..

من حق المخرج ممدوح الأطرش أن يعترض على اختيار مطربة لها «تيب» معين، وعمر معين، وشكل و«مضمون» معين، لتقديم صورة «أسمهان»، ليس من باب أنه قريب المطربة الأميرة، ولا من باب كونه صاحب المشروع، الذي انسحب من مشروعه بعد صراع دام أكثر من ثماني سنوات، لسبب ما، والسبب ليس الفشل بالتأكيد، ولا الخوف من النتائج، ولا عدم الثقة بالنفس، ولا القبول بملايين، لن يتيجها له إخراج العمل، بل لسبب لا نعرفه.

لهؤلاء جميعاً الحق في الجدل والنقاش، والصراع والتصارع، وليس من حقنا كمشاهدين أو صحفيين، أو محبين لصوت

في الجدل غير المنتهي حول تصوير سيرة المطربة أسمهان، يعترض المخرج ممدوح الأطرش صاحب المشروع الأساسي، على المنتج فراس إبراهيم، الذي اشترى حقوق إنتاج العمل، وعلى المخرج نبيل المالح، الذي يفترض أن يخرج سيرة المطربة الراحلة، بسبب ترشيح المطربة نانسي عجرم لتأدية الدور، اعتراض المخرج الأطرش يلاقي الكثير من المؤيدين، ونانسي عجرم تصرح أنها لن تقبل بأقل من مليون دولار لتأدية الدور.

بنظرة سطحية تدعي الموضوعية، من حق النجمة الساطعة في سماء الثقافة العربية الوليدة، ثقافة الكليب وبناته، والستار أكاديمي وملحقاته، أن تطلب المليون، بل لعلها راعت أصحاب العمل، فحضور من هي نانسي، المعروف أنها تسببت بطلاقات عديدة في صعيد مصر، وجنوب الأردن، ربما يتطلب عشرة ملايين، خاصة أنها ليست ممثلة، وسوف تتنازل كثيراً لتستبدل مكانتها المرموقة في عالم الغناء، لتدخل عالم التمثيل، الذي لن يجعلها في أكثر الأحوال سوى سيدة الشاشة العربية، أسوة بفاتن حمامة، أو على أبعد تقدير مثل أيرين باباس، وربما لو استطاع أحد التأكيد للأمورة نانسي، أنها تستطيع أن تحتل موقع مارلين مونرو، لربما كانت ستفكر في الأمر لفترة أطول..

المخرج نبيل المالح من حقه أن يرشح من يريد لدور البطولة، وللرجل تجارب بديعة في هذا المجال، ففيلمه الأخير، الذي نال جائزة مهرجان القاهرة، قبل أن يكتشف المخرجون السوريون أن المهرجان

## جمال سليمان في حدائق الشيطان



بعد سلسلة النجاحات التي قدمها، وبعد تصوير دوره في فيلم طيلم الذي يتناول سيرة العنديل الأسمر عبد الحليم حافظ، يقوم النجم جمال سليمان ببطولة مسلسل مصري جديد، بعنوان حدائق الشيطان، يقول عنه:

أقوم حالياً بتصوير دوري في المسلسل المصري حدائق الشيطان، بطولتي مع الفنانة سميرة خشاب، وهو من تأليف محمد صفاء عامر، وإخراج اسماعيل عبد الحافظ، وهو دراما اجتماعية تدور أحداثها في الصعيد المصري، ومعظم التصوير خارجي، والعمل ينتمي للإنتاجات الضخمة، وأؤدي في العمل شخصية مندور أبو الذهب وهو رجل مال وتسلط وطغيان، والعمل من إنتاج شركة الجابري.

وحول تأدية شخصية باللهجة الصعيدية الصعبة قال:

اتقان اللهجات أداة من أدوات عمل الممثل، وقد قدمت شخصيات عديدة بلهجات مختلفة، من اللهجة الفلسطينية، إلى لهجات المناطق السورية المختلفة، الحلبية والساحلية وغيرها، ولا أجد مشكلة في اللهجة.

## شركة فنية

### سورية سعودية

أعلن في دمشق مؤخراً عن تأسيس شركة للإنتاج الفني تحت اسم «ميثا للإنتاج الفني»، برأسمال سعودي، في خطوة لدخول المستثمرين الخليجيين مجال الإنتاج الدرامي السوري، من دون وسيط، والمشاركة في السوق الدرامية السورية التي حققت في السنوات الأخيرة نجاحاً لافتاً.

وأوضحت إدارة الشركة إن الهدف هو «إنتاج مسلسلات جادة تحترم المشاهد العربي» وأنها ستتعاون مع الفنانين العرب عموماً، وليس السوريين فقط.

## الدين.. يا وزراء التربية!

سمير اسحق

شكّلت الطائفية عبر التاريخ مدخلاً للإرادات والتدخلات الأجنبية، المعبرة عن مصالح وأهداف الدول الكبرى، في الهلال الخصيب، فإنكترا البروتستانتية تذرعت بحماية الدروز، وفرنسا بحماية الموارنة، إلى ما هناك من حمايات متعددة توزعت على عدد طوائف الجسد السوري الكبير حيث تتجاوز الثماني عشر طائفة مرت في تاريخها بفترات سيطر فيها الفكر الطائفي على نحو كبير ومازال يعاني من تلك الرواسب حتى الآن، وذلك يتجلى واضحاً في النموذج التركي والفرنسي.

وكان الهدف دائماً هو خلق دويلات دينية ترتكس إلى ما قبل الدولة الوطنية، حيث حاولت (سايكس بيكو) أن تمهد الطريق لإقامة تلك الدويلات في جبل العلويين والدروز والموارنة أيضاً، لكن فرنسا أخفقت حينها في تحقيق ذلك إلا أنه بقي أمينةً إسرائيلية - أميركية يحاولون تنفيذها بوسائل مختلفة.

وربما يدفعنا ذلك إلى توضيح معنى الإسلام، فالمسلم هو كل من أسلم أمره لله تعالى سواء عن طريق الإنجيل أو القرآن أو الحكمة.. وبالتالي كلنا مسلمون.. هذه المسألة تطرح بإلحاح قضية تعليم التربية الدينية في مدارسنا الإعدادية والثانوية، فمجرد الطلب من بعض الطلاب أن يخرجوا كي يأخذ القسم الباقي (درس ديانة) والعكس صحيح، يكرس الشعور بالاختلاف منذ الطفولة، ليأتي بعد ذلك دور المجتمع الذي يتكفل بما تبقى من إضافات تزيد الأمر تعقيداً.. لذلك أقتراح على سيادة وزراء التربية عموماً الإجراء الوقائي التالي:

- 1 - تدريس الطلاب مادة اسمها (الدين) في كل المراحل.
- 2 - تكليف المفتي العام والبطاركة والمطارنة بالاتفاق على تأليف هذا المنهاج.
- 3 - مواصفات كتاب (الدين) تركز على القواسم المشتركة بين الديانتين (المسيحية والمحمدية).
- 4 - عنوان الكتاب هو (الدين) ومن الممكن أن توضع على الغلاف الآية الكريمة «ومن يفرق بين الله ورسله فأولئك هم القوم الكافرون»، ومن المسيحية (بالكيل الذي تكيلون فيه يكال لكم).
- 5 - استحداث كلية لتدريس اللاهوت المسيحي أسوة بكلية الشريعة الإسلامية.

### السادة الوزراء:

إن صياغة الوعي الديني والثقافة الدينية أمر في منتهى الأهمية، وصياغته في نفوس وعقول الشبيبة أمر يأتونكم عليه منصبكم الحكومي، لأجل الوصول إلى حالة يصبح فيها الحس الديني منتصراً على الحس الطائفي، انطلاقاً من نفوس الناس قبل النصوص.

إن ذلك يبدو منطقياً ما دامت الوزارة لكل أبناء المجتمع على خلاف طوائفهم ومذاهبهم، ومن أراد من الطلاب الاختصاص فعليه بكلية الشريعة أو بكلية اللاهوت، لأن المركز الأساسي للتنظيمات الأصولية هو فراغ العقول من فهم أصول الدين ما يفسح المجال واسعاً أمام البعض لزرع الأخطاء المقصودة في أذهان وعقول الناشئة.

### السادة وزراء التربية..

نعلم إنكم لا تملكون حق اتخاذ قرار كهذا، ولكنكم تستطيعون اقتراح هذا الموضوع على السلطات العليا فتساهمون بشكل حقيقي في رسم سياسة جديدة وبناءة في هذا المجال.. فالنظير لا ينبع من استيراد الثقافة ولا الخطط، وإنما من حس وطني يستنبط الحلول من خصوصية الوطن وطبيعة المجتمع.

## السياسة تقود الدين

### الدين هو المظلوم الأكبر في الدولة الدينية

نذير الحموي

ويقنع أتباعه بصحة الممارسة فالخليفة الأول الذي نصب في ظرف استثنائي أوصى بالخلافة لمن بعده دون العودة للطريقة التي اعتلى السلطة بها لتكون طريقة فريدة خاصة به والخليفة الثاني أوجد طريقة جديدة تجعل ولايته ذات طابع خاص فهما لم يتركا الجماعة الإسلامية في الخيار في شؤونها إنما خرجا من الدنيا وقد تركا بصمة في مرحلة قادمة. إذا لم يعد مكان للدين وإنما للسياسة وهي التي تأخذ بعنان الدين وتخضعه لرؤيتها من خلال فردية ديكتاتورية مطلقة، أما الصفحة الثالثة من الخلافة الإسلامية فقد شهدت انفجار ما سبقها من مراحل فالتسارع رغبة الدولة وتفاعل المسلمين مع الثقافات المحيطة والتي نزلوا بين ظهرانيها دفعاً الناس إلى الثورة على الخليفة وطريقة وصوله إلى الحكم والطمع بأهليته للقيام بدوره كحاكم حتى قتل في عقر داره وبين يدي زوجته ولم يكن الأمر دفاعاً عن الدين بقدر ما كان نصرة لمصلحة الشعب الذين ازدادت مطالبهم في الخروج على دائرة القبيلة الكبرى لتأسيس دولة حقيقية والخروج من تحت وطأة حكم العائلة التي فرضها الخليفة.

بعد مقتل الخليفة عثمان تركت الجماعة الإسلامية كما في المرة الأولى رأساً، لكن هذه المرة على خلاف ما حدث أجمع المسلمون جميعاً على بيعة الخليفة الرابع وسلم عليه أهل المدينة ومن حضر بالخلافة لكن الظرف أصبح مواتياً لظهور الأطماع السياسية بشكل سافر فأمرأء حرب الجمل تزاموا للبيعة لينتفضوا ويسيروا الجيوش في وجه الخليفة فإن قيل لنصرة الدين فهذا غير صحيح لأنه لم يكن أحد أقوم من الخليفة علي في الدين، لكنها السياسة التي راح ضحيتها الآلاف المسلمين وقطعت آلاف الأيدي وما أن هدأت حتى قام طامع آخر ذو مصلحة سياسية هائلة بعد أن قضى عشرين عاماً في قصور دمشق وعرف أسرار الحكم وحلاوة السياسة وبرع في إدارة الدولة حيث عمل على إقامة حكم ذاتي طوال عشرين عام فلم يكن من السهل عليه ترك الأمر لغيره وهو يعلم أن الخليفة إن استتب له الأمر فلن يبقى فكانت خير وسيلة عنده للدفاع الهجوم فشن حرباً لا تقل عن الأولى وسالت دماء المسلمين نصرة للسياسة وأطماع أفراد لتأسيس الملكية وانتقل الجماعة الإسلامية من مرحلة القبيلة الكبرى إلى مرحلة المملكة المترامية الأطراف حيث أصبحت دولة حقيقية يحكمها ملك مستبد يورث العرش لأبنائه بعيداً عن كل ما سلف من أشكال. فأين النصوص وأين الدولة التي يدعون أنها قامت وهل أصحاب هذه الدعوة يريدون أن ينقلونا إلى الصفحة الأولى أم إلى ما بعدها أم يريدون إعادتنا يعيدونا إلى الملكية المقدسة التي استمرت حتى سقوط الدولة العثمانية.

وما جرى بعد مقتل الخليفة الرابع لا يمكن حصره بصفحات من خروج وتجاهل لنصوص الشريعة بل وإنكار وتزوير وتحوير في سبيل الاحتفاظ بالعروش وتسيير الجيوش خدمة لها. وافتعال الحروب الداخلية بين قبائل العرب وكمّ للأفواه وإزهاق أرواح المعارضة من معتزلة وشيعة وغيرهم باسم الدين. هكذا نرى أن السياسة هي دين الدولة دائماً، ولا دين لها سواه، وهو دين المحافظة على مكاسب السلطة، والدين ليس سوى المظلوم الأكبر في معادلة الدولة الدينية.

رسول الله إلى حين وفاته وكيف يخرج بنو هاشم جميعهم مع خيرة المهاجرين والأنصار على الأمر المنصوص فإن صح الأول حكم على المخالفين بالتمرد والخروج على أوامر النبي وهذا محال لأن فيهم خيرة الصحابة، وإن صح الثاني فإن هذه القبيلة الكبيرة ترك لها أمر تصريف شؤون دنياها وهو الأصح.

إذا.. إن الإسلام دين ووسيلته كانت هيكلية دولة وليست غايته وليس أدل على ذلك إلا أن الدولة من شؤون الدنيا والنبي صرح أن دنياكم أنتم أعرف بها.

وتالياً، فإن مصالح وأطماعاً سياسية لقادة الأنصار بشقيهم والمهاجرين هي التي دفعت لهذا النهج الذي لا أصل شرعياً له وتم اختيار الخليفة. والمصالح السياسية عينها تابعت هذا الموضوع حتى لم يصلنا رأي هذه المعارضة والذي وصل منه عمل عبر قرون على تشويهه والخط من قيمته علماً أنه قد يكون هو الصواب شأن كل المعارضات عبر التاريخ.. بعد استتباب الأمر عملت الزعامات الجديدة التي طغت على سطح القيادة على إخضاع الأمر وإدخاله في دائرة الدين فبين محلل وبين مدافع معتذر وبين متحجر لا يقبل النقاش ويعتبره كفراً. فأما المحللون فقد وضعوا الكلام حتى على لسان النبي محمد (ﷺ) ليبرروا ما حدث فأوقعوا أنفسهم في كثير من المتاهات من الردود والردود المقابلة.. وأما المدافع المعتذر فقد رأى أن الأمر قام حقناً للفتنة وإقامة مصلحة الجماعة وقد بينا أن الأنصار والمهاجرين لم ينتهبوا لمصلحة الجماعة من أي باب كان وأهدافهم كانت واضحة من خلال كلامهم. أما المتحجر فهو الذي اعتمدت عليه الحكومات الإسلامية المتعاقبة في تثبيت دعائم حكمها شعبياً فقد أدخل في عقول المتحجرين أن الأمر شرعي وحدث بالشورى، وأن الخليفة منصوص عليه في الحديث والقرآن بطريقة من الطرق فكان هؤلاء وقود كل معركة تريدون شق عصا المسلمين، هكذا أخضع الدين للسياسة وسارت قوافل السياسة تشق غبار السنين التي أثقلت بالمذابح والحروب، ورجال السياسة يقربون منهم رجال الدين الذين يوافقون هواهم، ويدعمون من يدعم آراءهم ويرفعونهم إلى مصافي القديسين حتى يحلوا العامة على اتباعهم وهذا سائر إلى يومنا هذا. إذاً السياسة أولاً ثم الدين.

إذا طوينا الصفحة الأولى في الخلافة الإسلامية فإننا نجد آلية سياسية جديدة في الخلافة الثانية حيث عهد الخليفة إلى تنصيب خليفة عنه فلا هي شوري بينهم ولا هي سنة نبي متبعة بل رأي فردي ارتآه الخليفة بالنيابة عن الجماعة الإسلامية كلها فقدم رأيه في إدارة الجماعة على الدين، وهكذا فسياسة أبي بكر أخضعت الدين وصنفته ثانياً مع طي الصفحة الثانية نطل على الفصل الثالث فنرى الخليفة عمر يختصر المسلمين جميعاً بستة أشخاص ويضع آلية خاصة بهؤلاء وإن اتفق خمسة ضد واحد يقتل السادس، وإن انقسموا إلى نصفين يختار من كان ابن عوف معهم، إذاً المسلمون ومصيرهم علق بشخص ابن عوف.. وهكذا فإن السياسة تفرض نفسها ورأي الفرد هو السائد وقبل كل شيء.. في هذه الصفحات السابقة، نتلمس ديكتاتورية الحاكم المطلق فالديكتاتور يضع القوانين ويستثنى نفسه

يعتقد أصحاب الدعوة إلى قيام الدولة الدينية خطأ أن الدين سيكون العامل الأساسي في قيادة الدولة حين قيامها وأنها سترتكز على الأسس التشريعية في محاكاتها لعلاقاتها الداخلية والخارجية.. ومهما حاول منظرو هذه الدعوة (الدولة الدينية) إثبات نظريتهم ودعمها بالحجج والبراهين فإن ما بين أيدي الجميع ما يثبت عكس ذلك وأن الدولة الدينية لم تقم حقيقة كما يدعون إلا في فترة وجيزة جداً، ولم تعد فترة وجود النبي محمد (ﷺ) ولذلك أسبابه ومبرراته من حرارة الدعوة ووجود مبلغها وحرارة الدماء التي نزت على مذهب تثبيت الدعوة. وهي لم تكن دولة بالمعنى العلمي والسياسي المتعارف عليه بقدر ما كانت حالة من تجميع قوى متناثرة متنافرة استطاع محمد (ﷺ) بعقريته هائلة جمعهم ضمن بوتقة واحدة وترك لهم أمر الاستمرار في تصريف أمورهم، وبعد انتهاء عصر النبوة بدأت التناقضات بين السياسة والدين ولنر ذلك عبر المثال التالي:

شاع خبر وفاة النبي محمد (ﷺ) بين أهل المدينة فكان مثل الزلزال بين العامة لكن الخاصة منهم، والذين لهم أطماع سياسية، انتهبوا للمسألة مباشرة ونهضوا لبلوغ إرث كبير يحمل وعوداً سلطوية هائلة بين طبائمه، وكانت سقيفة بني ساعدة الأكثر شهرة بين الأماكن التاريخية، ولنر كيف سارت المناقشات السياسية داخل تلك السقيفة حيث اجتمعت كلمة الأنصار على تأمين سعد بن عبادة سيد الخزرج على خلافة النبي (ﷺ) وكان له من يحسده ويريد صرف الأمر عنه منافسة له في السيادة وهما بشير بن سعد بن ثعلبة وأسيد بن حضير سيد الأوس يساعدهم عويم ابن ساعدة ومعن بن عدي حيث سار الأخير إلى أبي بكر وجلباه مع عمر إلى السقيفة فحضرنا وقام خطيب الأنصار قائلاً:

«أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم - يا معشر المهاجرين - رهط منا وقد دقت دافة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنونا من الأمر. فرد أبو بكر: أما بعد.. فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله. ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً».

لنقف عند هاتين الكلمتين، لا يجد القارئ في كلا الاحتجاجين ولو نظرة واحدة بتلميح عن مصلحة الجماعة فضلاً عن خلوهما من التصريح فأما الأنصار فقد أرادوا من الخلافة مكافأة وتعويضاً عن نصرهم للدعوة وصاحبها وهم يذكرون المهاجرين بأنهم قلة ضعيفة نزحت إليهم ولا يحق لهم من الأمر الذي ينتظحون إليه وكذلك لا يخلو الأمر من التهديد مع الحذر، أما مقولة المهاجرين على لسان أبي بكر فهي اعتراف بفضل الأنصار وحققهم ربما لكن المسألة انحرفت إلى زاوية أخرى وهي زاوية النسب والقربى والتصديق حيث قل المناصرون المصدقون وتذكير بما لقريش من شأن بين العرب، وهو لا يخلو من التهديد مع الأخذ بشيء من الحذر.

هذه الواقعة تضعنا أمام أمر واحد لا ثاني له، إذا كانت هناك دولة فلا بد من آلية لخلافة رأس هذه الدولة والعرب اعتادت أن يكون لها رأس على كل قبيلة فكيف إذا أصبحت دولة. وربّ قائل إن الترتيب الذي جاء به الخلفاء منصوص عليه وهذا الأمر مخالف للنقل والعقل مهما حاول أصحابه إثباته وادعاء ثبوته، إن كيف يعقل أن يكون ذلك ويقوم الأنصار بالعمل خلفه وهم كتيبة الإسلام ومناصرو

# قانون الأحوال الشخصية

## بين الجمعيات الأهلية وفتاوى رجال الدين!

زيد قطريب



**مفتي الجمهورية؛  
كنت أتمنى ألا يقف  
المشايخ هذا الموقف بل  
أن يحاوروا النساء لأن  
الإسلام يدافع عن  
حقوق المرأة**

الموضوع مفتوحاً للحوار بين أصحاب الاختصاص ورجال القانون وكل من يملك رؤية في هذا المجال حيث من المفترض أن تحل هذه الأمور والمواقف بالحوار أولاً وأخيراً بين الجميع مهما اختلفت الآراء والمرجعيات، بعيداً عن المواقف المسبقة والأحكام القطعية التي تلغي أي إمكانية لنشوء نقاش مسؤول وبناء حول مختلف الإشكاليات..

### الأسئلة الموجهة في الاستبيان

- 1- هل تؤيد حق الفتاة الراشدة في إتمام الزواج بنفسها؟
- 2- هل يؤثر الطلاق التعسفي سلباً في المرأة؟
- 3- هل تؤيد حق المرأة المطلقة في تعويض يتناسب مع ما أنتجه الزوجان خلال سنوات الزواج؟
- 4- هل تؤيد حق المرأة المطلقة التي لا دخل لها، في تعويض دائم؟
- 5- هل تؤيد حق المرأة في المخالعة بدون موافقة الزوج؟
- 6- هل يؤثر تعدد الزوجات سلباً في الأسرة؟
- 7- حدد خيارك مما يلي:  
الإبقاء على تعدد الزوجات - اشتراطه بموافقة الزوجة - إلغاء تعدد الزوجات.
- 8- هل تؤيد حق الحاضن في مسكن الزوجية؟
- 9- هل تؤيد تشارك الزوجين في الإشراف على ممتلكات الأبناء القصر؟
- 10- هل تؤيد انتقال حق الولاية مباشرة إلى الأم عند وفاة الزوج؟
- 11- هل تؤيد المساواة بين المرأة والرجل في الشهادة؟
- 12- هل تؤيد الدعوة إلى اعتماد الأسلوب العلمي لإثبات صحة النسب؟
- 13- هل تؤيد المساواة بين المرأة والرجل في الإرث؟
- 14- هل تؤيد اعتبار جريمة الشرف جنائية لا تسقط العقوبة عن فاعلها؟
- 15- هل تؤيد حق الأم في إعطاء جنسيتها لأطفالها؟

الدكتور سعيد البوطي نشر كلمة في موقعه الخاص على الإنترنت بعنوان «قضية الحريري وعلاقتها بمخطط القضاء على الإسلام» اعتبر فيها أن الاستبيان المذكور هدفه إحداث شقاق داخلي يلتقي مع المخطط الخارجي لضرب المنطقة وتغيير معالمها الإسلامية، واعتبر أن الأسئلة الموجهة ضمنه ليست إلا استفزازاً على مسلمات القرآن الكريم واصفاً القائمين عليه بالخدم لتحقيق الخطة الخارجية التي تحاك ضد الأمة العربية والإسلامية.

الشيخ جودت سعيد قال: «إن التمسك بقوانين مجحفة بحق المرأة والاختباء وراء الإسلام جاء نتيجة لتخلفنا «مؤكداً عدم جواز تجميد العقل لأن الشريعة لا تدعو أبداً إلى تعطيله، مضيفاً: «الديمقراطية وحدها الكفيلة بأن تحرك عقولنا، ولكنها خطر على أصحاب المزارع إذ إن تحريك العقل في شتى المجالات سيفقد أصحاب المزارع مزارعهم!»

مفتي الجمهورية الشيخ بدر الدين حسون قال: «كنت أتمنى ألا يقف المشايخ هذا الموقف بل أن يحاوروا النساء لأن للإسلام موقف دائم مع حقوق المرأة بل أعطاها حقوقاً مميزة.. لكن علينا إعادة صياغة هذه الحقوق».

السؤال المطروح الآن هو من الذي يحق له إطلاق الفتاوى وتحديد موقف الدين من مختلف القضايا الاجتماعية والفكرية، فالواضح حتى الآن أن هذه العملية تتم دون أي ضابط يوجهها ويكفل سيرها في الاتجاه الصحيح، وإلا لماذا يختلف السادة العلماء في تحليلهم ومواقفهم تجاه القضية الواحدة، رغم ارتكازهم إلى المصادر والنصوص ذاتها..؟!!

ولماذا لا تكون هناك هيئة عليا مخولة بالبت في أحكام الدين وإصدار الفتاوى عوضاً عن الاجتهادات الشخصية؟!!

### قانون الحضانة

يذكر أن جمعية المبادرة الاجتماعية سبق أن قدمت اقتراحاً حول تغيير قانون الحضانة إلى مجلس الشعب مدعوماً بالأسباب الموجبة من القرآن الكريم وعلماء النهضة والشرعية الدولية، واستطاعت نساء الجمعية حينها جمع حوالي ثلاثة عشر ألف توقيع من الجنسين يؤيدون هذا المشروع..

وقد وافق مجلس الشعب والحكومة رفع سن الحضانة إلى 13 سنة للفتى و15 سنة للفتاة، وتقدمت الجمعية بعريضة احتجاج على التغيير المجتزأ ولم يتم البت بالشكوى حتى الآن.

### رأي

سواء اختلفنا أم اتفقنا مع رؤية الجمعية حول مستوى التعديل المطلوب على قانون الأحوال الشخصية، يبقى

**الشيخ جودت سعيد؛  
التمسك بقوانين  
مجحفة بحق المرأة  
عبر الاختباء وراء  
الإسلام هو نتيجة  
تخلفنا**

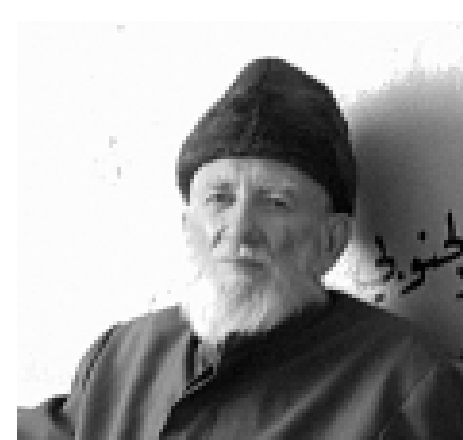
فرغم أن مفتي الجمهورية الشيخ أحمد بدر الدين حسون أجاب على الاستبيان المذكور خطياً، وعلّق على موقف بعض المشايخ من هذا التحرك النسائي قائلاً: «إن بعضهم لم يستوعب مثل هذه الأمور، واعتبروها تجاوزات فوقوا منها وقفة المشكك» إلا أن ذلك لم يوقف الهجوم الشديد الذي تعرضت له الجمعية على منابر المساجد ومواقع الإنترنت، ما سبب قلقاً وتخوفاً لدى أعضاء الجمعية من أن تتطور الأمور في غير مسارها الصحيح لا سيما بعد أن قامت إحدى الصحف بنشر تصريح نسبته إلى إحدى النساء الأعضاء في الجمعية الأمر الذي جعلها تتعرض شخصياً لسيل من الاتهامات الخطيرة من قبل رجال الدين ما اضطرها إلى الاستقالة خشية التعرض للمزيد من المضايقات..



**الدكتور البوطي؛ المشروع  
هدفه إحداث شقاق  
داخلي لضرب المنطقة  
وتغيير معالم الإسلام**

### مواقف رجال الدين

اختلفت آراء ومواقف رجال الدين تجاه الاستبيان المذكور، ففي حين شارك بعضهم في الإجابة على أسئلته مرحبين بإعادة النظر في القوانين المجحفة بحق المرأة، فإن البعض الآخر حمل بشدة على هذا العمل واصفاً إياه بالخروج على المقدسات والتواطؤ مع المشاريع الخارجية الهادفة إلى تدمير الإسلام..



قد تكون مسألة تعدد المرجعيات الدينية وأحياناً تناقض الفتاوى التي تطلقها وما اعتدنا عليه من تسميات تصنف رجال الدين بين معتدل ومتشدد أو متنور ومحافظ.. تبرر إلى حد ما ذلك الاختلاف والتباين بينهم إزاء قضية واحدة يواجهونها أو يحكمون بمدى قربها أو بعدها عن الشريعة والنصوص المقدسة، إلا أن أي مجازفة بالخروج على إجماع العلماء أو بعضهم، تعتبر قضية بالغة الخطورة وربما محسومة النتائج سلفاً... ولنا في تجربة نصر حامد أبو زيد ومؤخر السيد القمني في مصر خير دليل على ذلك..

وبعيداً عن نظرية المؤامرة، ومحاولة ربط كل من نختلف معه في الرأي بالمشروع الأميركي والصهيوني، يبدو أننا بحاجة إلى الإصغاء لبعضنا أكثر من أي وقت مضى، مزودين بالكثير من الجراءة والتفهم والهدوء، فالجميع معني بشكل أو بآخر بقضايا المجتمع المختلفة فهما تباعدت المواقف واختلفت الآراء، سنبقى محكومين بالعيش والتفاعل معاً فوق هذه الأرض الطيبة..

### استبيان قانون الأحوال الشخصية

أثار الاستبيان الذي أجرته جمعية المبادرة الاجتماعية حول ضرورات تغيير القوانين المجحفة بحق المرأة، سلسلة من ردود الفعل المتباينة تراوحت بين فتاوى التكفير والتشكيك بوطنية القائمين بهذا الاستبيان، وبين التعامل معه كموضوع قابل للحوار والأخذ والرد بمشاركة أصحاب الاختصاص للوصول إلى إعطاء المرأة مكانتها وحقوقها الذي ضمنه القرآن الكريم والنصوص المقدسة، وفي حين حاول البعض تصوير قانون الأحوال الشخصية على أنه من المحرمات التي لا يجب مناقشتها والاقتراب من حصانتها، رأى عدد آخر من رجال الدين أن ذلك يندرج في باب المتغيرات القابلة للحوار والتعديل... ورغم أن الاستبيان المذكور قد أنجز بالفعل إلا أن الإعلان عن نتائجه أجل لأسباب سمّتها الجمعية بالموضوعية.

وبغض النظر عن موضوع الاستبيان، فإن ردود الفعل وآلية التعاطي مع هذه الحالة دلّت بوضوح على حداثة عهدنا بمثل هذه النشاطات التي تتناول قضايا اجتماعية وقانونية ملحة لكنها ظلت مؤجلة لأمد بعيد، لتستيقظ الآن الكثير من الإشكاليات دفعة واحدة بمجموعة من الأسئلة الهامة التي ستتطلب الإجابة عنها جهداً كبيراً وصبراً أطول مما نعتقد بكثير..

### احتكار الحقيقة

من الصعوبة تخيل الحقيقة على أنها كلمة واحدة يمكن أن تطلق من على أحد المنابر لتحسم كل الاجتهادات والنقاشات، لا سيما إذا علمنا أن قائل هذه الكلمة الحاسمة أو الحكم الفاصل شخص مثلنا خاضع لاحتمالات الخطأ والصواب بحكم نسبية المعرفة والاطلاع على حقائق الأمور وتفاصيلها، فكيف إذا تحولت تلك الكلمة أو الحكم إلى فتوى تصف أحداً بالخروج على الدين أو الكفر والارتداد..؟!!

وإذا أضفنا إلى ذلك مسألة عدم الإجماع على صحة هذه الفتوى من قبل السادة العلماء ورجال الدين نستطيع أن ندرك كم يحتاج هذا الأمر من الروية والتمحيص قبل إطلاق الأحكام.

## في دلالة حدث الرسوم المسيئة للرسول (صلى الله عليه وسلم)

اسماعيل الحجي

المسؤولية كجهاز خطير أصبح يشارك في المتغيرات الدولية وله في بعض المواقف توجهات إعلامية غير موضوعية، وإن هذا الاستفزاز يغذي الجماعات والتيارات الفكرية الشوفينية هنا وهناك وتعميم الفوضى لخلط الأوراق.

وكما أن الغربي أعطانا صورة نمطية ساعدناه في تكوينها هي صورة «الإنسان البيولوجي» «معدة وجنس وشعرة دموية» بأسف المرء لهذه الصورة نحن أيضاً رسمنا له صورة نمطية في ذهننا صورة «الرجل الآلي» «الجاحد لقيم كل الحضارات ما عدا حضارته، وكما أن ذاك الغربي يمارس «الاستعلاء» «كمنتج حضارة استفادت منها البشرية بشكل أو بآخر مركنا إلى منظومة أخلاقية وضعية ساهمت في قوة البشرية نحن أيضاً مارسنا هذا الاستعلاء» «ولكن المكون على الماضي وليس الحاضر» «والحاضر دائماً هو المقرر، هكذا في كل مرة نحاول تزوير واقعنا وتزوير الواقع الغربي في أذهاننا رغم معرفتنا به إذ وضعنا الغرب في سلة واحدة كما هو وضع كل المسلمين في سلة واحدة وحكم عليها بالموت.

يبدو أن علينا تحسين صورتنا - طبعاً ليس بالمكياج - ولكن بالتعلم من التاريخ وتجارب الشعوب ومن المخزون الثقافي العربي للمساعدة في حل مشكلاتنا ولزحزحة التخلف المتوارث من عصور لدرجة أن بعض من يحملون الشهادات العالية في التحصيل العلمي يقومون الدولة «برأسها» أو بسلطانها فإذا ما كان السلطان عادلاً تسيير الأمور على ما يرام وتحل مشكلاتنا وعقدنا وفي هذه الحال أصبحنا نشكك بجدوى كل شيء خارج مفهوم «السلطان العادل» بما فيها الأحزاب والنقابات والجمعيات... دون أن نعرف

هذا جانب والجانب الآخر تلك الصورة التي كوَّناها عن أنفسنا وقدمناها للعالم. لاشك في أنها تنعكس على الماضي فتجعل من صورة الحاضر هي صورته، فعندما يكون الحاضر زاهياً بالإشعاع الفكري فإنه ينعكس على الماضي ويبرز الجوانب المضيئة فيه، والعكس صحيح عندما يكون الحاضر قائماً يسحب على الماضي ليشكلاً معاً كتلة صماء سوداء في أعين الغير.

إن هذا الاشتباك بين الخطابين انطلق بتقديري من نقطتين:

- جراء اختلاف بين الثقافتين أي بين تنشئة دينية وثقافية وأيضاً سياسية وبين تنشئة لا يسيطر عليها الدين كثيراً، ونظام حكم علماني (والعلمانية تعني الاحتكام إلى معايير مادية وعقلانية دنيوية) حتى أن الدين نفسه في المجتمعات الغربية لا تُضفي عليه القدسية ولا يخرج من نطاق الدائرة الفردية الشخصية، بينما الدين في المجتمعات العربية والإسلامية يفعل فعله في كل مجالات الحياة، بما فيها ردود أفعالنا.

- سوء تقدير الموقف الناتج من جهل الآخر أو تجاهله لما يشكله النبي محمد (ص) كقائد ديني ودنيوي بكل معنى الكلمة أعطى في حدث النبوة لتشكك الحضارة العربية والعالمية غنى وقيماً إنسانية عظيمة. أخيراً، لا جدوى من صياحنا وعويلنا وكسر زجاج النوافذ ولا جدوى من التوتر لأنه لا يحل مشكلاتنا المتورمة في جملتنا العصبية. لنصور الأمر كأنه «حروب صليبية» يشنها الغرب على الإسلام، وهي في الواقع حرب سياسية وإعلامية مليئة بالمصالح المختلفة للدول والتيارات السياسية والأيديولوجية ونحن ساهمنا فيها بشكل أو بآخر ولكن هذا لا يعفي الإعلام الغربي من

في دلالة الرسوم الموجهة للإساءة إلى الرمز العربي والإسلامي المتمثل بالنبي محمد (ص) يتداخل الأنا (الذات) والد (هو) الآخر ليشكلاً خطاباً اشتباكياً لا حوارياً وربما هذا هو بيت القصيد الذي تطمح إليه الرسوم الكاريكاتورية لتسميم السلام والتفاهم بين الغرب والعالم الإسلامي بعامته والعربي بخاصة. ويحمل هذا الخطاب في طياته أيضاً تقصير الأنا وجهل الآخر أو تجاهله لأسباب كثيرة لما يشكله النبي محمد (ص) للعرب والمسلمين والإنسانية.

فنحن أولاً نجهل حضارتنا ولم نمارسها كإبداع وسلوك، ولم نستوعب ما فيها من رموز للحق والخير والجمال والتي إجمالاً كرمت الإنسان وجعلته قيمة مطلقة ربما أكثر من أي حضارة أخرى «وكرمنا بني آدم على العالمين» «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» «فنحن الآن نقزم الإنسان ونضطهده من المهد إلى اللحد، ونمارس عليه شتى حالات القمع والظلم والاعتقاب.

وما أكثر الخطابات التي تمجد العدل والمساواة قولاً لا فعلاً، فإذا كانت هذه حالتنا الراهنة.. ليس فيها إلا (صخب وجعجة بلا طحين) فكيف نواصل رسالتنا ورسالة نبينا للعالم، هل نقول لهم كما هي عادتنا في كل مرة نواجه فيها أي مشكلة مع الغرب مهما كانت صغيرة؟ ارجعوا إلى كتب التاريخ فنحن أحقاد العال... أم الجواب سلوك وممارسة ووقائع وأحداث تراها العين وتسمع بها الأذن!!

إن أول ما توحى به هذه المسألة هو التقصير، تقصيرنا على صعيد النفس كعرب ومسلمين من حيث السلوك والانطباع الذي نتركه لدى الآخر وعلى الصعيد العالمي بالتعريف بمكونات حضارتنا عن طريق الحوار ومراكز البحث الثقافي التي نفتقر إليها، رغم حضورها الكثيف في خطابنا الثقافي والسياسي المحلي، دون أن نكتشف العلاقة بين التراث وحركة الواقع الاجتماعي واستيعاب قيمه النسبية في عملية تحفيز النهوض والتقدم، ورغم تغير الظروف التاريخية لم نستطع الخلاص من البنى المؤسسية الرثة إلى أشكال جديدة ملائمة أو نؤسس على الجانب الأخلاقي المهم في هذا التراث، قواعد سلوك ملائمة للعصر..

بالكاد كان يمر ذكر الدول الاسكندنافية على بال الشارع في العالم العربي والإسلامي.. فباستثناء احتضان النرويج لاتفاقات أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية و«إسرائيل» وقتل الكونت برنادوت السويدي في القدس على أيدي العصابات الصهيونية سنة 1948، يرتبط اسم تلك الدول في ذاكرتنا بشركات الألبان الدانمركية والهولندية (والتي تذكرنا بعجزنا حتى في الصناعات الزراعية والتي يفترض أن تكون على سوية عالية في بلدانا)، وبأجهزة نوكل وأريكسون الخلوية، وبلاعب وفرق كرة القدم.

والهمته فقط هو من يعرف أن السويد كانت مسرحاً لعملية تهجير منظمة إليها بحق مسيحيي الشمال السوري والعراقي، مقابل المسرح الألماني المخصص للأكراد.

الدول الاسكندنافية من أعلى الدول في العالم من ناحية دخل الفرد، وهي من أكثر الدول تقدماً لحرية الفرد، ويندر أن نسمع فيها عن مشكلات اقتصادية أو اجتماعية.

وبالرغم من أن لا مبرر على الإطلاق لقيام أية جهة كانت بالإساءة إلى أي رمز عالمي، وضرورة التعامل بحذر واحترام شديد مع العقائد التي لا تتعارض مع تكافؤ البشر أخلاقياً واجتماعياً (ومنها الإسلام ونبيه محمد)، فإن اختلاف الثقافات وطرائق التفكير جعل من نشر صور مهينة للرسول الكريم محمد في صحيفة يولانديس بوستن الدانمركية أمراً دافعاً لحملة استنكار عنيفة في العالم الإسلامي كان أشدها (حتى كتابة هذه السطور) ما يجري في بيروت ودمشق من إحراق سفارات وقنصليات (وهو ما يتعارض مع فكر الرسول

الدولة مؤسسات أولاً وقبل شئٍ وفصل سلطات.. وليست أفراداً وفئات، هذه الذهنية كانت السبب في فشل أي عمل جماعي وتعاوني حتى في مباراة رياضية جماعية، لكنها ربما تلقى النجاح في الألعاب الفردية. ما يشير ذلك إلى الخلل الكبير في التربية والتثقيف والتدريب على العمل التعاوني الجماعي في مجتمعنا.

إنه ليس جلدأ للذات، هو واقع معيش رسمناه بأيدينا، فضيعة به الأول والأخير من نكبة فلسطين (1948) إلى هزيمة (1967) إلى احتلال العراق إلى استهانة الغير برموزنا. كأننا معنيون بقول الشاعر «من يهَّن يسهل الهوان عليه...» لم يعد هناك شيء مستور في ثورة الاتصال والمعلوماتية نعيش مأسينا صباح مساء حتى في الأحلام، ونرسم صورة باهرة لأنفسنا لكن واقع الحال يقول إننا مازلنا وأهمين، وفي كل يوم نأكل الحرائق طرفاً من الثوب ونحن لاهون، حتى وصلت النار إلى العظم، وبدل إطفاء الحرائق نرش عليها ما يزيدنا اشتعالاً، إذ في الأحداث والملفات المفتوحة في الصراع الدائر بيننا وبين الصهيونية والولايات المتحدة كنظام يضاف السابق من فشلنا إلى اللاحق، ويكون أسباباً وعللاً يترتب عليها الكثير من النتائج والاحتمالات، فتحول معطياتها الكمية إلى حالة نوعية جديدة ومعطى جديد يغذي حالة أخرى من حلقات التردّي التي نعيشها.

ويبدو أن الغوص في منظومة قيمنا التاريخية الراكدة في بطون الكتب لم يعد كافياً لحمايتنا وصون وجودنا، دون إرادة وتكوين قوة المعرفة والعلم للدفاع عن الكرامة والتاريخ، «كل الأنبياء المسلحين كانوا منتصرين وكل المجريدين من السلاح كانوا المغلوبين - نيتشه».

«صدام الجهالات»، على حد تعبير إدوارد سعيد، لا يفيد في تفاهم البشرية وتعاونها ولا ينتج إلا الفوضى والعبث، ولا أحد خارج المسؤولية حكومات وشعوباً وإعطاء الأهمية إلى اعتبار أن الحضارات والثقافات تتكامل وأن خصوصية الشعوب بما فيها رموزها هي قدر وجودها، هو ما يتطلبه حاضرنا ومستقبلنا، وإلا «علينا أن نكسر رؤوسنا بأيدينا».

الإسلامي ترسيخ فكرة وحدة الحياة في المجتمع بكافة تنوعاته وأطيافه واختلافاته الدينية والفكرية لمنع مخططات المحافظين الجدد من المرور إلى مجتمعاتهم.

أما المثقفون الإسلاميون فيقدر ما عليهم من مهمة امتصاص الصدمة وخلق حوار فعال وحقيقي مع قوى غربية بقصد توضيح خصوصية العقل الإسلامي (تجاه نظريته إلى رموزه ومقدساته)، كذلك من الجميل تقديم مشروع بديل لصدام الحضارات، من مكوناته المشروع الإسلامي القائم على التفاعل بين الشعوب والذي تجسده الآية القرآنية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات - 13، ولا ننسى أن المنجزات الحضارية التي قامت خلال الدولة الإسلامية ساهمت بها جميع أطياف تلك الدولة من مسلمين وغيرهم، ولدينا من الأمثلة الكثير.

كما أنه من المفيد قراءة رسالة السيد كارستن بوسته رئيس تحرير صحيفة يولانديس بوستن التي يقدم فيها اعتذاره لمسلمي الدانمرك والعالم، واستنكاره واستنكار الصحيفة لأية خطوة تستهدف النيل من أديان أو قوميات أو شعوب معينة، ويوضح أن ما حصل هو سوء تفاهم ناتج عن اختلاف الثقافات وأنهم في الصحيفة يعلمون على إزالته من خلال الحوار مع مسلمي الدانمرك.

بالحوار الحضاري بين الشعوب بُني جسور التفاهم، ويُزال الخلل، وعندما لن تبقى أكمة الدانمرك تخفي وراءها أي مشروع عدائي صدامي يقابله مشروع عدائي صدامي مضاد، عدا ذلك ما على العالم إلا أن ينتظر الخراب الذي لن يرحم أحداً.

## أكمة الدانمرك

علي يوسف

على التهديد بتدمير المسجد الأقصى (ثالث المواقع الإسلامية أهمية) لولا دعم الغرب الأمريكي اللامحدود لـ«إسرائيل»، أضف إلى ذلك صمت الغرب المطبق أمام انتهاكات حقوق الإنسان التي تقوم بها روسيا أمام مطالب الشيشان بالاستقلال..

الشارع المسلم يرى أن هذا الغرب يتعامل معه كإنسان درجة ثانية، لذلك ليس غريباً أن ينقاد هذا الشارع لأية معركة معه قد تكون مختلفة ومصنوعة سابقاً، لتأكيد نظرية المحافظين الجدد في صدام الحضارات، وتأكيد الصورة النمطية التي تقدمها الدوائر اليهودية عنه لتبرير تصرفات العصابات الصهيونية في فلسطين.

مظاهرة بيروت نتج عنها اعتداء على كنيسة، وفي مظاهرة دمشق اعتدت امرأتان منقبتان على امرأة سافرة، وفي تركيا اعتدي على كاهن كاثوليكي، وبالمقابل قامت صحف أوروبية في دول متعددة بإعادة نشر الصور المسيئة على نحو يبدو كحالة تضامن مع تلك الصحيفة، وبالرغم من أن حالات الاعتداء فردية ومستهدفة من الشوارع المسلم نفسه، ومن أن الصحف التي أعادت نشر الصور هي معدودة، فإن أكثر الناس سعادةً بذلك هو صموئيل هنتنغتون ليؤكد نظريته بالتصادم الحضاري بين الغرب المسيحي والشرق المسلم.

يقع على عاتق القوى الحية في المجتمعات ذات الطابع

الكريم محمد الذي أوصى بصيانة حياة وحفظ أمن رسل الدول).

وضمن حالة الاستنكار كانت الدعوة إلى مقاطعة المنتجات الدانمركية أمراً موافقاً لمزاج الشارع المحتقن أساساً من الظلم الغربي له. فالانحياز الأمريكي الكامل لدولة العصابات الصهيونية، واحتلال العراق والتعامل معه من قبل القوات المحتلة بطريقة أدنى من قروسطية، واستنكار الغرب لنتائج العملية الديمقراطية السلمية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتعامي هذا الغرب عن ترسانة الأسلحة النووية «الإسرائيلية» مقابل هجومه العارم على المشروع النووي الإيراني (بالرغم من تأكيد وضمانات إيران أنه مشروع سلمي)، والطريقة العنيفة التي تعاملت بها الحكومة الفرنسية مع انتفاضة أبناء الضواحي المسلمين، كل ذلك وغيره أنتج أن هذا الشارع جاهز لأي معركة مع أي جهة من هذا الغرب.

الشارع المسلم يعتقد أن الغرب كل متجانس، لذلك يرسخ بذهنه أن هذا الغرب قد عاقب غارودي وفوريسون وغيرهم من مراجعي التاريخ الجدد لأنهم تجرؤوا على رفض الصورة الغربية عن حجم المحرقة. وهو يعلم أن مَنْ أهان القرآن في غوانتانامو وأبو غريب بتلويته بالبول، ومَنْ هدد بحرق مكة (مركز العبادة في الإسلام) هو من هذا الغرب. كما أنه يعتقد أن اليهود ما كانوا ليتجزؤوا



# الدور اليهودي في مشكلة الرسوم

عصام عزوز

## الخلاصة :

هذه الضجة الكبيرة والشاملة من ردود الفعل في البلدان الاسلامية وعدم وضوح التصعيد الأوربي أو بالأصح بعض الأوربيين وما تمخض عنه من احتقان عارم وتخوف من هذا الاحتقان (الإسلامي) يصل إلى حد الرعب يتوافق تماما مع توجه المحافظين الجدد اليهوديين وفكرة صراع الحضارات التي حان وقتها كما يدعون كما أنها تأتي مكملة للصورة التي رسمها الغرب للإسلام بعد أحداث 11 ايلول ووقع ضحيتها المسلمون المنتشرون في العالم بترتيب مقصود أو غير مقصود مع جماعة القاعدة والجماعات التكفيرية الأخرى التي أعطت صورة سيئة جدا في خطابها الذي لم تفرق فيه بين الغرب وبعض أنظمتها السياسية ومجموعاته اليمينية المتطرفة والمسيحيين دون استثناء لا في الشرق ولا في الغرب وترافق في العراق مع نسف للكنايس والاعضاء على المسيحيين، هذه الحملة الشعواء على الأوربيين ومقاطعة بضائعهم وتعميم العداة لهم ليس له إلا نتيجة سلبية واحدة هي اتساع الهوة بين الشرق والأوربيين والمستفيد الأول أسرائيل والأمريكان ولا بد لنا أن نلاحظ أن تدنيس القرآن من قبل الأمريكيين وقصد الإهانة والإذلال فيها واضح ولا علاقة له لا برأي ولا حرية تعبير والمفروض أن يعد جريمة أكبر من تشويه صورة الرسول .. إلا أن الردود في العالم الإسلامي لم تأت بهذا الشكل المنظم ولم تصدر الفتاوى المتشنجة ولم تثار ضجة المقاطعة الواسعة للبضائع وغيره ما يدعوننا إلى الاستنتاج ان الانفعال الأخير مبرمج بطريقة ما، وربما تكون أوربا قد دفعت ثمن التعاطف الشعبي الواضح والواسع مع العراق ضد الغزو الأمريكي، ولن تعيد الكرة ثانية .

إن اليد اليهودية العالمية وملحقاتها ومنظماتها الريدفة واللبراليين الجدد أو المسيحية المتهودة ومفكريها ومهندسيها ومرابي البنوك الدولية ومافيات النفط هم أصحاب المصلحة الحقيقية من وراء تشويه الشرق وتصويره (بسيطرة عصابات إسلامية متخلفة حاكمة خطرة على الحضارة ومنجزاتها ومن حسن حظ البعض من قادتها أن وجدوا في بلاد فيها احتياط ثلثي النفط العالمي) وعلى الغرب الحضاري القيام بواجبه ونجحت هندسة هذه المشهد بعد عمليات الإحراق وتعميم العداة وإصدار فتاوى القتل والاعتداء على الرموز المسيحية كلها دعمت فكرة صراع الحضارات وكانت بشكل أو بآخر ضربة أخرى لصورة المسلم ولصورة الشرق .

في رصد للأراء الشاجبة لتصرف الصحيفة قلة قليلة هي التي اشارت الى اليد اليهودية او الصهيونية في هذه المشكلة غير المعروف حتى كتابة هذه السطور الى اين ستصل تداعياتها ونتائجها وكوارثها وبالطبع نحن وشعبنا من سيدفع الثمن الباهظ.

لقد كانت ردود الفعل المتسرعة والغاضبة والغير محسوبة اكلاما للبرنامج الموضوع وللغاية من تحريك الراكد في مسألة العلاقة الأوربية الشرق اوسطيه، ومعظم ردود الفعل هذه لم تأت على ذكر دور لليهودية او الصهيونية في هذه المسألة، وبهذه المناسبة يجب ان نذكر هنا بالرأي المميز والمتوازن الذي قدمه سماحة مفتي الجمهورية الشيخ احمد حسون في برنامج بإحدى القنوات اللبنانية بتاريخ 22.2.2006 ودعى إلى الحوار والحوار فقط، ونهى عن أسلوب القتل والعنف أي كان شكله واعتبره أسلوبا غير اسلامي، وأشار بوضوح الى دور الاعلام الثالث والذي وضحه بأنه الاعلام الصهيوني الذي ينفق مليارات الدولارات لاثارة الفتن ورسم الصور المغلوطة عن الاسلام ليس في هذه المشكلة بل وفي كثير من الحملات التحريضية وقد حاول سماحته ان يقدم تفسيراً لما حصل في دمشق لتجنب التأويلات التي تنعكس بشكل سلبي على صورة الاسلام والمسلمين.

تطورت المظاهرات في طهران لاحراق السفارة الدنماركية. وفي نيجيريا ارتفع عدد ضحايا الصدمات التي وقعت في البلاد خلال مظاهرات الاحتجاج على الرسوم. وذكر شهود أن نحو عشرة أشخاص قتلوا وأصيب نحو أربعين آخرين جراء أعمال عنف وقعت بمدينة بوتشي شمال شرق نيجيريا، بعد أن أضرم محتجون النار في كنائس واشتبكوا مع الشرطة وجاءت حوادث العنف الجديدة في أعقاب أعمال شغب وقعت مطلع الأسبوع وقتل فيها نحو 50 شخصا بمدينتي تقطنهما غالبية من المسلمين شمالي نيجيريا حسب معلومات للصليب الأحمر النيجيري

ردود الفعل الأوربية:

ردود الفعل الأوربية كانت بمعظمها متعاطفة مع الصحيفة الناشرة على قاعدة حرية وحرية الرأي وحرية التعبير وما إلى هنالك من مقولات ليبرالية يفخر بها الغرب ولكن عندما يصل الأمر إلى التشكيك بالمرحلة يصبح ذلك استغلالا لحرية الصحافة ويحاكم المرتكب ويسجن لهذه ( الجريمة ) وهي حدث تاريخي اجمع العديد من الباحثين والمفكرين على عدم وجوده أو الأصح على أن هناك مبالغة في حجمه وعدد ضحاياه. لقد تقافم الوضع سوءاً، بعد رفض رئيس الوزراء الدنماركي الاعتذار والالتقاء مع السفراء العرب المجتمعين في كوبنهاغن بدا واضحا التعاطف الأوربي مع المجله فقد صرحت النمسا الرئيس الحالي للاتحاد على لسان وزيرة خارجيتها اورسولا بلاسنيك: لقد جددنا إيماننا وتمسكنا



موقع «جولانديس بوستن» مزينا بالنجمة السداسية!

بحرية الصحافة وحرية التعبير خلال اجتماع وزراء الخارجية الأوربيين وقالت للصحفيين إن وزراء الخارجية عبروا عن تضامنهم مع الدنمارك والنرويج لكنهم ذكروا في الوقت نفسه بوجوب احترام المعتقدات الدينية وقالت بلاسنيك ان الاتحاد يرفض - ما وصفته بـ . التهديدات - مبدية أملها في تسوية المشكلة من خلال - ما أسمته - «حوار بناء».

ومن جهة أخرى عادت صحف ألمانية وإسبانية بعد صحيفة فرنسية نشر الرسوم وأعلنت أن حرية الصحافة أهم من الاحتجاجات والمقاطعة التي أثارها الرسوم في العالم الإسلامي.

وقالت صحيفة دي فيلت الألمانية التي نشرت الرسوم «لا حصانة لأحد من التهكم في الغرب». كما نشرت صحيفة سويسرية ناطقة بالألمانية رسمين منها، وفي إسبانيا نشرت صحيفتان هما «إيه بي سي» و«البيريوديكو» هذه الرسوم.

وفي هذا السياق دافعت منظمة «مراسلون بلا حدود» عن نشر الرسوم، وقال أمينها العام روبير مينار «قد تبدو هذه المبادرة استفزازية، لكن أساسها مبرر بالكامل ولا تستحق في أي حال من الأحوال الاعتذار من أي كان».

واتسم رد فعل الخارجية الفرنسية بالتحفظ لإعادة نشر صحيفة فرانس سوار الرسوم. وقالت في بيان إن باريس تدين كل ما يسيء إلى الأفراد في إيمانهم أو معتقداتهم الدينية، إلا أنها أشارت أيضا إلى تمسكها بحرية التعبير «في روح من التسامح واحترام الأديان».

كريستوفر بولين وبعد أن استعرض العلاقة بين روز وبابيس يطرح القضية على النحو التالي: قال «لماذا فعل فلمنج روز هذا؟.. هل هو مسيحي صهيوني يقود حملة صليبية دنيماركية على الإسلام.. هل هو ملحد لا يكن أي احترام لمعتقدات المسلمين؟.. أم انه يهودي مخلص يلوح بالجنسية الدنيماركية ويشترك في حملة صهيونية ضد المسلمين والعرب؟». ويجيب الكاتب: «رأيي أن الاحتمال الاخير هو الصحيح.. وعلاقة روز مع بابيس تؤكد أن نشر الرسوم هو لحسابات صهيونية ولأهداف استراتيجية .

ردود الفعل الاسلامية :

منذ أن نشرت قبل عدة اشهر لم يتحرك سوى القليل من مسلمي الدانيمارك بالتوجه الى الصحيفة والرسام فقط بالطريقة القانونية في النقد في تلك البلدان ولم تتسع دائرة العداة الفجائي الا بعد هذه المدة الطويلة. نشرت الرسوم في 30.9.2005 فكيف استيقظت هذه الجموع وشمل عداؤها الغرب عامة لا بل وتجاوز ذلك الى التهجم على مقدسات مسيحية، وشهدت منعظا جديدا، مع إحراق السفارتين الدنمركية والنرويجية في دمشق وحوادث الأشرفيه في بيروت يوم الاحد 5-2-2006 حيث شهدت مواجهات بين قوات الامن والمتظاهرين الذين تمكنوا من اشعال النار في مبنى القنصلية الدنماركية وامتدت لتشمل الاعتداء على مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس وكنيسة مار مارون وتخريب بعض الممتلكات العامه من سيارات ومحال تجارية في

منطقة يعتبر غالبية سكانها من المسيحيين. ثم إصدار عالم دين هندي فتوى بقتل الرسامين الدانماركيين الذين فجروا الأزمة. وأصدر الفتوى رئيس المحكمة الشرعية المعروفة باسم دار الشريعة ودار القضاء الإسلامي. وقال رئيس المحكمة المفتي عبد عرفان إن «الموت هو عقوبة رسامي الكاريكاتير الوحيدة لتدنيسهم الديانات». وأضاف أن القرآن ينص صراحة على أن أي شخص يهين الرسول -عليه الصلاة والسلام- يستحق العقاب، مشيراً إلى أن الفتوى تطبق في أي مكان يعيش فيه المسلمون. وتأتي فتوى الشيخ الهندي بعد أيام من عرض عالم دين مسلم في باكستان مكافأة قدرها مليون دولار وسيارة لمن يقتل أياً من رسامي الكاريكاتير. بموازاة ذلك دعا قاضي حسين أحمد زعيم التحالف الإسلامي المكون من ست أحزاب معارضة ، إلى إضراب عام في الثالث من آذار في باكستان التي احتجاجات يومية على الرسوم. وكان خمسة أشخاص قتلوا برصاص الشرطة، في تظاهرات احتجاج على الرسوم المسيئة جرت في لاهور وبيشاور. وفي مدينة جلال آباد الأفغانية رد مئات الطلبة أمس الاثنين هتافات مؤيدة لزعيم القاعدة أسامة بن لادن، وهددوا بالانضمام إلى التنظيم في مظاهرة للاحتجاج على الرسوم المسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام. وفي أفغانستان قتل عشرة أشخاص على الأقل خلال عدة أيام من الاحتجاجات على الرسوم. وفي الجمهورية الإسلامية الإيرانية هدد المدعي العام دري نجفي أبادي بتقديم شكاوى للمحاكم الوطنية والدولية في حال تكرار نشر الرسوم بالغرب، ثم

أدانت محكمة نمساوية في فينا المؤرخ الإنكليزي ديفيد ايرفينغ بتهمة إنكاره للمحرقة اليهودية الهولوكوست وحكمت عليه بالسجن ثلاث سنوات وذلك بموجب القانون النمساوي الذي يبيح محاكمة من يعادي السامية، وقد صرح النائب العام النمساوي مايكل كلال بأن ايرفينغ ليس بمؤرخ وإنما هو كاذب مزيف للتاريخ وقد قام باستغلال حرية الصحافة، وإذا ما أخذنا بعض الأخبار الصحفية على محمل الجد - وهي كذلك - فان المؤرخ المذكور استدراج إلى النمسا من قبل جماعات طلابية لإلقاء محاضرات بعد أن أكدت له هذه الجماعات أن حرية مصادرة ومضمونة .

ومن جهة أخرى وبالعودة إلى ما دار في الأسابيع السابقة من تفاعلات وتطورات بعد نشر الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد «ص» ونخص بالتحديد تداعيات ردود الفعل في البلدان الاسلامية، ومواقف الأوربيين خصوصا والغرب عموما مع ما يسمى بحرية الرأي أو كما صرح احد المسؤولين الدنمركيين لن نساهم في موضوع حرية الرأي. لقد قام مؤلف دنماركي بتأليف كتاب للأطفال عن الإسلام، وأراد صورة للنبي «ص» لجعلها على غلاف الكتاب، وحاول مع العديد من الرسامين فلم يفلح في إقناعهم برسم صورة فانبرت له صحيفة «يولاند بوستن» وأخذت على عاتقها تشجيع الرسامين، واستطاعت أن تقنع 12 رساما كاريكاتوريا برسم اثنتي عشرة صورة كلها تتسم بالحقد والسوادوية والنظرة الخاطئة لنبي الإسلام والمسلمين، وهكذا بدأت القصة في الدنمارك بتاريخ 30-09-2005، وأخذت تداعيات الحدث تتزايد داخل الدنمارك ومن ثم خارجه.

إن الموقع (جولانديس بوستن) المزين بالنجمة السداسية وهي الرمز اليهودي التي يحرص اليهود على ابرازه في أي موقع يتواجدون فيه أكان صناعيا أو تجاريا أو إعلاميا، وكما سبق وذكرنا فان المحرر الثقافي في الجريدة هوفلمنج روز اليهودي الأوكراني، هو على علاقة وثيقة بغلاة الصهاينة في أوساط «المحافظين الجدد في أمريكا، والذين يقفون كما هو معروف وراء الحملة الضارية على الإسلام والشرقيين ووراء مشروع أمريكا الاستعماري في الشرق الأوسط. وهو بصفة خاصة صديق حميم للدموع ( دانيل بابيس )، والذي سبق أن عينه الرئيس الأمريكي بوش مسؤولا عن «معهد الولايات المتحدة للسلام» وهو معهد حكومي أمريكي. وبابيس هذا من أكبر الذين يقودون الحملة على الإسلام والفلسطينيين في أمريكا لحساب إسرائيل، ويقود حملة لإرهاب الأكاديميين الأمريكيين في الجامعات الأمريكية الذين يجروون على انتقاد إسرائيل أو يعطون أي رأي لصالح الفلسطينيين. وفي رايه ان الطريق إلى السلام في الشرق الأوسط هو الهيمنة العسكرية الاسرائيلية الكاملة على المنطقة، وان الإسلام دين إرهاب ويمثل خطرا داهما على العالم.. إلى آخر مثل هذه الافكار اليهودية العنصرية. كثير من المحليين يجزمون بأن لبابيس هذا ومن ورائه المحافظين الجدد المتهودين في أمريكا يد مباشرة في الترتيب لنشر هذه الرسوم في الصحيفة الدنماركية من خلال فلمنج روز، الذي يلتقي معهم في أفكارهم العنصرية وفي كراهية الإسلام وشعوب الشرق الأوسط. بابيس من جانبه، كتب عدة مقالات، لكن أهمها مقال بعنوان: «الرسوم والإمبريالية الإسلامية» قال فيه: «القضية الأساسية في معركة الرسوم هي هل سيقف الغرب ليدافع عن قيمه ومبادئه بما في ذلك حرية التعبير، أم سيرتك المسلمين يفرضون طرق حياتهم على الغرب؟.. ليست هناك مساومة.. على الغربيين إما أن يستعيدوا حضارتهم، بما في ذلك حقهم في توجيه الإهانة والإساءة، وإما لا؟». هذه العلاقة بين الصهاينة وبين نشر الرسوم، التي يؤكدونها محللون غربيون، هي التي جعلت كاتبها وصحفيها أمريكا عارفا بشؤون الاسلام والمسلمين، وهو

# المواطنة.. أدب المصلحة العامة

## هل يمكن أن نكون مختلفين ومتساوين في آن معاً؟

إعداد: د. ماري شهرستان

للوطن الأصلي: هو مكان الولادة حيث يأخذ الإنسان منه أصوله وجنسيته، وهو يبقى منزل إقامة الإنسان الثابتة، ولِدَ فيه أم لم يولد (لسان العرب، كازميرسكي).  
واطنٌ: صيغة فاعل، وهو فعل المزيد، يدل على حالة المشاركة في الوطن نفسه.  
المواطن: هو الإنسان الذي نشأ معك في وطن واحد أو الذي يقيم معك فيه.  
المواطنة: الاشتراك في الحياة بتعاقب الأجيال على بقعة جغرافية محددة ضمن ظروف ومعايير ومتغيرات مستمرة. تاريخية المواطنة

وجدت البشرية في كل بقاع الأرض نظام اجتماعها وأدبيات علاقاتها من خلال تطور وعيها المترافق مع تجربتها الوعرة. وكل بيئة كان لها أسلوبها في تطوير هذا النظام مع حفظ لتوازنها وتخفيف للظلم الواقع فيه، حتى أصبحت المجتمعات تُعرّف تبعاً لعدالة علاقاتها الداخلية وتجسيد رقيتها في وجدان أفرادها، والأهم من ذلك كله من قوانينها المكتوبة.

وأمة الهلال الخصيب هي التي وضعت الأسس الراسخة للحياة الراقية المتوجة بالعقل والمشملة على المنطق والأخلاق الراقية وسلامة الذوق.  
وفي جنوب الرافدين فقط أكملت الثقافة العبيدية تطورها بسرعة كبيرة خلال الألف الرابع قبل الميلاد الذي أدى بها إلى تمركز وتكثيف للسكن في أولى المدن الحقيقية بمعناها الصحيح في العالم، حيث تم اختراع الكتابة وفن الخطابة والفن الواقعي المتميز.  
ولأن الكتابة كانت امتيازاً لسوريا الطبيعية، وكذلك الإدارة، فمن الطبيعي أن تظهر فيها أولى القوانين المنظمة لحياة المجتمع مدونة على ألواح اكتشفها علماء الآثار وهي ما تسمى الرُّم، وقد تم الاعتراف في علم الآثار أن أول تشريعات مكتوبة في البشرية هي شريعة أورنامو4 التي تتكون من 31 مادة تعالج الأحوال الشخصية والخلافات العقارية عن طريق

التعويض المادي، ولا يوجد أي نص في شريعة أورنامو يحتوي على عقوبة جزائية (لا يوجد فيها قطع الرجل أو اليد أو الأنف) كلها عقوبات مادية باهظة؛ وفيها أول تقسيم للموازين والمكاييل والمقاسات في التاريخ القديم. وشريعة لبت عشتار اهتمت بتنظيم شؤون المرأة بالمواد (27، 28، 30، 33)، حيث نصت المادة 28 على وجوب إبقاء الزوجة التي تفقد بصرها أو تُصاب بشلل، في بيتها، وفي هذه المواد للمرأة حق طلب الطلاق. أما شريعة أشنونة5 وتتكون من 61 مادة قانونية فيها تحديد الأسعار والسلع الأساسية وتحديد الأجور ووسائل النقل والعمال، ونصوص تعالج الأحوال الشخصية.

وفي سومر في نظام المدينة - الدولة، تشكلت جمعية عمومية لجميع المواطنين وظيفتها: الاجتماع في أوقات الحاجة للبت في الموضوعات التي تهتم المدينة مثل اختيار المسؤولين واتخاذ قرارات الحرب. وفي عام 2375 قبل الميلاد (أي قبل حمورابي بعدة قرون) قاد أوركاجينا أول انتفاضة اجتماعية في تاريخ العالم حيث ظهرت لأول مرة كلمة حرية (امارجي) في وثيقة مكتوبة. عمل أوركاجينا على تخفيف الضرائب ومنع تسلط الجباة واللصوص على الضعفاء، وتعهده بأنه: «لن يسمح بأن يقع اليتامى فريسة للظلم الأقوياء»، و«بإزالة الظلم ونشر العدل بين طبقات المجتمع ووضع حد لكبار الموظفين في ابتزاز أموال عامة الشعب»6.

وإذا كانت هذه الشرائع التي وضعها إنسان هذه الأرض تبعاً لنمو مناحي تفكيره، قد رسمت حدوداً لسلوكية أفرادها، فإن تطبيقها ونتائجها على الأفراد يبقى منوطاً بالقضاء وتطوره وورقي ممارسته، والملك هو ضامن الحق والمواطنة السلمية وفق الشريعة التي يضعها أو يتبناها، وحيث كان المعتقد أنه يتلقاها من إله الشمس: وفي التاريخ السوري صورة مشرفة لشريعة حمورابي تحفظ الحقوق وترد الظلم، خصوصاً حقوق الأيتام والنساء التي كانت منصفة في جميع مراحل وظروف الحياة، دالة على إحساس عال بالعدل. وتتكون شريعتي من 281 مادة تعالج جميع شؤون الحياة مثل تحديد الأجور ومعاينة الإيداء، والميراث، والدفاع المدني والإهمال، والطب.

وكانت ابشع الجرائم هي خيانة الوطن.  
ويقول حمورابي في شريعته:  
أنا حمورابي الأمير التي الذي يخشى الآلهة أيوطد العدل في البلاد وأقضي على الخبث والشر الجندي أو السماك تساويا أمام القانون.

موفي الحقائق ومنظم العامة  
حيثما أمرني الإله مردوخ بتنظيم أهل البلاد لإيجاد الطريق الصحيح وضعتُ الحق والعدل فعَمَ البلاد طليبتُ كيان الناس من أجل ألا يختبل قوي ضعيفاً

أما اليوم فيقرّ الباحثون وعلماء الاجتماع أن العالم يشهد تراجعاً في منطق الدولة - العناية، وتفانم انحطاط المدارس ومستوى التهذيب، وغياب الخطاب الأخلاقي، وازدياد الفردانية. وقد شاعت ممارسات تطبيق نظام الواجبات على الآخرين وليس فرضاً على الذات، وغدت المواطنة موضوعاً لخطاب متناظر ومتناقض حتى أصبحت تبدو وكأنها ريبية أخلاقية!  
لقد نضب الإيمان بمستقبل مشرق للتاريخ، وفرغَت المواطنة من كل محتوى منقبي وتم إنتاج مواطنة دون مواطنة. ويتساءل الباحثون في الأدب الاجتماعي - السياسي:  
«هل يمكن في ظل هذه الظروف أن نعيش معاً؟ معاً في المتحد المحلي، معاً في الأمة، ومعاً في هذا العالم؟ فإذا كانت المواطنة المنشودة مفهوماً إنسانياً وثقافة ديمقراطية في المجتمعات الحديثة، فإنها تواجه تحدياً ثقافياً - اجتماعياً بالإضافة إلى تحديات كبيرة تجعلها لا تسير على ما يرام بل وتشهد تدهوراً على مختلف الصعد، وهي فوق ذلك ليست معممة لا في الزمان ولا في المكان (هي في أقل من نصف دول العالم الحالي)، وفي استنباطها إشكالية تظهر بوضوح في المجتمعات المعقدة حيث يبقى فيها التضامن العضوي أمراً عسيراً.

والتحدي الأكبر لها هو التحدي الاجتماعي - الاقتصادي الذي يتجلى اليوم في تعميق الفروق المترافقة مع عولة الاقتصاد والسياسات النيوليبرالية وتبعاتها، فيقول Reich في كتابه «الاقتصاد المعلوم»:

«هناك رغبة في انفصال الأغنياء الاجتماعي في أمريكا، بينما يثني الفقر «المهملين» عن المشاركة في المجتمع (انكفاء اثني، وجنوح داخل الغيتو)»...

ويرى الباحثون أنه لن تتم مواجهة هذه التحديات إلا ببناء ضمير جماعي يتصدى للخاطر المتعلقة بالسلوكيات غير المسؤولة، وبالقضاء والكذب والاحتيال.

وكيف تتصنع المواطنة؟

وكيف يُعقد الرابط الاجتماعي والسياسي؟

ما هو نظام القيم الذي يساعد في بناء التجربة الاجتماعية، ويساعد في إرساء قواعد أخلاقية عامة، يؤسس فيها لآليات الانتماء والعرفة؟

ويتساءل الباحثون: هل يمكن أن نكون مختلفين ومتساوين في آن معاً؟ وما هي الآلية لتحقيق ذلك؟ وقد اجمعوا على وجوب الاعتراف بالكرامة المتساوية لجميع البشر في الحياة الاجتماعية والتركيز على المشترك الحياتي وترقية مفاهيمه وقوانينه وجعل حفظها وممارستها شأناً إلزامياً في أوطان البشر قاطبة، وهذا ما يسمى بالمواطنة.

وبذلك تكون المواطنة هي أدب المصلحة العامة، غايتها الخير العام والسعي لإيجاد أفضل نموذج اجتماعي يصهر الميول المختلفة والمتخالفة، وهي مثثلة الأبعاد:

هي أولاً: مثال أعلى مؤلف من مجموعة القيم المحركة، بعيدة عن الشعارات ولا تصدق إلا بالممارسات، وهي قيم «المساواة، والحرية، والمسؤولية».

وهي ثانياً: مجموع النظم السياسية - الحقوقية، أي الحقوق والواجبات التي تشرع بعضها بعضاً بكفالة السلطة السياسية7 التي تُمارس في إطار الأمة - الدولة8. وثالثاً: هي مجموعة ممارسات المواطنين الفعلية ضمن مشاركتهم في الحياة الجماعية. فعناصر ثقافة المواطنة في المعنى الاجتماعي للكلمة هي إذاً:

قيم ونظم وسلوكيات اجتماعية صادقة، تتغير وفق الزمان والمكان، وتُبنى وتُكتسب وتنتقل لتستمر وتتطور. وتسمح ثقافة المواطنة لكل واحد ان يكون معترفاً باختلافه، وأن يكون هذا الاعتراف متبادلاً أي الاعتراف بالآخر بشكل متساو تماماً.

ففي الأمم القديمة والحديثة وجد على الدوام انقسام حول القيم، ولتحقيق وجود أمة مواطنة، ينبغي على الأفراد افتراض وجود مجال عام موحد، مستقل عن الروابط الدينية والعشائرية والعائلية والإثنية والمهنية والإقليمية والأعمار، وأن يحترموا سير عمله. أي أن تصبح المواطنة قيمة إنسانية مجتمعية بحد ذاتها مُضافة إلى قيم كل طائفة وكل عائلة، بحيث يميز الفرد وفقها موطن الله عن موطن البشر طبقاً للمقولة الشهيرة: الدين لله والوطن للجميع.

ومن الأمور الهامة في بناء المواطنة:

أ - معرفة الغير التي تسهّل التفاوض.  
ب - وجود كياسة تسمح بتبديد الضغط بين الفروق الاجتماعية.  
ج - انتشار الاعتقاد بالعقل.  
د - الثروة المشتركة والمصلحة العامة.

ويعرّف «لويد فالرز» الكياسة على أنها اعتراف متسامح للارتباط المشترك بالنظام الاجتماعي والمسؤولية العامة تجاهه رغم التنوع.

تعلم الكياسة عن إفلاسها عندما تتنازع الهويات مع بعضها بعضاً ليس فقط في التعبير السياسي الرسمي والجدل أو الظاهر، بل في جميع ظروف الحياة اليومية: فتصبح أدنى الأفعال الروتينية تحمل معاني أوسع؛ ربما هي أغنية ما، أو حدث رياضي، أو لباس معين، أو جرس كنيسة، أو مكبر صوت، قد يحدث نزاعاً، وهنا ينتظر المواطنون كياسة الآخرين!...

والمساحة العامة المشتركة التي يمكن تنظيمها للمواطنين، يمكن رؤيتها في مستويات عدة: المستوى المحلي والمستوى القومي والمستوى العالمي، حيث أن يلغي الخاص، والخاص لا يستثني العام.

تنشأ هذه المساحة العامة بالتجمع الحر للرجال والنساء حيث يتشاركون ضمن مساواة في الحقوق والكرامة متجسدة في مجموعة نظم مادية في إطار الأمة- الدولة، حيث أن المواطنة هي شعور بالانتماء، والمشاركة المواطنة هي مصدر الهوية الجماعية والشعور القومي في التضامن والتكافل9، القادر على تصعيد المصالح الخاصة وصهر الهويات النوعية، أي انه ينظم ويسوي الفروقات والصراعات الداخلية ويجولها إلى مساحة اجتماعية - سياسية ذات بعد أوسع واشمل التي هي الأمة.

(حيث يصل فيها التصعيد لحد الاستشهاد للذود عنها). أما المواطنة العالمية فتقوم على احترام تراث البشرية المشترك، واحترام القوانين البيئية وسلامة الكون وتنمية فكرة «مواطني العالم».

ينبغي أن تدرّس المواطنة في المدارس والكنائس والجوامع والجمعيات وأن يكون لها تأثير في نشر ثقافة مشتركة قادرة أن تخلق عند المواطنين هوية جماعية تسهّل التعايش العام اليومي واهتمامهم بالشأن العام.

يمكن للمدرسة أن تلعب دورها في مادة التربية الوطنية لأنها المكان والزمان الأفضل لبناء المواطن، عن طريق إشراك التلاميذ في مناقشة حقيقية فعالة مدعومة بالحجج لأن الشأن الذي لا يُناقش، لا يُستبطن ولا يأخذ قيمة العقيدة. والتلاميذ ليس لديهم سوى مقاربة نظرية وغير كاملة من المجتمع. ينبغي تدريبهم على قراءة الصحف لتتم تهيئتهم لعالم الغد. وقد بدأ المعلمون والمدرسون في فرنسا يطرحون دراسة المقالات في نفس مستوى دراسة النصوص الأدبية.

ترجمة المواطنة إلى نظم وقوانين مكتوبة: يميز مارشال (1950) بين الحقوق المدنية (مثل حرية الفكر وحق الملكية) والحقوق السياسية (حقوق المشاركة في انتخاب القادة السياسيين على قاعدة الاستفتاء العام) مع حق الترشيح

وأن ينصف اليتيم والأرملة

في بابل

قانون البلاد القضاء

مرسوم البلاد للقرار

لإنصاف المظلوم

أما في تاريخ الفكر الغربي، فإنهم يعتبرون أئينا هي الزمن المؤسس للمواطنة، وأن الإثنيين قد اخترعوا الديمقراطية التي استمرت عندهم أكثر من 150 عاماً، بدأها لأول مرة كليستين عام 508 ق.م لتحقيق سيادة الشعب الذي يصنع قانونه بنفسه، وألغاها المقدونيون عندما استولوا على أئينا عام 322 ق.م.

ووفق كتاب كلود موسيه: كل مواطني أئينا كانوا يتمتعون بالحقوق السياسية نفسها، والجميع كان باستطاعتهم الدخول في القضاء والجلوس في مجلس الشعب الذي كان السلطة العليا. وكانت الضرائب تنقل بالتساوي على الجميع، ولم يكن الفقر عائقاً للذي يلحم بالوصول إلى الغلا.

ويقول بيركليس: صحيح أن الدولة عندنا تُدارُ في مصلحة الأغلبية واتخذ نظامنا لذلك اسم الديمقراطية، لكن المساواة محققة للجميع بوساطة القوانين.

أما فيما يخص الحياة العامة، فكل واحد يحصل على الاعتبار بما يستحقه، والطبقة التي ينتمي إليها ليس لها تلك الأهمية، إذ أن الأهمية هي قيمته الشخصية.

الحرية هي قاعدتنا وقانوننا وديمقراطيتنا مباشرة وليست تمثيلية.  
خلقت هذه الديمقراطية رابطاً بين المواطنين، إذ كان يجتمع ألوف منهم من أجل المجلس في الهواء الطلق على هضبة الينكيس قرب الأغورا، وكان يصل عددهم إلى ستة آلاف. وقد أكد بيركليس في مدحه المؤثر: إن رجلاً لا يتدخل في السياسة، هو ليس مواطناً مسالماً بل مواطناً عديم الفائدة (توسيديد 2،4،2).

أما اليوم فيقرّ الباحثون وعلماء الاجتماع أن العالم يشهد تراجعاً في منطق الدولة - العناية، وتفانم انحطاط المدارس ومستوى التهذيب، وغياب الخطاب الأخلاقي، وازدياد الفردانية. وقد شاعت ممارسات تطبيق نظام الواجبات على الآخرين وليس فرضاً على الذات، وغدت المواطنة موضوعاً لخطاب متناظر ومتناقض حتى أصبحت تبدو وكأنها ريبية أخلاقية!  
لقد نضب الإيمان بمستقبل مشرق للتاريخ، وفرغَت المواطنة من كل محتوى منقبي وتم إنتاج مواطنة دون مواطنة.

ويتساءل الباحثون في الأدب الاجتماعي - السياسي:  
«هل يمكن في ظل هذه الظروف أن نعيش معاً؟ معاً في المتحد المحلي، معاً في الأمة، ومعاً في هذا العالم؟ فإذا كانت المواطنة المنشودة مفهوماً إنسانياً وثقافة ديمقراطية في المجتمعات الحديثة، فإنها تواجه تحدياً ثقافياً - اجتماعياً بالإضافة إلى تحديات كبيرة تجعلها لا تسير على ما يرام بل وتشهد تدهوراً على مختلف الصعد، وهي فوق ذلك ليست معممة لا في الزمان ولا في المكان (هي في أقل من نصف دول العالم الحالي)، وفي استنباطها إشكالية تظهر بوضوح في المجتمعات المعقدة حيث يبقى فيها التضامن العضوي أمراً عسيراً.

والتحدي الأكبر لها هو التحدي الاجتماعي - الاقتصادي الذي يتجلى اليوم في تعميق الفروق المترافقة مع عولة الاقتصاد والسياسات النيوليبرالية وتبعاتها، فيقول Reich في كتابه «الاقتصاد المعلوم»:

«هناك رغبة في انفصال الأغنياء الاجتماعي في أمريكا، بينما يثني الفقر «المهملين» عن المشاركة في المجتمع (انكفاء اثني، وجنوح داخل الغيتو)»...

ويرى الباحثون أنه لن تتم مواجهة هذه التحديات إلا ببناء ضمير جماعي يتصدى للخاطر المتعلقة بالسلوكيات غير المسؤولة، وبالقضاء والكذب والاحتيال.

وكيف تتصنع المواطنة؟

وكيف يُعقد الرابط الاجتماعي والسياسي؟

ما هو نظام القيم الذي يساعد في بناء التجربة الاجتماعية، ويساعد في إرساء قواعد أخلاقية عامة، يؤسس فيها لآليات الانتماء والعرفة؟

ويتساءل الباحثون: هل يمكن أن نكون مختلفين ومتساوين في آن معاً؟ وما هي الآلية لتحقيق ذلك؟ وقد اجمعوا على وجوب الاعتراف بالكرامة المتساوية لجميع البشر في الحياة الاجتماعية والتركيز على المشترك الحياتي وترقية مفاهيمه وقوانينه وجعل حفظها وممارستها شأناً إلزامياً في أوطان البشر قاطبة، وهذا ما يسمى بالمواطنة.

وبذلك تكون المواطنة هي أدب المصلحة العامة، غايتها الخير العام والسعي لإيجاد أفضل نموذج اجتماعي يصهر الميول المختلفة والمتخالفة، وهي مثثلة الأبعاد:

# المتنبي في لبنان

بين عامي 935-948م

د . ابراهيم فاضل

## آنية الكلام

هل..

موسيقى  
تشرق في  
جسد  
مشرعة  
أقصى الظن..  
ياما أحلاك  
بخمرته  
وا  
بوح الدن..  
أسئلة تتخاصر  
في أعلى الجيد  
معلنة مجد الأثنى...  
يضمم في غبش الروح  
حريقاً  
أمسى جسداً..  
من أخلاط شتى  
ومتاه..  
يندلق المشهد..  
من نبع القامة  
في مجرى الكلمات  
فتضخ  
صلاة...

آنية الكلام - شعر  
أوس أحمد اسعد

## جاكوزي

اندفاع

فشل في علاقته  
الأولى.. اندفاعه  
كان زائداً  
في الثانية، كذلك  
لنفس السبب،  
تقريباً  
مع تقدمه في  
السن، كان  
الفشل مردهً  
لنقص في  
الخبرة

بعد أن نضج واكتملت خبرته  
علاقته الأخيرة.. فشلت كذلك  
لأنه فقط..  
نسي الموعد.

## اختيار

اختار المتوسط إحدى جزره الهادئة - أرواد -  
لكتابته مذكراته.  
مدن بحرية قديمة، فراغة وكنعانيين، فينقيين  
وإغريق، عرب وروم  
غاليين وفرنجية..  
عندما انتهى... كان سفرًا ضخماً  
استوعب جل حضارة البشر  
أرسل للنشر.. طبع، أنزل للمكتبات.. صودر  
حاشية لجنة قراءة النصوص في اتحاد الكتاب:  
«تافه وسطحي»

جاكوزي - قصص قصيرة جدا  
مصطفى حرويل

يعود المتنبي ليرسم لنفسه لوحة شهيرة جداً في سلوك  
«الترجسية». رسمها لمعرفته بمعرفة صديقه (علي) لقيمته  
وجلاله.

يقول المتنبي في لوحته اللبنانية الجديدة:

ضاق نزعاً بأن أضيّق به نزع  
عاً زمانياً وأستكرمثنني الكرام  
واقفاً تحت أخمصي فذر نفسي  
واقفاً تحت أخمصي الأثام  
أقراراً ألدّ فوق شرار  
ومراماً أبغي وظلمي يرام  
دون أن يشرق الحجاز وتجد  
والعراقان بالقنا والشام  
أين اللبنانيون الأحية الذين يتماحكون اليوم، خارج (الفهم)  
وفي نفق (الوضي) يستمعون للشاعر اللبناني، المتنبي؟  
أقول: الشاعر اللبناني، لأن مضيفه اللبناني «علي المري»  
«وافقه ودعمه وصفق له لسماعه ما يقول، بل لمعرفته وتذوقه  
وطريه لموسيقا طبول الحرية الداخلية لمثل البشرية جميعاً  
في قوله:

كُلْ حِلْمَ أَيْ بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ  
حُجَّةً لاجئٍ إليها اللئام  
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ  
مَا لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِبْلَامُ  
ويرحل المتنبي إلى «إنطاكية» ساحرة الشمال اللبناني ليلتقي  
ب«محمد الخطيب الخصبيني» قاضي إنطاكية.

ولينادي جموع البشرية:

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن  
يخلو من الهَمِّ أخلاهم من الفطن  
وفي (إنطاكية) يتصل بزعماء الفكر هناك أمثال «أحمد بن  
عبد الله الإنطاكي» ويتوجه بقصيدته:  
لك يا منازل في القلوب منازل  
أفقرت أنت وهن منك أوائل  
ثم يقول لأخيه «سعيد» قصيدته:

«قد علمَ البيّنُ مآ البيّنِ أجمانا»..  
ويعزف له «أحمد بن عمران الحن»: «

سرب محاسنه حرمت ذواتها»..  
ويؤلف سمفونية ل«علي بن عامر الإنطاكي»:

«أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر»  
وينتقل إلى الساحل المقابل لإنطاكية ليغني أمام «علي بن  
مكرم»:

«ضروب الناس عشاقاً ضروباً».  
ويعود أدرجه إلى الرملة على الساحل الفينيقي الجنوبي  
ليقول أمام «الحسن بن عبد الله»:

«أنا لاثمي إن كنت وقت اللوائم».  
ثم يرسم له سبع عشرة لوحة حركية في مقطوعات شعرية  
لم يصل إلى مستواها شاعر قبله.

ويظل المتنبي متنقلاً على الساحل الفينيقي «لبنان» من  
شماله حتى جنوبه إلى أن يحل عام 948م ويظفر (سيف  
الدولة علي بن عبد الله) ب«حصن برزويه» ظفراً عظيماً. ويعود  
إلى إنطاكية ويجلس في فارة من الديباج عليها صورة ملك  
الروم وصورة وحش وحيوان.. وهنا.. هنا يدخل عليه المتنبي  
ليصف هذا الانتصار.. وليدخلا في صداقة حميمة وغاية  
نبيلة تستمر إلى عام 958م.. أنشده فيها، نداءً لند، (ألفاً  
وسبع مئة وأربعة وثلاثين بيتاً) من أجمل وأمت وأدق تصويراً  
مما قالته شعراء الإنسانية..!

ولقد كتبت الكثير عن المتنبي: كان شاعراً، فيلسوفاً، عالم  
اجتماع، عالم نفس.. ممثلاً (للإنسان الإنساني) حتى لقد  
وجدت له في بحثه عن الزمن (مئة وثمانين نظرية) تحدث عنها  
تلميذه (أبو العلاء المعري) فيما بعد. وأرجو من الفنان «منصور  
الرجباني» أن يلتفت إلى (المتنبي) ضيف (لبنان) وهو بثالوته  
- مع (عاصي وفيروس) - ليتكون الرباعي الجمالي الخالد..!

في كل يؤزم للقوافي جولة  
في قلبه ولأنه إصغاء  
وإغارة فيما اختواه كأنما

في كل بيت فيلق شهباء  
هذا هو الفيلسوف اللبناني الذي تحمل قول المتنبي، بل قل  
حمل قول المتنبي محمل التّوحد فيه من حيث «المعرفة الكلية».  
هذا القول الفخم المشبع بعظمة الإنسانية المتمثلة في المتنبي:  
أنا صحره الوادي إذا ما روجمت

وإذا نطقت فإبني الجزاء  
وإذا خفيت على الجهول فعانز  
أن لا تراني مقلّة عنيا  
لا شك، أخي القارئ، بوضعه يدك على توحّد الأوراقي  
اللبناني مع الجزائوي السوري كتوحد خد لبنان وتغر سلمية  
المتنبي.

ومن الطريف أن «سلمية» في القرن الواحد والعشرين  
الراهن تشرب من روابي «الهرمل اللبنانية».. وتغسل قدميها  
في مياه نهر العاصي المرسل إليها من «لبنان». ولقد قلت في  
هذا، وأنا من «محبّ المتنبي» [ولقد ذكرته في أكثر من خمسين  
كتاباً خصصتها للمعرفة الكلية]..! نعم، قلت ما يسر المتنبي  
في «لبنانه»:

هذي سلمية والعاصي يغازلها  
يأتي لها من ربي للبنان بالعسل  
حتى إذا اعتسلت في غيمة عشقت  
تُعطيه أضعاف ما أعطى من القبل  
ما أطيب العيش، والجاران بيئهما

بئيت المحبة في ناس وفي دول  
نعم، أيها اللبنانيون السوريون، أبناء الكنعانيين الذين  
رسموا الحضارة على أذمعة الإنسانين منذ أيام  
تسميتهم لبلاد «الغال» «بزي تائيا» - «بريتائيا» - (بلد  
القصدير) بتاريخ عام الخمسين لبلاد (صور) أي من -  
أربعة آلاف وسبعمئة سنة شمسية.  
[ولقد ذكرت هذا بالتفصيل في كتابي «وحدة الفكر  
الإنساني»].

وبهذا الرسم [كنعانوا] المعرفة.. كما أن الرّحبانين بغيروزهم  
[رحبنا وفيروسا] الذوق البشري ووحده حول [خد لبنان  
وتغر المتنبي].. وجعلوا من لبنان [سمفونية الإنسانية في  
فرحها الجمالي].

ومن الأوراقي «نهد المتنبي إلى «أبي الحسين، بدر بن  
عمار بن اسماعيل» وهو في الوسط الكنعاني: في «طبرية».

[ومعذرة من جهلة الجغرافيا] أقول:

«من درس اللغة الكنعانية [على طريقة «فيزياء الكلمة» وجد  
أن كلمة «لبنان» تعني الجبال المطلة على البحر، من أعالي  
(العريش) حتى ما وراء (طوروس). وهكذا «فلبنان» هو «لبنان  
الشام» كما نقول «بادية الشام».. فالشام هو الوجه المظلل  
الشرقي للجبال، ولبنان هو الوجه الغربي المنار.. فإن تعذرت  
عليك فيزياء الكلمة، عدّ إلى كلمتي «شام» و«لبنان» أن  
«الكنعانيين من حيث حركية الحرف البنيوي»..!

المهم أن المتنبي انتقل من (طرابلس) إلى (طبرية) ليرسم  
حوالي ثلاثين لوحة للفارس «بدر بن عمار».. منها مقطوعات  
صغيرة ومنها ملحمة كوصفه الفارس بدرأ ينازل السبع:

أمعزّ الليث الهزير بسوطه  
لمن انخرت الصارم السلولا  
وقعت على «الأرثن» منه بليّة

نضدت بها هام الرقاق تلولا  
وأرجو من القارئ الرجوع إلى ديوان المتنبي ليرى اللوحات  
الناطقة بالجمال المتحركة وكأنها على الشريط التلفازي الملون..  
والمتنبي وابن عمار يتوحدان بالشجاعة والذوق.

ويعود المتنبي من مسرح «ابن عمار» إلى مسرح كاتب  
أصيل ومفكر كبير هو «علي بن أحمد المري» وكان في سفح  
الجبل المطل على ساحل (صيدا صور) حوالي (النبطية).

أطلق سراح المتنبي من سجن (حمص) أواخر عام  
943م بعد أن أقام فيه سنتين.

وعذب وجوع ليقول لسجانه «أبي ذؤف»:

أهون بطول السواء والتكلف  
والسجن والقيّد يا أبا ذؤف  
غير اختيار قبيلت برك لي  
والجوع يرضي الأسود بالجيف  
كُن أيها السجن كيف شئت فقد  
وطئت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة  
لم يكن الدرس ساكن الصندق  
خرج المتنبي من السجن بعد أن فشلت ثورته في المرتفعات  
المطلّة على مدينة «سلمية» من الشمال وتسمى «بارقا» والواقعة  
بين «برقان» شرقاً و«براق» غرباً.. وتمتد أحياناً لتصل «وادي  
العذيب» يقول المتنبي:

تذكرت ما بين العذيب وبارق  
مجرّ عوالينا ومجرى السوابق  
وصحبة قوم يذبحون قنيصهم  
بفضلة ما قد كسروا في المفارق

ويذكر في هذه القصيدة «سماوة كلب» المجاورة لسهول  
مدينة سلمية من الجنوب الشرقي بين «الفرقلس وتدمر  
والبلعاس» فيقول:

توهّمها الأعراب ثورة مثرف  
تذكرت البيداء ظل السرداق  
فذكرتهم بالماء ساعة عجزت  
سماوة كلب في أنوف الحزائق

لأن المتنبي ولد عام 915م في ريف «سلمية» حيث كانت  
قد دمّرت وقتل سكانها على يد «الحسين بن زكوية» المعروف  
ب«أبي مهزول» ما دفع الناس للهرب إلى جبال «بلعاس» أو  
«العلاء».. وجبال «بارق» قسم من العلاء يمتد من جبل «عين  
الزرقا» إلى قرية «كيتلون» التي أول من سجن فيها المتنبي،  
وهو يومئذ في مطلع الثامنة عشرة من عمره.. وهو القائل:

زعم القيم «يكنتلون» بئنة  
من آل هاشم بن عبد مناف  
فأجبتة: مذكرت من ابنائهم  
صارت قيودهم من الصفاصاف

ومن معتقل «كيتلون» إلى سجن مدينة «حمص».. إلى أن  
أطلق سراحه كما سلف وذكرته..!

والآن إلى أين يذهب؟  
سمع المتنبي، وهو المنقف الثائر، بجنّات «لبنان» التي طالما  
تذكرها مع وطنه الصغير «ريف سلمية» الواقع بين مدينة  
حمص جنوباً وقرية «خناصر» شمالاً.. حتى قال في عام  
اغتياله 965م:

أحبّ حمصاً إلى خناصر  
وكل نفس أحبّ مخياها  
حيث التقى خدماً وتفاخ  
لبنان وتغري على حمياها

إذاً إلى «لبنان».. إلى الفيلسوف اللبناني الشهير باسم  
«هارون بن عبد العزيز الأوراق» المكتنّى ب«أبي علي». ولنترك  
«المتنبي» يصف طريقه إليه ببلاغته وبيانه وموسيقاه ودقة  
ورشاقه تصويره:

بينني وبين «أبي علي» مثلة  
شم الجبال ومثلهن رجاء  
وعقاب «لبنان» وكيف يقطعها  
وهو الشتاء وضيّفهن شتاء

لبس الثلج بها عليّ مسالكي  
فكأنها ببياضها سوداء  
وكذا الكريم إذا أقام ببلدة  
سال النصار بها وقام الماء

ومما قاله في هذا الكاتب الفيلسوف الذواق:

# الصورة. الأغنية. الجماهير اضغط على الزر وسنتكفل بالباقي

عبارة أطلقتها شركة كوداك في العام 1888 لترويج مبيعاتها

## صخر يوسف الحاج حسين

الصعد، لكنه يتجسد أكثر ما يتجسد في الفن على اعتبار أن الفن هو البؤرة التي يتم تقييم المجتمعات من خلالها. فماركوز يرى في كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد» أن الموسيقى الكلاسيكية تتعارض مع نظام الهيمنة الرأسمالية ونمط الحياة الاستهلاكية الذي تطاول على كل شيء بدءاً من الأغنية وانتهاً بالألعاب الأطفال.

لقد ألف الفرد في القرن العشرين الصورة السينمائية في البدايات، إلا أنه سرعان ما أدمن الصورة المغناة أو الأغنية المصورة التي اعتمدت أسلوب الإعلان والترويج للمطرب والأغنية وحتى لبعض الأماكن السياحية. ويرى بعض المراقبين أن استبدال الأغنية المسجلة في استوديو أو حتى الحية منها (على الهواء) بالأغنية المصورة كان نوعاً من تكريس تقنيات الإيصار. فقد حاولت الصورة بأبعدها أن تغيب من الإحساس الذي يفترض أن تحمله الكلمات مقترناً بأداء يفترض أنه رفيع. وإذا كنا لم نعد نفكر، فإننا الآن لم نعد نحس.

فالرسوم التي تظهر على الشاشة (كل الصور رسوم متحركة) تحفر عميقاً في مخيلة المرء الذي ما عاد يطبق كلمات أو أحياناً، بل يريد ألواناً مجرد ألوان يستعيز بها عن أفكاره وأحاسيسه تقترن بشتات من علامات موسيقية لا يربط بينها رابط. وإذا بلغ الأمر ما بلغ فإن العقل غير الحدائي (جميع الدول في طور النمو ليست حديثة ولا تعرف من الحدائة سوى الشكل) سوف يرضخ دون أية مقاومة لسيادة الصورة بكل أبعدها الكارثية، خلافاً للعقل الحدائي الذي وظف الأغنية المصورة لطرح بعض الموضوعات التي تقلق بال مجتمعاته.

في معرض تعليقه على موسيقا الجاز كتب سيدني فينكلششتين في الأربعينيات يقول إن الجاز هي «موسيقا الشعوب». وبدأ كلامه عن العوامل

(لا يزال السينمائيون حتى اليوم، يصورون مشهد القبلية، بنفس سرعة الكاميرا التي يصورون فيها مشهد سيارة منطلقة). لقد ندد المتقنون والمفكرون بالوعي الزائف الذي تفرضه الصورة في أعمالهم. إذ كتب دانييل بورستين في كتابه «الصورة: دليلك إلى الأحداث الزائفة في أميركا» عن التجربة التي يخوض غمارها مع جميع الأميركيين تقريباً «المعنيين» بتنوعيات جديدة وعديدة من الواقع المزيف، «هذه التنوعيات التي تشوش تجربتنا وتعمي بصيرتنا». لقد اختار بورستين أن يتماهى مع مجموع البشر الواقعيين تحت تأثير سحر الصور عندما قال: «لست أعرف وبحق ما هو الواقع. لكنني أعرف الوهم عندما أراه». إن هذا العالم الذي صنعناه بأيدينا والذي يبعدها عنه «جنون الصورة» بات عالماً خالياً من أية مصداقية.

فالعديد من اهتماماتنا نابع من فضولنا فيما إذا كانت انطباعاتنا تشبه الصور الموجودة في الصحف ودور السينما وفي التلفاز. بمعنى آخر، هل يمكن اعتبار مشاهد الحب التي نراها على الشاشة مثلاً هي ما يحدث في الواقع؟ ربما لم نعد لنختبر الصورة من خلال الواقع بل على العكس فنحن نختبر الواقع من خلال الصورة. لقد بات «المصطنع» شائعاً وبدا الطبيعي وكأنه «مختلق»، بكلام آخر، باتت تجربتنا اليومية غير قادرة على مواجهة العالم دون تقنيات تساعدنا «على الإيصار». «لقد جعلنا من أنفسنا ضحايا». إذ «حولنا المثال إلى الصورة».

على الرقصة والمغنين أن يمتلكوا العالم كوتزي - في انتظار البرابرة يرى الدارسون أن القرن العشرين هو عصر الدعاية والإعلانات بامتياز. وهو بداية ما سمي بعصر المستهلك. وينسحب هذا الرأي على مختلف

تعتبر مسألة الإيصار استمراراً لمسألة التقنيات التي فرضت على الإنسان شكلاً جديداً من الإدراك، مع كل ما يترافق مع هذا الإدراك الجديد من دمار وتشويه. ربما كنا نرى الكثير لكننا في الواقع لا نرى شيئاً. فالتقنيات التي رافقت عملية الإيصار شوّهت حقيقة الصورة وبعدها. فالكلم الهائل المتسارع من الصور، وهو ما يعجز الفرد عن استيعابه أو حتى تحمله، خلّف بعداً نفسياً خاصاً. فالذاكرة، بما هي عضو محدد الوظيفة والدور، باتت عاجزة بل ومرهقة وهنا يحل سيل الصور المتلاحقة محل الإيصار وتصبح الصورة (بسرعتها) أهم من الفكرة (رغم ديمومتها). لكن الغريب والمأساوي في الأمر أن كليهما تنزاحان من الذاكرة التي تتعرض للنسيان، فالصورة تتلاشى ولا يبقى غير الفراغ الذي يحيط المرء من كل حذب وصوب. وأما الكلمات فتخلي المكان للصورة، إذ لا يمكن للكلمات أن يترجمها الخيال إلى صور. فالصور جاهزة والأفكار منزرعة فيها. وهنا يعزز إنتاج الصور من دور الأيديولوجيا في المجتمع الرأسمالي ويفرض ثقافة بصرية. فالكاميرا تخضع الواقع وترفضه في أن معاً. كما أنها تحدد الواقع من خلال تصويرها الجماهير ومن خلال كونها أداة للرقابة يستخدمها الحكام في فرض أيديولوجياتهم. وهنا فقط يتم استبدال عملية التغيير الاجتماعي بتغيير في الصور. إن تضيق الخيار السياسي الحر وتحويله إلى نزعة استهلاكية اقتصادية حرة.. تطلب إنتاجية غير محدودة كما يفرض استهلاكاً للصور والأخيلة.

«إنني أمقت الكاميرا عندما لا أصل إلى تلك اللحظة من الحقيقة حيث يشعر المرء بنفسه وكأنه وردة تتفتح. عندما أشعر بهذا الثقب الأسود يرمقني، يجذبني أرغب في تحطيمه إلى عشرة ملايين قطعة».

ناستازيا كينسكي

إذا كانت بعض التيارات الحديثة في السينما قد تبنت نقل الأفكار والمضامين عبر الصورة والصورة وحدها، فإنما فعلت ذلك بدافع إثراء الفكر الإنساني بأساليب جديدة من التعبير لكنها أدركت وفي الوقت ذاته أن للصورة درجة إشباعها، إذ لا يمكن أن تحل الصورة محل العقل، وإلا تحول الإنسان إلى مجرد كائن يرى. وهذا ما لم تفهمه تقنيات الإيصار الحديثة التي دأبت على تصوير وأتمتة نفسها بقدر من السرعة لم يحدث من قبل. وكما عبر عن ذلك المخرج الفرنسي الطليعي - غودار - بلهجة انتقادية

خلاصة القنوات التي تجاوز عددها عدد «النعوات» التي أصقت على جدران شوارعنا

منذ زمن بعيد، وتلك التي أصبحت تطبع مسبقاً، «تقنية جديدة» في طباعة النعوات، حيث لا الاسم مهم ولا العدد ولا حتى الزمان والمكان، ما يهم فقط هو المزيد من السواد. أما ما يستخلص من كل تلك القنوات أننا على مفترق طرق وكما يقال: «المفترق الخطير جداً».

كثرت المفارق منذ ذلك اليوم الذي أصبحت فيه الطرق هي التي تختار مَنْ يطأها دون أن يكون لصاحب الحذاء رأي يذكر في وجهته، ولم يبق أمام مَنْ يرفض أن تختاره الطريق سوى أن يقف حافياً بانتظار عريه على مرأى من تجار المفارق والزواريب.

جاءت محاولة ملاحقة موجات التنظير والمداخلات وتتبع زواريب التحليلات لعلي أصل إلى ذلك المفترق الخطير وأتبن بوضوح هذا الكم من المسالك والدروب. ولكنني كنت أنتهي دائماً حيث بدأت وحيداً حاملاً تساؤلاتي والعديد من علامات الاستفهام: إلى أين أنتم ذاهبون؟ إلى أي مفترق أنتم متجهون؟ وأي طريق هو طريقكم؟.. في هذا العصر، عصر المنظرين والمنظرين على مفارق الطرق ضاعت الحدود بين السلب والإيجاب، بين الحياة والموت، بين الانزلاق على مفارق الطرق والسير السوي على الطرق الصحيحة. بين

التي لا تزال تعوق الجاز من أن يكون فناً ذا قيمة. وينتهي بوصفه كيف أن الجاز بات يطرق أبواب جميع الناس. «فالجاز» والكلام له «يؤكد على أن الخلق الفني هو وظيفة اجتماعية وأن الموسيقا يجب أن تصنع للناس وهي شيء يصنعونه ويستمعون إليه». وأكد «فرانسيس نيوتن» بعد ذلك بإثني عشر عاماً أن الجاز احتفظ بموقعه ضمن علاقات حميمة غريبة ومعقدة مع الموسيقا الشعبية، فقد تعايشت موسيقا الجاز التي تعتبر «فن الجماهير الديمقراطي الحق» مع موسيقا البوب التجارية كما «تعيش زنايق الماء في البرك الآسنة». وبالنسبة لمتقنين مثل فينكشتاين وهوبسباون بات الجاز التجسيد الأمثل للموسيقا الأصلية التي تصدر من الناس وإلى الناس.

في نقاش موجز حول الأغنيات الشعبية، يضع غرامشي في اعتباره التصنيفات التالية: الأغنيات التي ألّفها الشعب للشعب، والأغنيات التي تتوجه إلى الشعب لكنها لم تصدر عنه. وأخيراً الأغنيات المكتوبة التي لم يؤلفها الشعب ولا تتوجه إليه ويتم تبنيها من قبل أناس لأنها تتطابق مع طرقهم وأساليبهم في التفكير والإحساس. ويخلص غرامشي إلى القول إن «جميع الأغنيات يجب أن ترجع إلى التصنيف الثالث. هذا الاستنتاج وبالطبع يرفض الافتراض القائل إن الثقافة الفولكلورية التي تتطابق مع التصنيف الأول، هي ثقافة شعبية أكثر أصالة من الثقافة الشعبية التجارية. وفي الواقع، فإن الأصل التاريخي أو الطبقي أو الصناعي للأغنية لم يعد أكثر أهمية من مطالبة الأغنية بالقيمة الفنية رفيعة كانت أم هابطة. إن ما هو هام بالنسبة لغرامشي هو أن الأغنية تعرف على أنها شعبية لأنها تتضمن تصوراً للعالم يتعارض مع ما يسميه التصور «الرسمي» له، وهي بذلك تمثل تصور الشعب عن العالم. لكن هذا التصور للعالم لا يمت بصلة مباشرة لأي وجهة نظر جماعة ما يمكن تعريفها على أنها (الشعب) كما أنه لا يمت بأي صلة لأي وجهة نظر تتبناها المعارضة. باختصار، لا يمكن لنا أن نعزو أي تعبير سياسي إلى الثقافة الشعبية رغم أنه بالإمكان أن نستخدم قوتها لتعريف وتحديد الأفكار والرغبات التي تعارض الثقافة الرسمية بشكل نسبي».

× فرقة مثل البيك فلويد Pink floyd مثلاً عبرت من خلال أغانيها المصورة عن حركة احتجاج ورفض لقيم المجتمع الغربي واشتهرت بألبوم الجدار the wall.

يبعدنا عن البحث عن ثقب النور النافذة بنا إلى الحياة المضيفة وما زال مستمرا في دفعنا إلى التباري والتباهي بما لدينا من سواد بكل تدرجاته.

كم من النور يلزم لإزالة هذا السواد المخيم الذي صنعناه؟ كم من الماء يلزم لإخماد هذه الحرائق التي أشعلناها؟ كم من الحب يلزم لقتل هذا الكم الهائل من الكراهية الذي تفجّر في النفوس؟ وبعد كل هذا ما الذي يحمينا من هذه الويلات ومن جنون هذا العصر؟ ويعيد لنا رصيدنا وعملتنا؟

حمايتنا فقط في رؤية تمثل جوهر نفسيتنا «مزار داخلي» يكون رصيدنا وثروتنا، نبنيه على أرضنا، حجارته من مقالع جبالنا واسمنتها من طين تراب وطننا، وقماشه من نسيج نباتاتنا. «مزار» «تحصنه صدورنا وتحصيه دماؤنا، نسكنه ويسكننا، به تكبر وبه نغتنى، نؤمّه لنحتمي به من جنون هذا العصر وعواصفه، دفء مواعده يذيب صقيع ما أعد لنا من مقابر، وبوصلته توصلنا إلى السوي من الطرق وتبعدها عن الخطير من المفارق.

«مزار» يرافق وجودنا ويساويه، وكل «خلعة» فيه تشكل نقطة انطلاق لمستقبل غني واعد.

رصيدنا «خلعة» من خلعاته، هي عمليتي المحلية في زمن العملات الصعبة وأدعكم إياها واثقاً من غنى ما أودعت ومن عظيم ثروتها.

## مفترق طرق

### يزن ديب

السندات المزورة والرصيد الحقيقي.

على كل تقاطع بيعت زاوية، وبعد كل «حاكورة» صغيرة اختلف عليها أحرقت كل المساحات المحيطة كي لا ينبت بعدها زرع. تركنا الطرقات المعبدة وسلطنا أكثر الطرق وعورة ثم وقفنا نملأ الدنيا دهشةً وصراخاً.

لماذا تستمر مراكبنا بالتأرجح؟ ألسنا من قادتنا طوائفنا وعشائرننا ومذاهبنا؟ ألسنا من ألصق المطبات بعجلاتنا وادعينا بعدها أن الطريق مليء بالمطبات؟ ألسنا المسؤولين عن هذا الواقع المرير؟

ماذا تركنا للقادمين الجدد؟ لأجيالنا الحالية والقادمة بعد كل الذي بعناه وأحرقناه ولا همّ لنا سوى عمولتنا وعمّالتنا؟ إنه السؤال الذي لم أجروء على البحث عن جواب له كي لا يشدني الجواب إلى الوقوف على مفترق طرق جديد.

يبدو أنه لم يبق لنا من الألوان سوى السواد، وما زال جهلنا

## شكر وامتنان رغم الزيادة في العنوان

بادئ ذي بدء، أشكر محرر «تحولات» على الكلمة الطيبة التي خصني بها في العدد السادس الصادر في كانون الأول 2005.

ولو كنت من حزب المتواضعين الكاذبين، لأضفت على الشكر عبارة تفيد بأني لا أستحق التنويه الإيجابي وإن «الناس خير مني» وإن «البحث التراثي المنشود لم يكتبه بعد»، إلى آخر مفردات وعبارات قاموس التواضع الكاذب. ولكن، إذا كنت موافقاً على مضمون الكلمة الطيبة، فالموافقة لا تصل إلى نسبة 99.99% السيئة الصيت. وبحسب لجان الفرز ومباركة المراقبين السويسريين ونظرائهم الأوروبيين، فإن النسبة بلغت التسعين بالمئة، بالتمام والكمال.

ذلك ان الزيادة في بداية الكلمة الطيبة والنقص في نهايتها، قد استدعتا إبداء ملاحظتين وجيهتين متساويتين بالعزة والكرامة، ودائماً بحسب لجان الفرز ومباركة المراقبين.

من زمان، وأنا أسنُّ ريشة القلم مقدمة لنقد لقب «المفكر» الذي يضاف إلى سائر ألقاب بعض كتابنا أو هو يختصر تلك الألقاب. وأقول «كتابنا» لأن كتاب اللغتين الانكليزية والفرنسية المنتشرتين في لبنان أكثر من انتشار اللغة العربية، لم ينشر فوا بهذا اللقب. فلا وجود لصفة PENSEUR مرفقة باسم السياسي والكاتب دومينيك دوفيلبان، أو كلمة THINKER ملتصقة باسم فرنسيس فوكوياما. وبالمناسبة، فالذين لم يجوزوا عدنا على لقب دكتور، حتى لو كان مصدر الدكتوراه غير الفخرية جامعة أفغانستان، استعاضوا عنه بلقب أستاذ، رغم السخرية التي مارسها سعيد تقي الدين بحقهم حيث أحل حرف (ز) مكان (ذ) في نهاية اللقب.

وأعود إلى بيت القصيد، لأطرح التساؤل التالي: عندما يلقب فلان بالمفكر، أفلا يعني ذلك ان الآخرين لا يفكرون؟ في الواقع، ان كل إنسان مفكر، وإن بعض الأميين يفكرون بصورة أفضل وأفيد وأوضح من بعض الدكاترة الذين يبيعون شهاداتهم للمتمولين وينظرون لصالح الفساد والطائفية واسرائيل عبر «الأرضيات» والفضائيات، كل طلعة شمس.

لذلك، حين ارتطم نظري بلقب «المفكر» وهو يتوسط إسمي ولقب «الباحث»، قلت: «أبقاش بدها». فإذا كان لا بد من لقب آخر إلى جانب «الباحث» فمفكر يشكو لقب «الصحافي»؟ فقد كنت وما زلت أمارس مهنة المتاعب المريحة. ومن يدرى؟ فربما أصبح من أسرة «تحولات» بعد الاتفاق على الرتبة والراتب والضمان الصحي وتعويض نهاية الخدمة، التي قطعت المفاوضات بشأنها شوطاً بعيداً.

أكتفي بهذا القدر بالنسبة لزوائد توجيهية «الكلمة الطيبة»، لأختم بما تبقى من مساحة جغرافية، لنواقص كعب الصحارة، خصوصاً وأني أسمع بالأذن الثالثة الأمين منصور عازار وسركيس أبو زيد وهما يكرران كلمة «نعم» على غرار أمراء الفضائيات وأميراتها الجميلات الذين يقصدون بها ان المقابلة انتهت، رغم انه لم يكن قد مضى على بدايتها أكثر من نصف ربع لحظة. لقد نوّه الكاتب مشكوراً بما نشرته وأشرته في سلسلة الكتب المتحورة على الكواكبي والبستاني وجبران وغسان جديد والخليطين سعاده وحايي وساخر بعقلين سعيد تقي الدين وهشام شرابي وفخري معلوف. وقال ان ذلك احتاج الكثير من «الجهد والأناة والصبر الطويل». وما لم يقله سأختم به هذه العجالة. فالشخصيات التي أكتب عنها، سوقها رائج لدى القراء. لذلك، أطبع ألف نسخة من كل كتاب، من غير أن أشرب حليب السبّاع. وعند صدور الكتاب، أقيم له ندوة وحفلة توقيع حيث يباع خلال ساعتين بين الخمسين والمئة نسخة. وبالطبع، لا أعتل همّ بقية النسخ، فهي تنفذ بإذن الله خلال عشر سنوات. ولكني، إزاء الأقبال الكثيف على الكتب، خصوصاً في هذه الأيام، أعتل همّ سيرج براميرتز، الذي ربما يطلب رفع السرية عن حساباتي، خصوصاً بعد أن أقبض المبلغ المرقوم من الصديق عبودي أبو جوده الذي عرض كتبي في الجناح الذي أقامه في معرض الكتاب الأخير.

ج. دايم

سقط سهواً مقطع كبير من هذا المقال المنشور في العدد الماضي. لذلك نعيد نشره في هذا العدد.

المحرر

## ثقافة الاستهلاك

حنان زهر الدين

والظهور والعرض ليس لها فحسب بل لأي سلعة ومهما كان نوعها تريد أي شركة ترويجها وكذلك استخدام الكلام الرخيص ومشاهد العنف والابتذال الجنسي بإسفاف واضح وصريح ووضع هالة كبيرة حول فتاة معينة بمشاركة وسائل الإعلام الأخرى وجعلها ظاهرة للمراقبين لتصبح هي مقياس المرأة لديهم والفتيات اللواتي يحاولن تقليدها بأدق تفاصيل لبسها وحركاتها. فانعكس هذا على مستوى الفنون بأشكالها فغير ثقافة المجتمع الموسيقية وذوقه وإحساسه الرفيع بالفن الراقي والكلمة الجيدة المعبرة عن روح الإنسان وذاته ومشاعره وعن واقعه. وكنتيجة طبيعية ساهمت هذه المناخات السلبية بترويج ثقافة الاستهلاك وغيرت الذهنية السلوكية عند الناس ليلتهوا لشراء ما هو معروض أمامهم.

ومع هذا المشهد العام هناك سؤال يطرح نفسه هل هذا الظهور للمرأة وبتلك الطريقة هو السبيل لإثبات وجودها أم أنها فعلاً تحولت إلى قشرة خارجية وأداة إعلان عن كل ما هو جديد من السلع والأثاث وبالتالي إفراغها من مضمونها ومسؤوليتها ويؤكد لها المجتمع هذه الحقيقة بشتى الوسائل كتنشر محتاج إلى الصبغة وعينين تحتاج إلى عدسات ورموش تحتاج إلى تقوية وهكذا.. مسلسل لا ينتهي، إن استلاب وسائل الإعلام والمنتجين والمروجين لإنسانية الفتاة أو المرأة وتجاهل فكرها وقيمها المعنوية ودورها الفعال في نهضة المجتمع لهو من أخطر المظاهر التي نعيشها، والغرق فيها يوماً بعد آخر، هو المشكلة التي تساهم مع عوامل كثيرة في تحويل رؤية المجتمع وتطلعه نحو الأُمير والأرقى.

ومن خلال هذا أؤكد على دور الأسرة المهم والأساسي في تغيير هذا المشهد من خلال مشاركة هؤلاء الأولاد المراهقين والشباب آراءهم ومشاهداتهم لهذه الكليبات والبرامج ومناقشتهم معهم ومساعدتهم على التواصل مع كل ما يستطيع أن يدفعهم خطوة نوعية وما يلي طموحاتهم في الخلق والإبداع. وبناء ثقافة موسيقية يتأثر فيها الجيل الجديد ويعبر عنها بمفهوم راق ولا سيما أن الصورة تشكل جزءاً كبيراً من تصوراتنا عن الحياة والعالم بأسره.

مع تقدم تكنولوجيا الاتصالات تطورت اللغة البصرية وخاصة في السنوات العشر الأخيرة، هذه اللغة التي تربعت على عرش الثقافة العربية والعالمية، ودخلت منازلنا دون استئذان فاستحوذت على جل اهتمام المجتمع بكافة أطيافه، وكانت ثورة القرن العشرين بامتياز.

فنتج عن ذلك ثقافة الصورة التي استخدمت تماشياً مع الثقافة العامة التي أنتجتها العولمة فساهمت في تكريس قيم أخلاقية لتتماشى مع بنية مجتمعنا وطبيعته. فظهر الفيديو كليب مسيطراً ليس فقط على أعين الشباب بل على عقولهم وما يهمني الإشارة إليه أن المرأة كانت هي الأداة الأساسية الموظفة لترويج هذه (الصناعة) بما فيها الكليبات التي تبث ليل نهار عبر أغلب الفضائيات العربية والعالمية فتغيرت بذلك صورة الفتاة ومفهوم الجمال وتغيرت معه القيم الأخلاقية للمجتمع والعلاقات التي انعكست سلباً بالدرجة الأولى على المرأة، فأصبح الرجال ينظرون إلى زوجاتهم بالمقارنة مع ما يروجه الفيديو كليب من فتيات نحيلات يصلحن فقط لعرض الأزياء وإحساس هؤلاء الرجال بالتذمر والملل وكأن هذه الصورة الموجودة أمامهم هي الصورة المثالية للمرأة العصرية برشافتها وخفتها ما اضطر معظم النساء والفتيات التي لا تطابق أجسامهن تلك المواصفات لاتباع حميات صعبة جداً أثرت في وضعهن الصحي من جهة وشعورهن بالكآبة والإحباط النفسي من جهة أخرى.

ولم يتوقف الفيديو كليب عند ترويج هذه الصورة فقط بل تعادها لنشر رسائل كثيرة أهم سلعة فيها جسد المرأة ودفع الأموال الطائلة ليكون هذا الجسد أكثر إغراءً ورخصاً، غايتهم في ذلك جذب أكبر جمهور من الشباب والمراهقين وجميع فئات المجتمع إلى تلك المحطة أو تلك، مستثمرين هذا الجسد في أعمال السياسة والتجارة والفن بغية الحصول على أرقام خيالية من المال وبذلك تغير مفهوم الصورة التي هي انعكاس لشخصية المرأة ككل بروحها وفكرها وحضورها وجسدها، كل متكامل يعكس صورة حية تقبلها العين ويحبها من حولها.

ولكن استطاع الفيديو كليب أن يغير هذه المعايير ويهمشها ليكون جمال المرأة وحده وشكلها مفتاح الشهرة

باللعار.. باللعار.. بالمأساة التاريخ الكبرى..

بالفداحة الجهل والعمالة والفساد.

قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يأتي زمان الدبوث، قالوا: ما الدبوث يا رسول الله، قال: من رأى أهله يُعتدى عليهم ولا يغضب).

ولكن نقولُ على الطرف الآخر:

شكراً أيها الأحياء الإنسانيون، شكراً يا أختنا الحبيبة الممتلئة (فانيسياردغراف) على توضيحك بمنزلك من أجل فيلم يظهر الحقيقة ويدافع عن المظلومين.

شكراً جورج غالوي على شجاعتك في فضح الأطماع والجرائم الإنكليزية والأمريكية والصهيونية.

شكراً للقس جسي جاكسون على مقارنته التمييز العنصري، ونظراته الإنسانية، فهو يمثل روح المسيح عليه السلام في الحب والسلام والعدل والحرية.

يؤلني ويسعدني أن أتكلم اليوم من جراح راعفة وروحٍ مشتتة يههما أن تضيء الحياة، ولو شمعة في الظلمة الحالكة، بعدها إن عاشت وأضاء كل إنسان شمعة، نرى جميعاً الحياة الكريمة السعيدة، ومن مات منا يشعر بالراحة والسعادة الأبدية والحياة كما في الحديث الشريف إحدى الحسينين، الشهادة أو النصر وكلاهما نصرٌ للشعوب المجاهدة والحياة الإنسانية الحرة الكريمة.

## الكلمة الطيبة

محمود كركوكلي

الاستشهادي عملاً انتحارياً إرهابياً، ويمنعون المساعدات البسيطة عن أهالي الفدائيين الاستشهاديين.

المنافقون، يتهافتون على مواجهة نتائج

إعصار كاترينا في الولايات المتحدة، ويتباكون على الضحايا فيه، فيقَدِّمون المساعدات الكبيرة، ولكن بتأريخٍ مقارب يسقط في جسر الأثمة بالعراق العربي المسلم مئات الضحايا، ولا يتلقَى هؤلاء المنكوبون بالجسر وبالاستعمار الأمريكي الصهيوني رسالة تعزية أو إدانة رسمية فصبراً جميلاً والله المستعان على ما يفعلون.

في السودان في أفريقيا وفي أندونيسيا.. ضحايا تسونامي، جياغ عراه مرضى يموتون جوعاً ومرضاً وبرداً، والأمم المتحدة تناشد الضمير الإنساني، تصرخ مبحوحة الصوت مستغيثةً، ولا حياة لمن تنادي!

ماذا نقول بعد هذه المناسي؟

هل نقول شكراً أيها الأمراء لأنكم تتفرجون وأخوانكم في العراق وفلسطين يذبحون بطائرات ومدافع الحذاء الأمريكي العملاق؟!!

يؤسُفني أن أنظرُ إلى شاشات التلفزة العربية، تبرقُ بالأخبار وتصورُ الناس، وتنقلُ الحقائق ببرود أعصاب ودون مداخلة تكشفُ الواقع الأليم والحديث الحزين، إن بريق السراب خادع، وقد قيل قديماً، ليس كل ما يبرق ذهباً.

ويسعدني أن أرى نفسي في موقع الفدائي الاستشهادي، والجود بالنفس أنبل وأعظم الجود، فلا يهمني أن أسمع إلى ثناء حاكمٍ أو أحصل على غنيمة في مدح أصحاب الغنائم والولائم.

إن الذين يموتون بصمت التضحية الهادفة خير ألف مرة من بخيل، يعطي الفتات، ثم ينفخ فيه لتكون مكرمةً، كما تصدر الهبات عن رؤساء وملوك وأمراء العرب، بينما هم جالسون على بحر نطف خضم.

يجلني سعيداً، أن أرى الإنسانية، تسير نحو التحرر والشورى والديمقراطية، عندما أسمع جورج غالوي يهاجم بريطانيا وأمريكا وحلفاءهم لأنهم احتلوا العراق، وأشهد الممتلئة الإنكليزية (فانيسياردغراف) تبيع بيتها الذي حصلت عليه بجهدها من العمل السينمائي المضمي، لتقوم بعمل شريف جميل هادف، وهو إنتاج فيلم سينمائي، يحكي مأساة الشعب الفلسطيني، بينما نجد في الطرف العربي أمراء النفط، يبخلون بالمعونات على الشعب الفلسطيني، ويستمعون إلى الإدارة الأمريكية، فيتوقفون عن المساعدة، ويعتبرون العمل الفدائي

## الفضائيات

سيما محمّد عارف الحلاق

هل سمعتم بحرب الإذاعات؟ هل سمعتم بحرب الكل والشائعات؟ تلك الحروب المعلنة على كل الموجات والمنشورة على طول وعرض الصفحات.

هل شاهدتم على الشاشة الصغيرة مسلسل الردح وأبطاله الرادحين والرداحات؟ أم شاهدتم مسلسل الحرب الأهلية و الجهات الأربع والنعرات وزايد والمزاودات؟

عجيب أمر الفضائيات، ألا نجد في جعبتها إلا العربي والعاريات، أو الشتائم والمسببات؟ ألا تجد غير المنحرفين والمنحرفات، لتجعل منهم فنانيين وفنانات؟ ألا تجد غير المجرم والسارق والسكران أساتذة يلقون علينا المحاضرات؟

أبدأ لن تكون هذه وسائل إعلام عربية، ولا ما يعرض عليها خلق و برامج ثقافية، فمن خلعت زيتها واستباححت عريتها، واتخذت من الفتن سلاحاً قوياً، ليست فضائيات، وواجب تسميتها فضائيات. الفضائيات التي تصب الزيت على النار، وتطلق ما في جعبتها من شرٍ وشرار وتغتال الأعراض في وضح النهار، وتتخذ مصدراً لأخبارها كذا علاك مدرار، ويمول لها مثل هذه الأخبار بلاد الفتن والدمار، ولا تمولها فقط بأموال بل تمولها بأشخاص كقطع الأبقار، يأكل ويذبل ويترك وراءه أرضاً «فقار». فبارادة أولئك الممولين، يصبح الخدام أشرف العباد، والوليد أنضح من في البلاد، والوفاء والمقاومة سبب الفساد.

كل هذه الترهات، تصنف في بند مصلحة التحقيقات.. هناك في ذلك البند كل اسم مقلوب، كل شريف مغلوب، كل عربي إلى الإرهاب منسوب، وشيناً فشيناً وبقدرة قادر الوطن العربي كله إلى التحقيق مطلوب.

العمر 15 عاماً - دمشق

## جنسنة الإعلانات

(ولاعة) «وعلى سبيل المثال الإعلان عن ولاعة (Zippo) فهناك على واجهتها الأولى توجد عبارة «لا ترفض أبداً» وإلى جانبها صورة لامرأة عارية، وعلى الواجهة الثانية، رجل يدخن بلذّة واستمتاع». وهنا يتحول جسد المرأة في الإعلان الجنسي المثير (إلى طعم) وبضاعة، ولكنه في الوقت ذاته إلى جانب ذلك جائزة للمشتري.

في المجتمع الغربي أصبح هذا الأمر جزءاً من الثقافة بالرغم من معارضة عدد من المنظمات النسوية التمييز حتى في مسألة كهذه؟ فما هو يا ترى موقفنا نحن في هذا الشرق؟!

وهل لدينا وجهات نظر متبلورة في موضوعات كهذه أم أن الأمر لا يشكل ظاهرة تستحق الوقوف عندها؟!

وبين استخدامه في أغاني الفيديو كليب وفي ذلك لا يمكن إطلاقاً أن نرى جسداً رجالياً عارياً في المواد الإعلانية عن السيارات أو مواد البناء، ويمكن رؤية جسد الرجل الجذاب بمسحة خفيفة من الإثارة في الإعلانات عن السجائر أو ملابس الرجال وهناك آلية بسيطة تعمل على أن يكون الجسد النسائي الجذاب على البضاعة التي يتم الإعلان عنها بشكل جذاب أيضاً فحينما يقوم المشتري بتأثير هذا الإعلان بشراء البضاعة المعلن عنها فكأنه في لا وعيه يشتري الحسنة التي صورتها موجودة على البضاعة.

وقد تناول أحد الصحفيين الغربيين موضوع جنسنة الإعلان وأن الغريزة الجنسية تستخدم كمحرك للإعلان من خلال تناوله إعلاناً عن

في كثير من الأحيان يتم الإعلان عن البضاعة باستخدام رموز جنسية مثيرة للاهتمام، أو مواقف جنسية مثيرة جنسياً. وفي أغلب الحالات يكون «الطعم» الجنسي هو جسد المرأة. وأنا مع ذلك لا أقصد هنا إطلاقاً تلك الحالات التي يتم فيها استخدام الأنوثة الطبيعية للمرأة في خدمة الإعلانات الخاصة بأدوات التجميل، ولكنني أتحدث عن المواقف والحالات الشائعة في الإعلانات المتخصصة بوسائل الكمبيوتر أو السيارة أو الأثاث المنزلي أو البضائع الصناعية الأخرى. على خلفية من الفتيات الجميلات المرتديات مايوهات أو العاريات أو المكشوفات الصدور والأفخاذ أو في أوضاع كثيرة مثيرة جنسياً وهنا أجد وجه شبه بين استخدام جسد المرأة في الدعاية والإعلان

## توسع الدلالات

### هيام الجندي

المعاني مطروحة في الطريق - على حد قول الجاحظ - وهل ثمة معنى أكثر حضوراً من أجسادنا لدينا؟!

ليس السؤال إذاً عما يقوله المرء وإنما «كيف» يقال وستظل الحاجة قائمة إلى التفكير بتلك «الكيف» مادام المرء يستطيع أن يكشف لنا عبرها عن أشياء توسع الدلالات وإلا انتفت الضرورة إليها.

وقد بدأنا نسمع أن بعض المؤسسات الثقافية أخذت تدعو إلى عقد ندوات وإقامة المؤتمرات حول مفهوم الجسد، ذلك المفهوم الذي لم ينقطع الاهتمام به يوماً وقد تبدى هذا الاهتمام بأشكال مختلفة سواء أكان ذلك الاهتمام إيجابياً أم سلبياً.

والدين كان له ما يقوله في مفهوم الجسد وكذلك الفلسفة ومع توالي هذه الدعوات لفهمه وتحديده ومعرفة ماهيته عبر عناوين كبيرة (الجسد المهور، الجسد المهمش، الجسد السياسي، العنف الجسدي، فلسفة الجسد).

أتساءل أليس هذا المعطى الجوهرى الذي يحدد وجودنا هو المصفاة الحقيقية التي تعلق في قعرها كل الرواسب الاجتماعية والإنسانية برمتها؟! حيث يختلف شكل الجسد ما بين البدائية والمدنية عليه تنعكس مظاهر البؤس ومظاهر الرفاه، والمرض والفقر والتخلف والعنف والقمع والحروب. فللخاتمة جسد يختلف عن جسد سيدتها وجسد راقصة البالية يختلف عن جسد العاملة في المعمل، أما المجتمعات التي تنهشها الحروب فتكون نسبة الإعاقة فيها أعلى من المجتمعات المستقرة، في الحروب يتحول جسد المحارب لأداة قتال تمكن طرفاً من الانتصار على الطرف الآخر.

وفي أرقى الحالات المعاصرة يأخذ الاختصاصيون على عاتقهم إعادة تأهيل الأجساد للشخصيات العامة، من حيث إعادة تربية الجسد، العمل على الحركة والصوت واكتساب تقنيات جديدة للابتسامة، والبشرية في اجتهاد مستمر لخلق مشكلات عالمية تعمل على انتهاك الجسد بالآلاف الطرق لتجرده من إنسانيته وإدخاله علاقات السوق وهذا التسليع طال جسد المرأة أكثر من جسد الرجل.

وكأن ما يحدث ليس إلا إعادة لتطويع الجسد وبرمجته بشكل يتناسب مع ما يراد منه وليفقد قدرته على التعبير الحر والتلقائي وليكتسب لغة جديدة لا ندري إلى أي حد تعزز كينونته فلننظر إلى أجساد رجال المال الخرساء والسياسي الذي لا بد له من رافعة فإن لم يكن يمتلك سحر الطلة فعليه أن يمتلك سحر الخطاب ومعرفة التوجه إلى الجمهور.. وكل ذلك اللعب بالجسد لم يكن إلا حرفاً له عن وظائفه الحقيقية.

## أيها الجسد

### رضوان أبو غبرة

صدرك: نفسُ الصدى على المرايا  
وحلمتاك زفيران ماسيان  
وأنا طفلُ الرغبةِ  
شفتي مأخوذة بولادة شفيفة  
ويدي محكومة بالتوجسِ  
أيها الجسد المثقل بالتداعيات  
إحتكم للصهيل

## الظلُّ والجسد

تجيبين عارية كالحصى بعد وجبة موج  
وأنا مفردٌ في رغبتي  
يتقدمني أنبهاري  
بقدمين من زَبْدٍ  
لا أصلك إلا هاجساً  
زرقه... زرقه... أتقصي تقاطيعك  
أسبقُ جسدي بشهوة  
ويسبقني بنشوة  
الظلُّ والجسد يتقاسمان اشتهاك  
وجسمك سيئُ القسمة العادلة..



وتحفرني إذا شاءت  
على سفر الخلود..

❖ ❖ ❖

يا امرأة من أحرف  
يا أحرف من امرأة  
أحبها.. تحرقني  
تذبحني.. أعشقها  
وكلما فارقتها  
أخاف أنها لا تعود..

## امرأة من حروف

### حسني هلال

يا امرأة تحطمني  
لو هجرت..  
تهاجر سنونوات الألفة  
أسقف عيشي  
وتتكل سوسنهما مطارحي  
وترتدي عباءة سوداء أحلامي  
وينتحب الوجود..

❖ ❖ ❖

يا امرأة تسعدني  
لو حضرت  
تخضل بالطيب أوقاتي  
تشتعل بالخصب أوراقتي  
وتبرعم أطراف أقلامي  
وتحاضر بالعشق أنسام النجوم..

❖ ❖ ❖

يا امرأة من أحرف  
بالحرف تمحوني إذا شاءت

## تعالوا... لتتعلم... ونتعلم

### روضة العلي

والطوق المقدس المفروض حول هذا الجسد خط أحمر لا يمكننا تجاوزه بتفكيرنا المعلن حيث ندفن الأسئلة والأجوبة في بواطننا فأحدها أن أصابها الدهول وهي تحتضن ولدها ابن الثالثة عشرة وقد أعياه المرض محاولة تخفيف وطأته عن جسد ولدها الصغير بأحضان طالما كانت دواءً شافياً للأمراض روحنا وجسدنا ولكنها استفاقت لتجد يدي ولدها تتحسس جسدها وكأنها يد مستكشف تائه في خضم بحر يبحث عن كنوز ظنت أنه حلم تلملت ولكن اليدين عادتا بعد برهة في رحلة استكشافها حينها أدركت أن هناك ما يثير فضول ولدها وأن ما حدث يفترض عليها حسن التصرف بعقل مدرك لما حدث ولا بد من الوقوف عنده كثيراً وإن ضاقت السبل فلا بد من إيجاد سبل مفتوحة تسير بنا نحو الوصول إلى قرارات تفيد في ترجمة هذه الحالة ومن خلاله نرى الضوء في الجسد جسد امرأة لا تعرف أسرارها إلا المرأة ففيه سر الحياة، سر الخلق، وسر العطاء فتعالوا نتعلم منه ما لم تستطع الحياة أن تعلمنا إياه تعالوا ننظر إليه نظرنا إلى الكتاب نقلب صفحاته.. نقرأه... ونقرأه... ونتعلم منه.

من ذاك الذي يحجز لنا مكاناً في هذا الكون من إناء احتضن أرواحنا فنشرها عبيراً فواحاً من مرآة تعكس انفعالات دواخلنا من ذلك الذي خلق روحاً منه تعالوا لتتعلم من جسد المرأة... من جسد أمهاتنا هذه الكتلة اللحمية التي أغرقت في بحر من التفاصيل المبهمة.. تعالوا نتعلم من هذا الجسد الذي يغيب في سكرة الألم ليمنح روحاً... وحياء تحبو رويداً على بلاط عمر يسير كل يوم تاركاً وراءه شمساً ليحتضن شمساً جديدة وليصير بغدو الشمس ورواحها إنساناً يعمل عقله في كينونة هذا الكون بادئاً من خليته الصغيرة بادئاً بوالديه وخاصة أمه التي طالما احتضنته وسكبت في شفثيه نسغ الحياة من عروقها ومن روحها ومن جسد استطاع أن يخترن كل انفعالاتها في الحب والعطاء والتضحية. فكم كان جسد أمهاتنا سراً ننظر إليه بعيوننا المشوقة إلى سبر أعماقه ونحن في أشد الحاجة إليه مهما امتد بنا العمر فنأخذ منه أماناً في ساعة الخوف ودفناً في ساعة البرد وارتواءً في ساعة العطش وننهل منه الكثير دون أن نعرف أسرار هذا النبع ولأن التربية



## في ذكرى رحيله الثالثة عشرة محمد يوسف حمود كما عرفته

بقلم جات دايم



كان يمكن أن يكون الرقم 13 شؤماً لو أن مواهب الشاعر المحتفى به اقتصر على صياغة القصائد بسورالية بريوتونية (1) حيث يحتاج القراء لمجم مغربي لفهم القصيدة أو بالأحرى بيت واحد منها.

كذلك، فإن النحس المرادف للرقم 13 ينتقل من الأسطورة أو الخرافة إلى الحقيقة والواقع، إذا اتبع الأديب، الذي رحل في العام 1993، النهج السعدي (2) لجهة المعنى فيزحلن (3) لبنان ويلبن العالم.. وإذا اقتفى نهج عبد الله العلايلي وأمين نخله، فيصير المضمون عبداً مأموراً لصاحبة الجلالة: الكلمة.

أما إذا كان الشاعر والناثر من المدرسة الأدبية التي يتميز خريجوها بالشطارة في حقل العلاقات العامة، فيتصدرون المنابر وشاشات التلفزيون وصالون الصفحات الثقافية في الصحف ويقتنصون الأوسمة وحفلات التكريم بكثرة وسهولة.. فإن الشؤم والنحس يتعديان الرقم 13 ليشملا سائر الأرقام.

ولكن الرقم 13 يصبح سعداً عندما يقترن بذكرى رحيل شاعر مجدد أبداع ديوان «في زورق الحياة» وأنشيد الشجرة والمقاومة ونشيد «يا روائي ميسلون»، بعد أن تماهت موهبته الشعرية بالفلسفة السعدية (4) الجديدة التي وفرت مفتاح الحداثة عبر نظرتها الجديدة إلى الحياة. أما نتاجه النثري الذي لا يقل نهضوية عن شعره، من مثل «نك الليل الطويل» و«هتاف الجراح» وسائر كتبه المنشورة، وفي مئات مقالاته التي صنّف معظمها في كتب برسم النشر، فقد تمكّن حمود من تحقيق توازن بين لغته القرآنية الجميلة ومضمونه النهضوي العميق. أما أسلوبه الساخر، فضاعف من جاذبية نتاجه النثري، خصوصاً حين ينقد شخصيات سياسية أو أدبية. وكان فوق كل ذلك وتحتة، بعيداً عن شطارة العلاقات العامة، بدليل أنه أمضى حياته موظفاً صغيراً في دار الكتب الوطنية، ولم يمتلئ صدره بالأوسمة التي ملأت صدر مؤسس الدار ورائد مؤرخي الصحافة العربية الفيكونت فيليب دي طرازي.

أكتفي بالعناوين السابقة، لأكمل احتفالي بذكرى محمد يوسف ٢ حمود الثالثة عشرة، باستعادة جزء صغير مما سمعته منه عبر لقاءاتي به في دار الكتب الوطنية.

### موظف صغير .. أديب كبير

شاهدته أول مرة في قاعة المطالعة التابعة لدار الكتب المزترزة بالصور الزيتية الكبيرة الحجم العائدة لرواد النهضة اللبنانيين، الثقافيّين منهم والسياسيين، والتي كنت ارتادها أسوة بالعديد من الطلاب لمطالعة الكتب الأدبية ولممارسة الشيطنة، في الوقت نفسه. لذلك، كانت القاعة مسرحاً للضحك رغم الأزمة التي تطلب روادها بالسكون، وربما بسبب ذلك، ورداً على التحذيرات المتكررة التي يوجّهها موظفوها إلى المستعصين عن القراءة الصامتة بالثرثرة الصاخبة. فجأة، دخل رجل أسمر مربع القامة ومعه بعض الضيوف الفرنسيين المعنيين بدور الكتب، فتوقف قرب الطاولة الأولى ونقّف بسبّابته عليها ثلاث مرات مقدمة لتوجيه كلمة مقتضبة بنبرة صارمة وفصحى متينة، طلب فيها من عشرات الطلاب والباحثين الصمت احتراماً لحرمة المطالعة وللزوار الكرام. ووسط هدوء تام، جال مع زواره وشرح لهم تاريخ الدار ومحتوياتها وأجاب على استفساراتهم بلغة فرنسية جيدة.

وسألت أحد موظفي الدار عن اسم الرجل ووظيفته، فأجابني أنه محمد يوسف حمود رئيس قلم الدار. ومنذ تلك اللحظة، تأكد لي أن الأديب الكبير والموظف الصغير، يتمتع بشخصية قوية.

وعلى ذكر الرسوم الزيتية التي كانت تملأ جدران قاعة الدار يوم كان مركزها في مبنى البرلمان، فإن بعض أصحابها كانوا من رواد النهضة أمثال المعلم بطرس البستاني وجبران وأمين الريحاني والأمير فخر الدين. والبعض الآخر كانوا معادين للنهضة أمثال الصحفي المهجري الطائفي نعوم مكرزل، وحاكم جبل لبنان الفاسد والمستبد الأمير بشير الشهابي «الكبير». أما البعض الثالث، فكانوا عاديين وبخاصة الكتاب منهم، وفي عداد هؤلاء الدكتور أمين الجميل. يبقى البعض الرابع والأخير المغيب عن الدار لأسباب سياسية، وفي طليعة هؤلاء الزعيم

انطون سعاده ووالده الدكتور خليل. وبمناسبة احتلال بعض مسلحي بيروت الغربية لدار الكتب خلال الأحداث، وتدفقهم بنار بعض المخطوطات والكتب النادرة، ووضعهم جميع رسوم الرواد في سلة واحدة، وفقنهم لعيونهم بالخناجر والحرا بمن فيهم مبدع هذا النهج المير بشير.. فقد سألت رئيس القلم عن سرّ ومبرر وجود صورة لكتاب عادي هو الدكتور أمين الجميل إلى جانب صورة الأديب والصحافي الكبير أنطون الجميل الذي ترأس تحرير «الأهرام» في أوائل القرن الماضي. وأجاب بما معناه، أن الشيخ بيار الجميل اختصر اللجنة المختصة يوم كان وزيراً للتربية، واتخذ قراراً بتعليق صورة والده في دار الكتب الوطنية، ثم «اقتحم» قاعة المطالعة مع أبنائه وبعض مسؤولي الوزارة، فعلق الصورة وأدى التحية، ثم انصرف مع الوفد المرافق وسط ذهول الموظفين.

6 و 6 مكرر

وفي عهد وزير التربية المير ريف أي الملم، أعدّ الموظفان في الدار منير وهيبه (5) وآخر من آل معوض أصبح فيما بعض رئيساً للدار، كتاباً حول محتويات دار الكتب وتاريخ تأسيسها، وقدّما نسخة مجلّدة ومرقمة لمعالي الوزير بأمل أن تجلّوها بشوية فراطة.

وكانت المفاجأة.. فقد وقّع معاليه على حوالتين، إحداهما باسم حمود وتقصي بدفع ألف ليرة لبنانية، والثانية، تتضمن قراراً بدفع خمسمئة ليرة لبنانية لكل من معوض وهيبه.

بعد فترة قصيرة اجتمع المير ريف بموظفي وزارة التربية ومنهم موظف الدار التابعة لها، وحين التقى بجمود دار بينهما الحوار التالي:

الوزير: هل قبضت الحوالة؟

حمود: قبضتها وصرفتها ولكن...

الوزير: أترغب في معرفة سبب الحوالة؟ حسناً إنها مكافأة على الكتاب الذي وصلني هدية منه! حمود: ولكني لم أشارك في إعداده... الوزير: أعرف، أعرف، ولكن ماذا أفعل بالمادة، 6 و 6 مكرر؟

والطريف أن الوزير أبي الملم علماني، ولكنه كان مضطراً لممارسة التوازن الطائفي الذي تنص عليه المادة، ومكرر في الدستور اللبناني. والاكتر طرافة أن معاليه قد دفع لأديب لم يشترك في تأليف الكتاب، ضعف ما دفعه لمؤلفي الكتاب، ليس فقط نكاية بالطائفيين المناهضين بشراسة لمبدأ فصل الدين عن الدولة، بل أيضاً لمساعدة صديقه المعجب بأدبه المليء بالملمعات الإبداعية.

أعود إلى دار الكتب ولكن هذه المرة برفقة الشاعر والاعلامي جوزف أبي ضاهر. وفي مكتبه الصغير، تدفق محمد يوسف حمود في سرد بعض الوقائع الطريفة التي جرت معه، أو كان هو شاهداً عليها. ولعب الزميل أبي ضاهر في تحريضه على سردها وأحياناً تذكيره بعناوينها. وتبيّن لي من تلك الجلسة أن حمود بارع في رواية الحوادث المضحكة المبكية الواقعية، ولديه الاستعداد لسردها إذا توفرت «السميعة».

كان حمود مداوماً في مركز منفدية بيروت في العام 1938، حين دخل قبضاي بيروتي يدعى محمد سعاده.. بعد السلام أشار الزائر إلى صورة سعاده المعلقة وراء المكتب حيث يجلس حمود وقال: «سعاده وسعاده، يعني قراب، جدي كان له أخ ترك بيروت واستوطن الشوير وشجرة العائلة تثبت ذلك»، ثم دار الحوار التالي:

محمد سعاده: الآن وهنا أريد الانتساب لحزب قرابتي... محمد حمود: وهل اطلعت على المبادئ؟ (6)

من كل بد: سورية للسوريين والسوريون أمة تامة! وغيره؟

- وهل لديك فكرة عن دستور الحزب؟ طبعاً: تحيا سورية! والباقي أعرفه بعد الانتساب. - تعلم ان الزعيم قد اعتقل ثلاث مرات خلال عامين، ويمكن قول الشيء نفسه عن العديد من المسؤولين والاعضاء!

«الحبس للرجال!»  
حزبكم ماسوني

كان الرجل يسدّ كل باب يفتحه بوجهه حمود. ولم يبق لحمود الا جارور المكتب ليفتحة، ويُخرج منه طلب الانتساب كي يملأه الزائر ويعيده. وسأله صاحبنا بعد أن أصبح الطلب في يده: يا سمّي، علمت انكم تدفعون للعضو 200 ليرة لبنانية شهرياً، فهل تستكثرون 300 ليرة لحمود سعاده؟

وأجابه سمّي: الظاهر هناك التباس، فالأحزاب الأخرى تدفع لأعضائها، وعندنا يدفع الاعضاء للحزب. فامتقع وجه الزائر، ورمى طلب الانتساب على الطاولة، وغادر ولسان حاله يقول: الآن تأكد لي أن حزبكم حزب ماسوني!

نقى في الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث تأسست مجموعة من الأحزاب الطائفية رداً على الحزب العلماني، أحدها حزب النجادة. وسرعان ما برز اسم الصحافي محمد النقاش في الهيئة المسؤولة للحزب الجديد. كان النقاش عضواً سابقاً في الحزب السوري القومي، وانسحب منه بُعيد انكشاف أمره مع نسيبه الدكتور زكي النقاش. (7). ذات يوم التقى محمد النقاش بجمود على ساحة البرج، وكان الحوار القصير والبلغ التالي:

حمود: ما هو سرّ انتقالك بالسرعة الصاروخية من الحزب القومي إلى النجادة؟  
النقاش: (باللهجة البيروتية) هانيك في عاقة (هناك يوجد تأخير). هان (هنا) فتح عين وغمض عين، أصبح وزيراً، أو نائباً، أو محافظاً على الأقل.

والجدير ذكره أن الحزب لم يبق خارج «جنة» الحكم في لبنان أكثر من نصف قرن وحسب، بل كان مضطهداً من الحكام لدرجة طردهم لمدرّس في إحدى القرى النائية اذا اكتشفوا انه ينتمي إلى الحزب القومي.

ونظراً لضيق المساحة، أختّم بما رواه حمود عن انقاذ رياض الصلح له من خبزانة القبضاي أبو عفيف كريدية. استمع الصلح ذات يوم لحمود وهو يلقي قصيدة في حفل شعبي، فأعجب به وهنأه ودعاها إلى زيارته ساعة يشاء. وهكذا صار.. والقبضايات الذين يلبسون القنبان ويحملون الخبزانات والمسدسات باتوا يعرفون ان حمود شاعر ويخص البيك، بعد ان رأوا الصلح يستقبله في مكتبه ويودعه بكل احترام، باستثناء قيدوم هؤلاء «أبو عفيف كريدية».

وذا صباح، دخل حمود الصالون الكبير، مقدمة لدخول مكتب الصلح، فوقف الجميع احتراماً باستثناء أبو عفيف الذي لفته وقوف زملائه لشاب في مقتبل العمر لا يلبس قنباناً وليس في يده خبزانة. مال نحو جاره «أبو عفيف البعداني» وسأله بلهجة البيروتية الفولكرية: «مينو هيدي؟» أجابه باللهجة ذاتها: «ولو، ما عرفتو؟ هيدي محمد يوسف حمود الشاعر الكبير!» عندئذ صاح به: «تعالهان، انت الشاعر الكبير؟» فأجابه: شاعر بدون كبير! فقال له أبو عفيف: وعملت قصيدة لرياض بك؟ اجاب بالنفي. عندئذ شتمه وصاح به: «وليه شاعر واضرب واطرح وما نظمت قصيدة لزعمك وولي نعمتك!» وفيما كان يهوي بالخبزانة لتأديبه، خرج رياض الصلح من مكتبه وردع رئيس القبضايات بقوله إن الشاعر جاء خصيصاً لينظم القصيدة!

1 - نسبة إلى الشاعر الفرنسي السوربالي اندريه برتوتون.  
2 - النهج الذي اتبعه الشاعر سعيد عقل في كتاباته النثرية.  
3 - يصعب لبنان نسخة طبق الاصل عن زحلة.  
4 - شرح سعاده تفاصيل هذه الفلسفة في كتابه «الصراع الفكري في

الادب السوري».

5 - شقيق المؤرخ نسيب وهيبه الخازن، الذي أقام دعوى من أجل استعادة اسم عائلته.

6 - كانت طلبات الانتساب تدرس، وتُجمع المعلومات حول أصحابها، قبل الموافقة عليها بعد عدة أشهر، إذا تبين ان سيرتهم حسنة ويغلبون المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية.

7 - مؤرخ تولى مسؤولية عمدة الدفاع في مرحلة الحزب السرية (1935-1932)

## قصائد جديدة للشاعر فايز خضور



ومن ما أشتهيت بأني أراه...!!  
فتمتت : والله، والعاشقين،  
أنا لم أبغض هوى، في البرايا «سواه»...!!  
هو «الجهل» هلاً أفتفتيم خطاه...!!

في نحيب الذرا، هل أرى الكوثر، دافقاً أحمر،  
في حقول الذهول...!!  
أم تراني أرى، عُشبها الأشقر،  
شاحباً أصفر معناً في الذبول...!!

بارد.. موحش، كل شيء هنا. وسريري وجيع  
وقفر.. وصمت جريح، فلا ميحنا، أو عتاب...!!  
فأحملوني إلى صحوكم خمره تُنعش الروح،  
لالعنة، أو عذابا...!!

إن ما بيننا رعشة، جاوزت شهقة الموت،  
شقت حجاب المساء، والثرى، والسحابا...!!  
كان يسعي، ساحباً أسراره الحيري،  
-كنهر الشام- ليلقاه بحر في مصب،

كان يبعث فيها هياج الفصول، وسنح الهطول.  
فكيف تهادت على زرع، غيمة ناشفه...!!  
كان... ما كان..  
راح يدثر خيابه،

عن هواها المحطم حين تجلت له «عبوة ناسفه»...!!  
خرجت من يم سعادتها بإرادتها.  
لم يخدعها «الطعم المغربي»... لم تأسرها  
شبكة...!! فلماذا تنثر شوك الموت،  
وتغرر في حلق الورد، عذاب الحسكة...!!

كانت حورية بحر المرجان،  
فشاءت أن تتواري، في قمقمها «سمكة»...!!

إذا لم يربت على وجنتيها حبيب المطر.  
أنا رافض، مارق، ضيع الله والأولياء،  
وأياً يسمونه «المنتظر»...!!

زماناً غفوت، عميقاً... بعيداً.  
ولما أفقت، أنفجعت برؤية من لأحب،

عسجداً ذائباً، أم دموعاً من الضوء،  
يهمي المطر...!!  
مُقفل سرها، كامن في تنهد أنساغها،  
وأرتعاشات لآلتها :

إنها سقر الخصب، في رحم الأرض  
مهما تكن كائنات النشور  
ستفضحها، في الربيع، أغاني الثمر...!!

يا هذا القلب الراغن، بين ضلوعي  
لأذكر يوماً،  
شرقت فيه الشمس،  
ولم تستانس بدموعي...!!

زمن «الوصايا» صاغها ظمأ،  
وصير صدرها صحراء:  
هاجر عنها الشجر، والأيائل البيضاء  
هاجر عنها الماء...!!

يا واحة «ذقنا» بها تألق الفتون،  
-ذات موسم- ولعنة الإغواء...!!

يحتسي أشجانه التكلي،  
ولما يشبه البحر «البحيري»  
ولا «مستقعا» «يلهو معه»...!!  
يغدق الماء حوالبه، ويحبو منهنكاً، حتى  
غضاريف الجفاف...!!  
ناطفاً دقق حمياه، على خاصرة الرمل،  
فلأيدري به الرمل، ولا الغيم المولي هارياً،  
خلف الفصول الأربعة...!! إنه النهر المغني،  
رادماً سور الضفاف:  
لم يجد إنساً، ولا وحشاً، ولا طيراً، أتى كي  
يسمعه...!!

## الفنان محمد عمران:

### أشكال تتغير حتى التعب

يتغير شكل الشخص «الشيء» حتى التعب، يحاول أن يقف فتجذبه الأرض بقوة.  
يحاول أن ينفصل عن الكرسي فيرغمه على الانصهار معه.. تتشابك الأيدي.. يتحفز الجسد.. الوجه  
مدهوش وأبله دائماً.. الأرجل تقاوم شهوة الالتصاق..  
تتجمع الشخص لتشكل حشداً يتحول الشخص إلى عدد، تعود لتتعرف الجموع، يبقى الشخص وحيداً،  
ينظر إلى جسده المهترئ المتعب.. ينتهي



- معرض جماعي - مركز الدراسات الفرنسية - دمشق 2003
- معرض جماعي - صالة الرواق - دمشق (معرض الشباب السوري الرابع 2003)
- بينالي المحبة الدولي - اللاذقية 2003
- مهرجان السنديان الثامن - طرطوس 2003
- معرض فردي في صالة عشتار - دمشق 2003
- معرض مشترك مع الفنان ياسر صافي - صالة زارا - عمان - الأردن 2003
- معرض مشترك مع الفنان بسام البدر (المركز الثقافي السوري - باريس 2004)
- معرض مسابقة ألوان دمشق (صالة مصطفى علي بالتعاون مع شركة RC الإيطالية - الاتحاد الأوروبي - 2005).
- الجوائز**
- جائزة تقديرية معرض الشباب السوري الثاني دمشق 2001
- جائزة النحت الأولى معرض الشباب السوري الثالث - دمشق 2002
- الجائزة الكبرى - بينالي المحبة الدولي - اللاذقية 2003
- جائزة النحت الأول - مسابقة ألوان دمشق 2005

- الشهادات العلمية والخبرات**
- إجازة في كلية الفنون الجميلة - قسم النحت 1999\2000
- دبلوم دراسات عليا - كلية الفنون الجميلة - قسم النحت 2001\2002
- عضو في نقابة الفنون الجميلة 2001
- معيد في كلية الفنون الجميلة - قسم النحت 2005
- المعارض**
- معرض جماعي صالة الشعب - دمشق (معرض الشباب السوري الثاني) 2001
- معرض جماعي صالة الشعب - دمشق (معرض الشباب السوري الثالث) 2002
- معرض جماعي بيت نظام - دمشق (معرض ربيع الفن برعاية شركة شل) 2002
- معرض جماعي صالة المعارض - معرض دمشق الدولي (المعرض السنوي للفنانين التشكيليين السوريين) 2003
- معرض جماعي صالة الشعب - دمشق (معرض اللوحة الصغيرة - النحت الصغيرة) 2003
- معرض جماعي - المركز الثقافي الفرنسي - دمشق 2003

